

تاريخ

الحياة العلمية في المدينة النبوية
خلال القرن الثاني الهجري

تأليف

د. سعد بن موسى الموسى
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

دار الفکر
للنشر والتوزيع

الرياض: ١١٤٤٢ - ص.ب.: ٦٣٣
هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

شركة دار القاسم

٣) دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الموسى، سعد موسى

تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري

سعد موسى الموسى - الرياض ١٤٢٨هـ.

ص : سم

ردمك: ٦٨٩.٠٠ - ٧٥.٠١ - ٩٩٦٠

١ - تعليم. تاريخ. المدينة المنورة. أ. العنوان

١٤٢٨/٢٧٣٨

ديوي ٩٥٣.١٢٢

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٢٧٣٨

ردمك: ٦٨٩.٠٠ - ٧٥.٠١ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الصف والمراجعة والإخراج بار القاسم

فروع دار القاسم

جدة، هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١

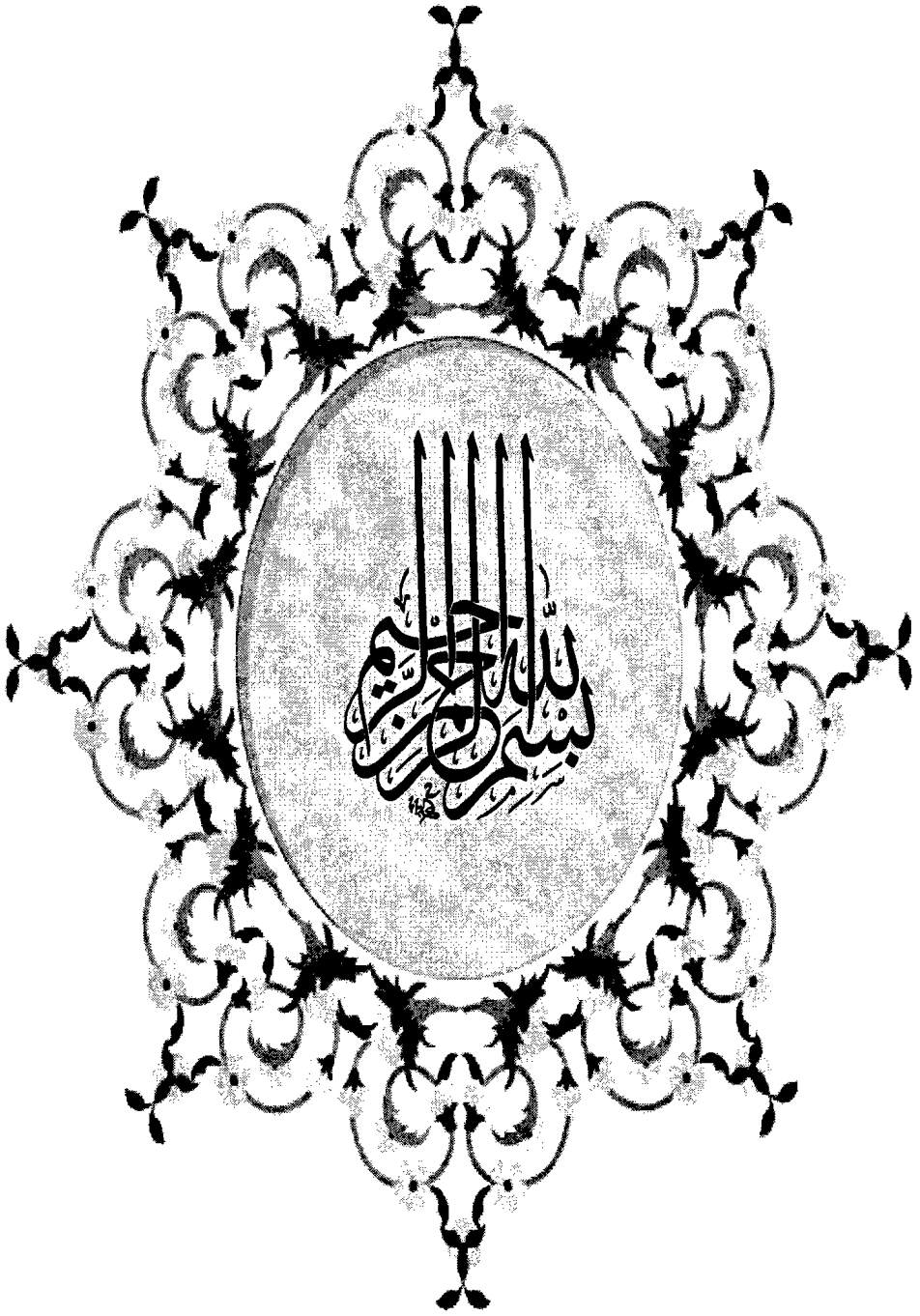
بريدة، هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

الدمام، هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤٣٠١١

خميس مشيط، هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

موقعنا على الإنترنت: WWW.dar-alsassem.com

البريد الإلكتروني: Sales@dar-alsassem.com



أصل هذا الكتاب

رسالة قدمت إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة لنيل درجة الماجستير بتاريخ ٣٠ / ١١ / ١٤٠٩ هـ وكانت اللجنة مكونة من:

- ١- الأستاذ الدكتور محمد محمد زيتون مشرفاً.
 - ٢- الأستاذ الدكتور سليمان بن حمد العودة مناقشاً خارجياً.
 - ٣- الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالله البشري مناقشاً داخلياً.
- وقد حازت على درجة الامتياز.

من إجابيات الرسالة

* اختيار موضوع البحث وبذلك يؤكد الباحث توجه جديد في مجال الدراسات التاريخية ويشجع غيره من الباحثين على ارتياد هذا المجال المفيد.

* انتقاء النصوص المعبرة، وجمع الشوارد المتناثرة في بطون الكتب والتي لم يكن بالطبع العثور عليها من السهولة بمكان. وقد وفقت إلى قطافها واستطعت استخلاص ما فيها.

* اعتمادك على مصادر مهمة قد تغيب عن أذهان بعض الباحثين في حقل التاريخ الإسلامي مثل كتب الرجال، والطبقات، والتراجم. واعتمادك هذا أسعفك كثيراً في جمع هذه النصوص المهمة.

* كما تذكر لك حاسة النقد التي أبرزت شخصيتك في البحث وجعلت لا تسلم بكثير من المرويات الساقطة كشأن بعض الباحثين، وكان لك وقفات نقدية أضفت على بحثك الجدية، وأكسبته العمق، وأخرجته من طور الجمع الأبله إلى الاختيار الأجود.

الأستاذ الدكتور/ سليمان بن حمد العودة

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم

مُقَلَّمَةٌ

مقدمة

الحمد لله الذي فضل المدينة على ما سوى مكّة من البلاد وجعلها
 مثوى ومستقر أفضل الخلق وخيرتهم من بعده، وصلى الله وسلّم على رسوله
 القائل فيما رواه البخاري: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنا مَكَةَ أَوْ أَشَدَّ»،
 وروى مسلم أنه ﷺ قال: «لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله كما
 يذوب الملح في الماء».

وبعد:

فإن كثيراً من الدراسات التاريخية حاولت معالجة جوانب معينة من
 التاريخ الإسلامي والتركيز عليها ومن ثم بقيت جوانب أخرى في حاجة إلى
 الدراسة والبحث.

ومما كثر الحديث عنه الجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. وقد
 شغل الجانب السياسي مكانة كبيرة في دراسات الباحثين. أمّا الجوانب التي لم
 تحظ بالبحث فهي ما يتعلق بحياة العلماء، وجهودهم، ومكانتهم في المجتمع،
 ودورهم في رفع مستوى الأمة وقيادتها نحو الأفضل في كل مجال.

ومع أهمية الجوانب العلمية في التاريخ الإسلامي إلا أن الدراسات في هذا
 المجال قليلة، وكان لجامعة أم القرى شرف المساهمة في هذا المجال؛ حيث
 شارك عدد من أساتذة التاريخ الفضلاء في دراسة الحياة العلمية في بعض
 المراكز العلمية فبحث الدكتور سعد البشري في الماجستير عن الحياة العلمية في

الأندلس في عصر الخلافة. أما الدكتوراه فقد بحث في الحياة العلمية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف. أما الدكتور يوسف حواله فقد كان بحثه في الدكتوراه عن الحياة العلمية في أفريقية منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، وبحث الدكتور مريزن عسيري الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي.

ومن توفيق الله لي أن توجهت للبحث في هذا الجانب حيث كان البحث عن الحياة العلمية في المدينة النبوية الشريفة في القرن الثاني الهجري وهي فترة ثرية فاضلة لقول الرسول ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

وفي حديث أخرجه البغوي والطبراني في الكبير ورجاله ثقات أن رسول الله ﷺ قال: «خير أمتي أنا وأقراني ثم القرن الثاني ثم القرن الثالث». وهذه الأحاديث تجعل القرن الثاني الهجري ضمن القرون المشار إليها في أحاديث المصطفى ﷺ.

فأهل القرن الثاني من أهل المدينة ضمن من ورد في تفضيلهم عدد من النصوص منها قوله ﷺ فيما أخرجه الطبراني في الأوسط والبخاري بإسناد رجاله ثقات: «أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وبأبنائهم من بعدهم». وقال ﷺ فيما رواه مسلم وغيره: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار». وفي رواية: «ولجيرانهم».

فهذه الأحاديث تشمل سكان المدينة في القرن الثاني الهجري وهذا مما يزيد

في مكانة المدينة ومنزلتها في هذه الفترة.

وقد كنت قبل اختيار هذا الموضوع مصراً على البحث في الحياة العلمية في أفريقية في القرن الرابع الهجري وبعد مناقشات ومداولات مع أستاذي الكريم اقتنعت بالبحث في المدينة وأرى أن ذلك خيراً لي لما أحسست من الفائدة حين عشت أجواء المدينة مع عمالة العلم والعبادة في هذه الفترة.

وكان من أهم الأسباب التي دفعته لاختيار الموضوع أن أغلب الباحثين في الحجاز في هذه الفترة الفاضلة توجهت دراستهم إلى الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

أما من تحدث في الحياة العلمية فقد أوجز في ذلك. كما أنني أحببت أن أجلى هذا الجانب لأهميته في تقدم الحياة وازدهارها والمساهمة في إبراز الجانب العلمي أحد جوانب الحياة في المدينة والحجاز، ودراسة هذا الجانب يوضح الصورة الصحيحة الكاملة لهذه المدينة في هذه الفترة حيث ساد الاعتقاد بين جمهرة المؤرخين والأدباء أن المدينة كانت من الجانب السياسي ملاذ الطبقة الثرية المترفة المحرومة من الحقوق السياسية. أو مدينة الكبت السياسي. وأن هناك حظراً مفروضاً يمنع زعماءها من التفكير في الشؤون السياسية، أما من الجانب الاقتصادي والاجتماعي؛ فقد زعم كثير من الباحثين أن المدينة كانت مقر الثروة والغنى واللهو والترف. وكانت تعقد مجالس الغناء والخمر والرقص المختلط. وأن علماء الدين في الحجاز كانوا يوقفون دروسهم رغبة منهم في سماع الموسيقى!!

ومنهجى الذي سرت عليه في هذه الدراسة هو استنتاج الحياة العلمية من خلال تتبع سير العلماء في كل فن أو علم من العلوم. ولعل ذلك يعطى القارئ صورة عما كانت عليه الحياة العلمية في القرن الثاني الهجري.

ومن الصعوبات التي صادفتني تعدد مصادر البحث حيث كنت انتقل في كل مبحث من المباحث إلى مصادر جديدة غير مصادر المبحث الآخر. فالحياة السياسية لها مصادرهما، والحياة الاقتصادية لها مصادرهما. وتتنوع المصادر بحسب العلوم من قراءات وحديث وتفسير إلى اللغة والأدب والتاريخ والأنساب. ومن الصعوبات قلة الدراسات في هذا المجال، ومنها أن العلوم في هذه الفترة لم تتحدد معالمها فيصعب وضع العلماء في فن أو علم معين؛ لأن هناك من العلماء من يعد في طليعة العلماء في كثير من العلوم والفنون كالزهري والإمام مالك وأبي الزناد. ومن أهم المصادر التي أعتمد عليها البحث:

طبقات ابن سعد ت ٢٣٠هـ وخاصة الجزء الخامس والسادس والسابع، والقسم المتمم لطبقات المدنين، وفي الطبقات معلومات تاريخية قيمة أفادتني حول موضوع البحث قل أن تتوفر في مصادر أخرى.

ومنها تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ وفيه أخبار من وصل بغداد من أهل المدينة.

وتاريخ دمشق لابن عساكر وهو موسوعة علمية ضخمة. ترجم فيه ابن عساكر لكل عالم نشأ في الشام أو وفد عليها من البلاد الأخرى واشتمل على تراجم عدد من المدنين. ومن أهمها ترجمة الإمام الزهري التي أخرجها شكر

الله بن نعمة الله القوجاني في كتاب قام بطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق. وطبع من تاريخ دمشق عشرة أجزاء نشرها مجمع اللغة بدمشق أيضا، أما مكتبة الدار بالمدينة النبوية فقد صورت مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق مرتبة، ويتبع كل جزء منها فهرس وقد أفدت من هذا السفر الضخم في موضوعات شتى من البحث.

ومن المصادر كتب الإمام المؤرخ العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت٧٤٨هـ ومنها تذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء وقد أفدت من أجزاءه الرابع إلى الحادي عشر. وفي هذا الكتاب مادة علمية قيمة حول حياة العلماء، وكتبهم، ومواقفهم، وأخلاقهم، وجوانب حياتهم الأخرى. وكتاب تاريخ الإسلام وهو موسوعة علمية تعد من مفاخر الإسلام بها من المعلومات ما لا يتوفر في غيرها من المصادر. واعتمدت على نشرتين للكتاب؛ نشرة القدسي بالقاهرة، ونشرة د. عمر عبدالسلام التدمري ببيروت، وكذلك كتاب العبر في خبر من غبر وهو مختصر للتاريخ يحتوى على موجز للأحداث وسير العلماء وغيرهم من الأعلام.

ومن المصادر تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ وفيه دراسة لأحوال رواة الكتب الستة. وكثير منهم من أهل المدينة أو ممن وفد عليها.

ومن أهم المصادر التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة لشمس الدين السخاوي ت٩٠٢هـ وقد حصر فيه المؤلف علماء المدينة منذ عهد الرسول ﷺ

إلى زمن المؤلف ولكن الكتاب لم يكتمل وطبع منه ثلاثة أجزاء طبعة رديئة انتهت إلى ترجمة محمد بن مبارك والجزء الرابع مفقود.

كما أنني لم أهمل المراجع الحديثة التي أفدت منها في مواضع عديدة من البحث ومنها:

كتابي الدكتور محمد مصطفى الأعظمي دارسات في الحديث النبوي الذي تتبع فيه الكتابات في عهد الصحابة والتابعين، وكتاب منهج النقد عند المحدثين.

ومن الكتب الهامة كتاب مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية للدكتور عبدالله بن سالم الخلف وهي رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض. ولم أطلع على بحث أفضل منها في موضوعها. وقد أفدت منها في معالجة الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

والحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس لسعد بن عبدالله البشري وهي رسالة ماجستير من جامعة أم القرى وقد أفدت منها في مواضع من البحث. والزبيرون وآثارهم الفكرية لعادل عبدالله حجازي وهي رسالة ماجستير من قسم الأدب بجامعة أم القرى، وقد تتبع فيها الباحث واستقصى تراجم آل الزبير وعرض نماذج من آثارهم الأدبية وبعض مؤلفاتهم كنسب قريش والجمهرة.

والتربية والتعليم في بلاد الشام للدكتورة ملك أبيض وهو رسالة دكتوراه

مستخلصة من خلال تاريخ دمشق لابن عساكر.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة. تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهم مصادر ومراجع البحث. وفي التمهيد تحدثت عن الأوضاع العلمية في المدينة ما قبل فترة البحث، وبخاصة العقد الأخير من القرن الهجري الأول.

وتضمن الفصل الأول الحديث عن العوامل المؤثرة في الحياة العلمية من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأثر الفرق وتدوين العلوم والحلقات العلمية في الحياة العلمية.

أمّا الفصل الثاني فقد كان عن علوم الشريعة وبه تحدثت عن أبرز القراء ومؤلفاتهم، والمفسرين ومساهماتهم، والمحدثين وجهودهم في جمع ونقد الحديث، وعن الفقه وأبرز المجتهدين المجددين، والفرق بين فقه الرأي وفقه الأثر، أو فقه العراق وفقه المدينة.

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن علوم العربية ذكرت أبرز الشعراء ونماذج من شعرهم وتعرضت للخطابة ونماذج منها. والقصص والقصاص ودورهم. وللكتابة وأبرز الكتاب، كما تحدثت عن علم النحو ومدرسة المدينة في النحو، ورواية اللغة وأهم رواتها.

أما الفصل الرابع كان عن العلوم الاجتماعية والعلوم العلمية، فذكرت المؤرخين ومساهماتهم، وكون المدينة تمثل المدرسة الأولى في علم المغازي والسير، وتحدثت عن علماء النسب ومؤلفاتهم، وعن التربية وأساليبها، وعن

الجغرافيا وما كان للمدنيين من مساهمة في هذا العلم.
وقد حاولت أن أنقب عن أي مساهمة للمدنيين في الفلك والرياضيات
والكيمياء.

وفي الفصل الخامس والأخير تعرضت للعلاقات الثقافية والعلمية
بين المدينة وغيرها من المدن الأخرى حيث كانت المدينة في هذه الفترة
مركز إشعاع ثقافي يتوافد إليها العلماء وطلاب العلم ليزدادوا علما، ومن
أهم المدن التي كانت لها علاقات مميزة مع المدينة مكة والكوفة والبصرة
وبغداد وواسط ودمشق ومراكز العلم في الشمال الأفريقي والأندلس
وغیرها.

وبعد فهذه محاولة لجمع ما تناثر من المعلومات في بطون المصادر المختلفة
وقد اجتهدت وتوخيت الصحة فيما اكتب وحاولت إخضاع بعض الروايات
التاريخية والأدبية لمنهج النقد وخرجت بنتائج أرجو أن أكون قد وفقت بها.
ولم أكن والله الحمد أردد الأفكار والأحداث كما ذكرها بعض المعاصرين
دون الرجوع إلى المصادر وابتعدت قدر الإمكان عن المصادر المشبوهة
والمسمومة ككتب الشيعة وكتب المستشرقين، ولا أدعى العصمة من الأخطاء
فكل بنى آدم خطأ.

وأشكر الله أولا وأخرا له الحمد والمنة فإن كان من خير وصواب فهو من
توفيقه، وإن كان من خطأ وزلل فهو منى ومن الشيطان وأرجو من الله العفو
والمغفرة، وأنا على استعداد للتراجع عن كل فكرة أو رأى طرحته في البحث ثم

تبين لي بالدليل أنه محال للحقيقة.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر كل من أعان في هذا
البحث بمشورة أو رأي أو فكرة أو كتاب، وأخص بالشكر سعادة
أستاذي الدكتور محمد محمد شتا زيتون رحمه الله.

سعد بن موسى الموسى

تنبيهات

أ- تسمية المدينة بالمدينة النبوية، مع أن العنوان عند البدء في البحث كان المدينة المنورة. وأثناء البحث ومن خلال مطالعة الكتب أطلعت على إشارة إلى هذه المسألة في هامش أحد كتب صاحب الفضيلة الشيخ بكر أبو زيد. ثم نبهني أحد طلاب العلم الكرام إلى أن مجمع الملك فهد بالمدينة سمي المصحف الصادر عنه بمصحف المدينة النبوية بعد بحث وتدقيق. وحيث أنه لم يذكر كلمة المنورة أحد من المؤرخين السابقين.

ومن خلال الرجوع إلى المصادر التي تتحدث عن المدينة وسواء كان ذلك المصدر خاصا بالمدينة، أو ذكرها عرضا خلال الحديث ومن هذه المصادر:

- ١- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ت ٢٣٠هـ.
- ٢- أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز لأبي بكر الآجري ت ٣٧٠هـ.
- ٣- معرفة الرجال للجوزجاني ت ٢٥٩هـ.
- تاريخ خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ.
- ٥- مؤلفات ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ مثل: مناقب عمر بن الخطاب، ومناقب عمر بن عبدالعزيز، والقصاص والمذكرين، وغيرها.
- ٦- مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ مثل الفتاوى، ومنهاج السنة وغيرها.

٧- كتابات الإمام الشمس الذهبي ت ٧٤٨هـ مثل تاريخ الإسلام والسير
والعبر وغيرها.

٩- مؤلفات ابن كثير ت ٧٧٤هـ مثل البداية والنهاية وغيرها.

١٠- الإمام الشمس السخاوي ت ٩٠٢هـ ومن كتبه التحفة اللطيفة في
تاريخ المدينة الشريفة، والتوبيخ لمن ذم التاريخ.

١١- السمهودي ت ٩١١هـ ومن كتبه وفا الوفا بأخبار دار المصطفى.

وغیرها من المصادر. ومن خلال المصادر المتعددة التي اطلعت عليها أثناء
فترة البحث لم أجد أحدا من العلماء ذكر المدينة بوصف المنورة. ومن الغريب
أن الأستاذ فهم شلتوت في تحقيقه لكتاب أخبار المدينة النبوية لعمر بن شبة
جعل اسم الكتاب: تاريخ المدينة المنورة وهذا من أعجب العجب في تغيير
تسمية المؤلف للكتاب مع أن ذلك حق للمؤلف وليس للمحقق أن يغير
الاسم ولو لم يعجبه لكن هذا من عجائب محققي هذا الزمان!!.

ب- تحديد الضابط الزمني للبحث والضابط المكاني:

منذ بدأت في هذا البحث وأنا أبحث عن مخرج لمشكلة تحديد الفترة الزمنية
لهذا البحث لأن تحديد سنة معينة أو قيام دولة أو سقوط دولة لا يمكن أن
يكون بداية أو نهاية لمرحلة من مراحل الحياة العلمية وإنما هي محاولة تقريبية.

فترة هذا البحث من سنة ١٠٠-٢٠٠هـ وقد تتحدث عن العلماء
والشعراء الذين توفوا في الفترة من سنة ١٠١-١١٠هـ فهؤلاء العلماء قد
يكون عطاؤهم قل أو توقف قبل الوفاة بسنين، وكذلك العلماء الذين توفوا

بعد سنة ٢٠٠هـ فهؤلاء قد يكون عطاؤهم خلال القرن الثاني ولكن وفاتهم في القرن الثالث الهجري.

وهذا العمل الذي قمت به هو اجتهاد مني وحسب مشورة أستاذي الفاضل. ولعلي وفقت لإعطاء الصورة الحقيقية للوضع القائم في هذه المدينة الشريفة.

أما تحديد الضابط المكاني فإني سرت على منهج الأئمة السابقين ممن كتب في تاريخ العلماء في مدينة معينة كالخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق والسخاوي في التحفة اللطيفة والفاسي في العقد الثمين وغيرهم، حيث يذكرون ساكن المدينة ومن ورد عليها.

تَهْيَاتُ

تمهيد

عندما أجلت النظر في تاريخ الحياة العلمية في القرون الأولى للإسلام أحببت أن أكتب مقدمة توضح سبب وصول المسلمين إلى ما وصلوا إليه في فترة وجيزة من نشأة الدولة الإسلامية حيث انتشر العلم بين المسلمين بصورة منقطعة النظر.

وصارت المدينة كعبة يؤمها العلماء وطلبة العلم للاعتراف من معينها الصافي حيث أنعم الله على أهل المدينة بهجرة المصطفى ﷺ وكانت هجرته إيذاناً بقيام نهضة علمية وحياة جديدة وتصورات مخالفة لما كانوا عليه قبل الهجرة.

ويمكن تأريخ الحركة العلمية منذ نزول أول آية من كتاب الله التي تحث على العلم والقراءة والمعرفة، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [القلم: ١-٥]. ثم في الآيات الأخرى التي تجعل العلم طريقاً إلى معرفة الباري - جل وعلا -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وما يرفع المؤمن عن غيره درجات في الدنيا والآخرة ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] أو يجعل الخشية والتقوى والخوف من الله بالتعمق في العلم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ومن حديث الرسول ﷺ على طلب العلم كقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على

كل مسلم»^(١). وأنه طريق موصل إلى الجنة قال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٢). والعلماء بعد ذلك ورثة الأنبياء: «الأنبياء ورثوا العلم»^(٣). وتبليغ العلم وسيلة إلى انتشاره والتعمق فيه قال ﷺ: «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فربّ مبلغ أوعى من سامع»^(٤).

ولو ذهبت أتتبع ما جاء عن النبي ﷺ لاحتجت إلى صفحات وصفحات وكم في كلامه وأمره وسيرته من العبر، كل ذلك دفع المسلمين إلى المسارعة والجد في طلب العلم والعمل بذلك. كما حث الصحابة على طلب العلم والاجتهاد فيه بأقوالهم وأفعالهم.

عن الإمام الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس عليكم بطلب

(١) رواه ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ) دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، مقدمة السنن ح ٢٢٤ (١/٨١)، وصححه العلامة محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١٤٠٦هـ، ٣٤/١، وقال ابن المبارك: فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه. ابن عبد البر (يوسف بن عمر النمري ت ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب الحديثة، القاهرة تحقيق عبدالرحمن عثمان، ص ٤.

(٢) طرف من حديث رواه مسلم، مختصر صحيح مسلم، للإمام زكي عبدالعظيم المنذري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٣٩٠هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ص ٤٩٨ ح (١٨٨٨).

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص ٤١، البغوي (محي السنة الحسين بن مسعود الفراء ت ٥١٦هـ)، شرح السنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٥، ١٤٠٥هـ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤاط ١/٢٧٦، والحديث حسنه شعيب.

(٤) رواه الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/٢، تحقيق أحمد محمد شاكر، السنن، ٣٤/٥ ح ٢٦٥٧، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٤٠.

العلم فإن لله رداء محبة من طلب بابا من العلم راده الله بردائه^(١).
وقول الإمام علي عليه السلام: كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به
إذا نسب إليه وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه^(٢).

وقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: تعلموا العلم إن تعلمه حسنة وطلبه عبادة
ومذاكرته تسييح والبحث عنه جهاد وبذله قرينة وتعليمه من لا يعلمه صدقة^(٣).
ومن حثَّ التابعين على طلب العلم، قول قتادة: باب من العلم يحفظه
الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول^(٤). وقول الإمام
الزهري: ما عبد الله بمثل العلم^(٥).

وعن عون بن عبد الله البصري، أنه قال لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله -:
إن استطعت أن تكون عالماً فكن، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تكن
متعلماً فأحبهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم. فقال عمر: سبحان الله، لقد جعل
الله - عز وجل - له مخرجاً^(٦).

ومن ثناء الإمام الشافعي على العلماء قوله: إن لم يكن العلماء الفقهاء أولياء

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٧٢. ورداء: أي كساء.

(٢) ابن جماعة (بدر الدين ت ٧٣٣هـ) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، دائرة المعارف
العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٥٤هـ، بعناية محمد هاشم الندوي، ص ١٠.

(٣) الآجري (محمد بن الحسين ت ٣٦٠هـ) أخلاق العلماء، الدار السلفية، الكويت، ص ٣١.

(٤) البغوي، شرح السنة ١/ ٢٧٩.

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص ٦١، وفي شرح السنة للبغوي ١/ ١٧٩، بمثل الفقه.

(٦) ابن أبي خيثمة (زهير بن حرب النسائي ت ٢٣٤هـ) كتاب العلم، المكتب الإسلامي، بيروت،
ط/ ٢، ١٤٠٣هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ص ٦-٧.

الله فليس لله ولي^(١).

وقد قام الصَّحابة رضوان الله عليهم بأعمال تدلُّ على حرصهم على العلم عندما أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بتعلم كتاب يهود؛ لأنه لا يأمنهم يقول زيد: ما مضى لي نصف شهر حتى حدقته^(٢). وكانوا يتحملون المشاق في طلبه حتى أن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - عندما يبلغه الحديث: أتى بابه وهو قائل، أتوسد ردائي على بابه تسفي على الريح من التراب^(٣).

أما ما ورد من التحذير لمن لا يعمل بعلمه فقد حذر الله من ذلك وجعل صاحبه ممقوتاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

هذا التحذير الشديد من الله - جل وعلا - جعل علماء الصَّحابة والتَّابعين لا يتجاوز أحدهم الآية حفظاً حتى يعمل بما فيها من الأوامر والنواهي^(٤). كما بين المصطفى ﷺ أن من يفعل ذلك لا يجد ريح الجنة حيث قال: «من تعلم علماً مما يتنقى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد

(١) ابن جماعة، تذكرة السامع، ص ١١.

(٢) ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١/٥٤٣، وقال ابن حجر: رواه البخاري معلقاً، والبغوي، وأبو يعلى موصولاً.

(٣) ابن حجر، الإصابة ٢/٣٢٣، وقال: رواه الدارمي، والحري في مسندهما.

(٤) ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت،

١٤٠٥هـ تحقيق د. إحسان عباس ٧/١٧٢.

عرف الجنة يوم القيامة، يعنى ريجها»^(١).

وعن علي أنه ذكر فتناً تكون في آخر الزمان، فقال عمر: متى ذلك يا علي؟ قال: إذا تُفقه لغير الدين وتُعلم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة^(٢). وقد خصص كثير من العلماء كتباً في فضل العلم وطلبه والعمل به منهم على سبيل المثال:

أ- محمد بن الحسين الأجري: أخلاق العلماء.

ب - ابن عبد البر النمري: جامع بيان العلم وفضله ١-٢.

ج- ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم.

د- محمد بن علي الشوكاني: أدب الطلب ومنتهى الأرب (طلب العلم

وطبقات المتعلمين).

من كل هذه النصوص السابقة في فضل العلم ووجوب العمل به وتعليمه؛ تحولت الأمة العربية من أمة تعيش على هامش التاريخ، جاهلة أمية تكاد تنعدم فيها الكتابة والقراءة^(٣)، إلى أمة رائدة قائدة معلمة لغيرها من الأمم

(١) رواه أبو داود (سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥هـ) كتاب السنن مطبوع على متن بذل المجهود في حل سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ/ خليل أحمد السهارنفوري ت ١٣٤٦هـ - ١٥/٣٤٩.

(٢) الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٤٨، وصححه الألباني.

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، رواه البخاري، وقال ابن حجر: قيل العرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة، آية ٢] فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الريان، القاهرة، ط/ ١، =

ذات التاريخ العلمي الطويل. ومن يريد أن يكتب في هذه الفترة يشعر بثقل كبير عند الحديث عن العلم والعلماء فمن يختار وعمن يكتب فجانب من حياة المصطفى ﷺ يحتاج إلى كتابات وكتابات. وقل مثل ذلك عن الخلفاء الأربعة، وعند التعرّيج على علماء الصحابة رضوان الله عليهم، يشعر الباحث بثقل المسؤولية، من يأخذ؟ ومن يدع؟ وعن أي علم يكتب؟ الحديث أم الفقه أم التفسير^(١)؟ إن كل جانب من هذه الجوانب يحتاج في بحثه إلى جهد كبير كما يحتاج إلى بسط وتوسع لا يحتمله هذا التمهيد لذا رأيت أن أقصر في هذا التمهيد على الفترة من (٩٠-١٠٠هـ) وهو العقد الأخير من القرن الأول الهجري.

وإذا أراد الباحث أن يتحدث عن العلوم في القرن الأول الهجري فإنه لا يستطيع فصل علم من العلوم عن علم آخر، كما يصعب العثور على عالم لا يجيد إلا تخصصاً واحداً وإنما يصدق عليهم في هذا المقام قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه وفقه فيما احتجج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما

= ١٤٠٧هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ١٥١/٤، وقال ابن حجر: ولا يرد

على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم قليلة نادرة.

(١) ويعجب الباحث من التركيز في القرن الأول على الجوانب السياسية في الحجاز وجعلها محور الحياة، وإغفال وإهمال الجوانب العلمية في الدراسات التاريخية ولم تسلم من هذا حتى الرسائل المتخصصة في الحياة العلمية. انظر لطيفة محمد البسام، الحركة العلمية في الحجاز من ظهور الإسلام إلى قيام الدولة العباسية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الملك سعود ١٤٠٠هـ لترى سيطرة الجانب السياسي على جميع جوانب الحياة في الحجاز واختصار المعلومات في الجوانب العلمية وعدم توخي المصادر المتقدمة والمأمونة.

سبقة من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأى منه، ولا أعلم بشعر عربية ولا بتفسير القرآن، ولا بحساب فريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً^(١).

ولنا أن نقول هذا القول عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، ما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر ولا أروي له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا نسب، ولا بكذا وكذا، ولا بقضاء ولا طب منها^(٢).

وهذا يوضح لنا كيف كان علماء القرن الأول لا يقتصرون على تخصص واحد بل لهم تبحر في أكثر من فن، ومن علماء الصحابة المشهورين أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وابن عمر وغيرهم^(٣).

وقد تلا علماء الصحابة علماء التابعين الذين سألوا الحديث عنهم في

(١) ابن سعد، الطبقات ٢/٣٦٨، وكلمة نسب تحرفت فصارت سيب والتصحيح من كتاب سير أعلام النبلاء للشمس الذهبي (محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ تحقيق مأمون الصاغرجي، وشعيب الأرنؤوط، ٣/٣٥٠. وفيه فيحدثنا العشية كلها في المغازي، والعشية كلها في النسب، والعشية كلها في الشعر. ونائل: نال على وزن بال، ومعناها رجل جواد، انظر الزبيدي (محمد مرتضى) تاج العروس، دار مكتبة الحياة، بيروت ٨/١٤٧.

(٢) الذهبي، السير ٢/٨٣.

العقد الأخير من القرن الأول الهجري وبالله التوفيق ومنه السداد.
وأول علم أتحدث عنه علم التفسير حيث نجد في هذه الفترة أبا العالية
الرياحي (ت ٩٣هـ)^(١) وهو من مشاهير المفسرين^(٢) تتلمذ على يد أبي بن كعب
رضي الله عنه وذكر له كتاب في التفسير^(٣).

وسعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ)، الذي ورد عنه الكثير من الروايات الموثقة في
كتب التفسير بالمأثور^(٤). وقد ذكر أن له تفسيراً^(٥)، وقد ذكر سعيد بن المسيب غير
واحد من العلماء في عداد مفسري التابعين^(٦). وكان ابن المسيب يخشى الوقوع في

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، تصحيح العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي
١ / ٦١، الذهبي، العبر في خبر من عبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٠٥هـ، تحقيق محمد
السعيد بسبوني زغلول، ١ / ٨٥.

(٢) قال الذهبي: كان إماما في القرآن والتفسير والعلم والعمل، انظر معرفة القراء الكبار، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ط / ١، ١٤٠٤هـ تحقيق بشار عواد معروف وزملائه ١ / ٦١.

(٣) البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، ت ٥١٦هـ) التفسير، دار المعرفة، بيروت، ط / ١،
١٤٠٦هـ تحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار ١ / ٢٩. الداودي (شمس الدين محمد بن علي
ت ٩٤٥هـ) طبقات المفسرين، مكتبة وهبه، القاهرة، ط / ١، ١٣٩٢هـ تحقيق علي محمد عمر ١ / ١٧٣.

(٤) التفسير بالمأثور: مأثر عن رسول الله ﷺ أو الصحابة أو التابعين حول آية من الآيات، ومظانه تفسير
ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي في الدر المنثور.

(٥) د. عيادة أيوب الكبيسي، مقدمة تفسير سورتي الأنفال والتوبة من ابن أبي حاتم الرازي، دكتوراه من
قسم الكتاب والسنة، بجامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ، ١ / ٤٩، وقد بحثت في كتب طبقات المفسرين
وكتب التراجم فلم أجد مؤلفا بها الاسم.

(٦) الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ) التفسير، دار المعارف بمصر، ط / ٢، تحقيق محمود محمد شاكر
١ / ٨٥. ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار القرآن الكريم، الكويت، ط / ١، ١٣٩١هـ ص ١٠٤.

الأخطاء عند تفسيره لكتاب الله ولذلك لم يكثر من التفسير واقتدى في ذلك بأبي بكر وعمر بن الخطاب^(١). ويؤيد هذا ما أورده الطبري «عن عبيد الله بن عمر، قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع»^(٢).

وقول مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب «أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئاً»^(٣). وما ورد عن يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سأله عن تفسير آية من القرآن سكت كأنه لم يسمع. ويفهم من ذلك أنه لم يكن يتوسع كغيره في تفسير القرآن حيث أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن^(٤).

ومنهم عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)^(٥) ومحمود بن الربيع (ت ٩٩هـ)^(٦)، وقد

(١) د. هاشم جميل عبدالله، فقه الامام سعيد بن المسيب، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ط/١، ١٣٩٤هـ/١١٩.

(٢) الطبري، التفسير، ١/٨٥. أحمد محمد شاكر، عمدة التفسير، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١/٤٧.
(٣) ابن كثير (إسماعيل القرشي ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، دار الشعب، القاهرة، ط/١، ١٩٧١م تحقيق محمد إبراهيم البنا وزملاؤه ٧/١.

(٤) انظر د. هشام عبدالله، فقه سعيد بن المسيب ١/١٢٠، وقال ابن جرير: فلم يكن احجامة عن القول في ذلك احجام جاحد، أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده، ولكن احجام خائف أن لا يبلغ اجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه. الطبري، التفسير ١/٨٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ٥/١٧٩، الذهبي، السير ٤/٤٢٦، الذهبي، تاريخ الاسلام، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٦٨هـ/٣/٣٢٧.

(٦) أحمد محايري، تفسير سفيان بن عيينة، ص ٢٠٢.

كان لهؤلاء التابعين جهود في التفسير بالمدينة في نهاية القرن الأول الهجري. أما علم الحديث^(١) فقد اشتهر به أبو هريرة، وعائشة، وابن عمر، وجابر بن عبدالله، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وابن عباس، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهم^(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم على درجة كبيرة من الحرص على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم، وتلقى آخر ما نزل من الوحي وقد بلغ من شدة حرصهم أنهم كانوا يتناوبون الحضور عنده، كما روى ذلك البخاري عن عمر رضي الله عنه^(٣).

وعرفت المدينة النبوية بجودة وقوة الإسناد لقربها من المصادر الأصلية، قال سفيان بن عيينة: «إذا أردت الحديث الصحيح والإسناد الجيد فعليك بأهل المدينة، وإذا أردت النسك فعليك بأهل مكة، وإذا أردت المغازي فعليك بأهل الشام»^(٤).

ومن برز من العلماء في نهاية القرن الأول، الصحابي الجليل سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه (ت ٩١هـ) وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة^(٥). ومن

(١) وهو ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، د. محمد بن لطفى الصباغ، الحديث النبوي، المكتب الاسلامي، بيروت، ط/٣، ١٣٩٧هـ ص ١٤٢.

(٢) أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، دار التراث، القاهرة، ط/٣، ١٣٩٩هـ، ص ١٥٧، هامش ٢.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٢٢٣، باب التناوب في العلم.

(٤) ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ت ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧١هـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ١/ ٣١٦.

(٥) الذهبي، العبر ١/ ٧٨، الذهبي، السير ٤/ ٤٢٣، ابن حجر، الإصابة ٢/ ٨٧.

التابعين سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) الذي كان أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وكان كثير الحديث ثباً^(١). وكان من أجلة التابعين وكبارهم لقي عدداً كبيراً من الصحابة وحمل عنهم العلم وقال عن نفسه: «إن كنت أسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»^(٢).

وقال عنه علي بن المديني: «إذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به»^(٣). وسئل عنه أبو زرعة فقال: «مدني، قرشي، ثقة، إمام»^(٤). وقد أجمع المحدثون على ثقته وضبطه، وحبه للسنة وحرصه عليها^(٥).

* عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) الإمام، عالم المدينة، قال عمر بن عبدالعزيز: «ما أجد أعلم من عروة بن الزبير، وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله»^(٦). وقد تمني عروة وهو في الحجر «أن يؤخذ عنه العلم»^(٧).

وعبر ابن شهاب عن سعة علمه بالحديث فقال: «كنت إذا حدثني عروة ثم

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/ ١٢١، الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ)، المعين في طبقات المحدثين، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط/ ١، ١٤٠٤هـ تحقيق د. همام سعيد، ص ٤٠.

(٢) الفسوي (يعقوب بن سفيان ت ٢٧٧هـ) المعرفة والتاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٢، ١٤٠١هـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ١/ ٤٦٨.

(٣) النووي (أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف الدين ت ٦٧٦هـ) تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١/ ٢٢٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/ ٦.

(٤) المصدرين السابقين، نفس الصفحات.

(٥) د. وهبه الزحيلي، سعيد بن المسيب، دار القلم، دمشق، ط/ ١، ١٣٩٤هـ ص ١١٩.

(٦) الذهبي، السير ٤/ ٤٢٥.

(٧) انظر ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ) صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٥هـ تحقيق محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي ٢/ ٨٥.

حدثني عمرة صدق عندي حديث عمرة حديث عروة، فلما تبخرتها إذا عروة بحر لا ينزف»^(١). وعروة ربيب عائشة - رضي الله عنها -؛ ولذا أكثر الرواية عنها وكان من أعلم الناس بحديثها^(٢). وكان ثقة كثير الحديث، فقيهاً عالياً مأموناً ثبتاً^(٣).

* أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري (٩٤هـ) أحد الأئمة الكبار^(٤)، روى عن أبيه وعن عدد من الصحابة وهو أحد الذين وصفهم ابن شهاب الزهري: «بالبحور»^(٥). قال فيه ابن سعد: «ثقة كثير الحديث»^(٦).

وعن ابن شهاب قال: «قدمت مصر على عبدالعزیز - أي ابن مروان - وأنا أحدث عن سعيد بن المسيب، فقال لي إبراهيم بن قارظ^(٧): «ما أسمعك تحدث إلا عن سعيد بن المسيب. فقلت: أجل، فقال: لقد تركت رجلين من قومك لا أعلم أكثر حديثاً منهما عروة وأبو سلمة»^(٨).

* علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (زين العابدين ت ٩٤هـ) وصفه

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/ ١٨١، الذهبي، السير ٤/ ٤٣٦.

(٢) ابن أبي حاتم (أبو محمد عبدالرحمن الرازي ت ٣٢٧هـ) الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٧/ ١١٨، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ٧١٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/ ١٧٩.

(٤) الذهبي، العبر ١/ ٨٣، الذهبي، المعين ٤٣.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٣.

(٦) الطبقات ٥/ ١٥٥.

(٧) إبراهيم بن قارظ: هو إبراهيم بن قارظ الكناني المدني، سمع بن عمر بن الخطاب، ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥/ ٤٣، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٣٤.

(٨) الذهبي، السير ٤/ ٢٨٩.

ابن سعد بأنه: «كان ثقة مأموناً كثير الحديث»^(١).

* عمرة بنت عبدالرحمن الأنصارية (ت ٩٧هـ) تربت مع أم المؤمنين عائشة وتعلمت عليها، يحدثنا ابن شهاب عن فضلها وسعة علمها فيقول: «قال لي القاسم بن محمد: يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى، قال: عليك بعمرة فإنها كانت في حجر عائشة، قال: فأتيتها فوجدتها بحرراً لا ينزف». وقال الذهبي: «وحدثها كثير في دواوين الإسلام»^(٢).

وحينما عزم عمر بن عبدالعزيز على جمع الحديث، كتب إلى أبي بكر بن محمد بن حزم يطلب منه تدوين الحديث بالمدينة، وأشار إلى مكانة عمرة في الحديث فقال: «إنها أعلم من بقى بحديث عائشة»^(٣).

* أسعد بن حنيف (ت ١٠٠هـ) روى عن عشرين صحابياً، وروى عنه أربعة وعشرون من الرواة^(٤)، ووصفه ابن سعد بأنه «ثقة كثير الحديث»^(٥). وعندما سئل عنه أبو حاتم الرازي: «ثقة هو؟ فقال: لا يسأل عن مثله، هو أجل من ذلك»^(٦).
وتمت علماء آخرون منهم أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٢٢.

(٢) الذهبي، السير ٤/٥٠٧، الذهبي، المعين ٣٦.

(٣) انظر ابن سعد، الطبقات ٢/٣٨٧.

(٤) المزي (جمال الدين أبي الحجاج يوسف ت ٧٤٢هـ) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ تحقيق د. بشار عواد معروف ٢/٥٢٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات ٥/٨٢، الذهبي، المعين ٣٢.

(٦) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل ٢/٣٤٤.

هشام (ت ٩٣هـ)^(١)، وحמיד بن عبدالرحمن بن عوف (ت ٩٥هـ)^(٢)، وطلحة بن عبدالله بن عوف (ت ٩٧هـ)^(٣)، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٨هـ)^(٤)، وكريب بن مسلم أبو رشدين الهاشمي (ت ٩٨هـ)^(٥)، ومحمود بن الربيع (ت ٩٩هـ)^(٦)، ومحمد بن جبير بن مطعم (ت ٩٩هـ)^(٧)، وعيسى بن طلحة بن عبيدالله (ت ١٠٠هـ)^(٨)، وبسر بن سعيد المدني (ت ١٠٠هـ)^(٩)، وغيرهم كثير ممن برز في الحديث رواية ودراية في هذه الفترة وقد لا أكون مبالغاً إن قلت إن غالبية أبناء الصحابة ومن عاش في المدينة في هذه الفترة كان شغلهم الشاغل تدارس سنة المصطفى ﷺ ومذاكرتها وما يتعلق بأحواله وغزواته ﷺ، والاهتمام بذلك اهتماماً شديداً.

أما الفقه فقد كان هناك عدد من الصحابة بالمدينة من أهل الفتوى وهم عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عمر، وعائشة^(١٠)، وابن عباس

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٠٨، الذهبي، المعين ٤٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/١٥٤، الذهبي، المعين ٣٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/١٦٠، الذهبي، السير ٤/١٧٤.

(٤) الذهبي، المعين ٤٠-٤١.

(٥) الذهبي، المعين ٤٠-٤١.

(٦) الذهبي، السير ٣/٥١٩.

(٧) الذهبي، المعين ٤٠-٤١.

(٨) ابن سعد، الطبقات ٥/١١٤، الذهبي، المعين ٣٤.

(٩) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٨٢، الذهبي، السير ٤/٥٩٤.

(١٠) النسائي (أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ) تسمية فقهاء الأمصار، المكتبة السلفية، المدينة، ط/١،

١٣٨٩هـ تحقيق صبحي السامرائي ص ٧.

حتى عهد يزيد بن معاوية.

وهذا ما جعل للمدينة المكانة الأولى على غيرها لوفرة الصحابة أصحاب الآثار النبوية، ثم أصحاب الإفتاء، والفقهاء فلا عجب من وجود الفقهاء السبعة والعشرة. ومن فقهاء المدينة في هذا العقد:

* أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام القرشي (ت ٩٣هـ) الثقة الإمام الحجة، أحد الفقهاء السبعة، وكان مكفوفاً جليل القدر عند عبدالملك ابن مروان^(١).

* سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) ومكانته في المدينة وعلمه الغزير يحمل المتبوع على إجلاله وتقديمه لتقديم أهل المدينة وعلمائها له. وهو من أهل الإفتاء والفقهاء، وكان على علم بقضاء رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر (وعثمان ومعاوية)^(٢)، وكان من المفتين مع وجود الصحابة^(٣).

عن عمرو بن ميمون، قال: «قدمت المدينة، فسألت عن أعلم أهل المدينة فدفعت إلى سعيد بن المسيب»^(٤)، وقال عبدالله بن ثعلبة لابن شهاب: إن كنت تريد هذا - يعني الفقه - فعليك بهذا الشيخ^(٥).

ويقول قتادة: «ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام منه. وطوف مكحول

(١) النسائي، تسمية فقهاء الأمصار ص ٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ١/٨٣، الذهبي، العبر ١/٨٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/١٢٠، ١٤٣.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/٨٤.

(٤) المصدر السابق ٤/٨٤.

بالأرض كلها في طلب العلم فما لقي أعلم منه^(١). وقال ابن حبان في الثقات: «كان أفقه أهل الحجاز»^(٢)، وكان أفقه الناس في رأيه^(٣)، وكان من أعبر الناس للرؤيا^(٤)، وقال علي بن المديني: «لا أعلم في التابعين أوسع علما منه»^(٥).

* عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) الإمام عالم المدينة، وأحد الفقهاء السبعة وكانت لديه كتب فقه أحرقها يوم الحرة^(٦)، ويبدو أنه كان يدرس أولاده حسب الأبواب الفقهية^(٧).

* أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف (٩٤هـ) أحد الأئمة الكبار، وصفه الزهري بأنه بحر^(٨)، وقال ابن سعد: «كان ثقة فقيها كثير الحديث»^(٩)، وقال الذهبي: «كان طلبة للعلم، فقيها، مجتهداً، كبير القدر، حجة»^(١٠).

* عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي (ت ٩٨هـ) أحد الفقهاء

(١) المصدر السابق ٨٥/٤.

(٢) ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد التميمي) الثقات، نشر دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٧هـ ٢٧٤/٤، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨٥/٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات ١٢١/٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات ١٢٤/٥، ابن قتيبة (محمد بن مسلم ت ٢٧٩هـ) المعارف، نشر دار المعارف بمصر، ط ١/١٩٦٩م، تحقيق دثروت عكاشة، ص ٤٣٧. تحقيق د. ثروت عكاشة.

(٥) الذهبي، العبر ٨٢/١.

(٦) ابن سعد، الطبقات ١٧٩/٥، الذهبي، السير ٤٢٦/٤.

(٧) د. محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٥٨/١.

(٨) الذهبي، العبر ٨٣/١، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١٦/١٢.

(٩) الطبقات ١٥٥/٥.

(١٠) السير ٢٨٧/٤.

السبعة، ثقة كثير الحديث، وهو معلم عمر بن عبدالعزيز^(١). قال أبو جعفر الطبري: "كان مقدماً في العلم والمعرفة بالأحكام والحلال والحرام"^(٢).

* خارجه بن زيد بن ثابت (ت ٩٩هـ) أحد الفقهاء السبعة وهو ممن دعاهم عمر بن عبدالعزيز لثلاثين يوماً، وذكره أبو الزناد في كتابه الفقهاء السبعة، وتفقه على والده، وكان ممن يفتى بالمدينة ويقسم الموارث، ويكتب بها وثائق - أو ما تسمى الآن بالصكوك - هو وطلحة بن عبدالله بن عوف^(٣).

ولا بد من الإشارة إلى المجلس الفقهي الذي دعاه عمر بن عبدالعزيز ليكون عوناً وسنداً على مهام الحكم، وكان يتألف من عشرة أعضاء من فقهاء المدينة، وكونه أثناء ولايته على المدينة، واعتبر إجماع هؤلاء العلماء حجة يرجع إليها عند النزاع، وطلب منهم إخباره عن أي مظلمة تبلغهم^(٤).

وكان عمر يدعوهم لأي أمر يشغله فيتداولون الرأي حوله^(٥). وكان الناس يأخذون بإجماع علماء هذا المجلس في المسائل المشككة، كما ذكر ذلك أبو

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٣.

(٣) الزبيرى (مصعب بن عبدالله ت ٢٣٦هـ) نسب قريش، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣ من تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢٧٣.

(٤) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٦/ ٤٢٧، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل القرشي ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط ٥، ١٤٠٣هـ ٧١/ ٩. والنص في البداية أوضح وأصح من نص ابن جرير.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ٩/ ٧٤.

الزناد في كتابه الفقهاء السبعة^(١). وبهذا نرى أن المجالس العلمية الفقهية التي تنشأ لحل المشاكل العويصة بدأت مبكرة في تاريخ الإسلام.

وكانت سنة ٩٤هـ تسمى سنة الفقهاء^(٢)، لكثرة من توفي بها منهم.

وكان من فقهاء المدينة:

* علي بن الحسين بن علي (ت ٩٤هـ)، وحميد بن عبدالرحمن بن عوف (ت ٩٥هـ)، وعمرة بنت عبدالرحمن (ت ٩٨هـ) وأبو عبيد مولى عبدالرحمن بن أزهر (ت ٩٨هـ). وغيرهم كثير قد يطول الوقت في استقصائهم، ولم أدلف بعد إلى الموضوع الأساسي.

ولابد من الإشارة إلى الاتصال الوثيق بين الحديث والفقه، فقد كان المحدثون هم الفقهاء كما أشرت إلى ذلك سابقاً، ولم يحدث الفصل بينهما إلا في أواخر القرن الثاني الهجري.

وكان فقهاء المدينة يعتمدون الحديث والآثار ويتجنبون الخوض في المسائل التي لم تقع بعد، والتي أكثر الخوض فيها فقهاء العراق والأرءيتيون^(٣).

(١) الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت ١/ ٢٧٤، البيهقي (أحمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط/ ١، ١٣٥٤هـ / ٨ / ٤٠. وكلا المصدرين نقل من هذا الكتاب.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/ ١٤٣، ومن مات في هذه السنة سعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف. انظر الذهبي، العبر ١/ ٨٢-٨٣.

(٣) هم الذين يكثرون ويشغلون باختراع مسائل فقهية ثم يجيبون عليها من دون تتبع الآثار والأحاديث في هذه الواقعة. انظر ابن عبدالبر، جامع بيان العلم ٢/ ١٨١، د. عبدالله سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، دكتوراه من قسم الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٧هـ / ١ / ٢١١.

أما علم المغازي والسير فقد اهتم به المدنيون، ويعتبر من العلوم الخاصة بالمدينة فيقال: لا تمار أهل المدينة في المغازي، ولا أهل الكوفة في الرأي، ولا أهل مكة في المناسك^(١).

وهذا لا يتعارض مع قول سفيان بن عيينة السابق: إذا أردت المغازي فعليك بأهل الشام. الذي يظهر أنه يقصد بالمغازي الفتوح الإسلامية، لأن مغازي الرسول ﷺ تعتبر من الحديث في ذلك الوقت ولم تفصل عنه.

* أبان بن عثمان بن عفان (ت ما بين ٩٥-١٠٥هـ)، الذي شارك مشاركة فعالة في هذا العلم فقد ذكر ابن سعد أن له مغاز^(٢)، بالإضافة إلى مشاركته في الفقه والحديث والقضاء. وعندما حج سليمان بن عبد الملك عام ٨٢، أمر أبان أن يكتب له سير النبي ﷺ ومغازيه، فقال أبان: «هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به» فأمر سليمان بنسخها وألقى بها إلى عشرة من الكتّاب، فكتبوها في رِقِّ، وتحوى هذه المغازي ذكر الأنصار في العقبين، وذكر الأنصار في بدر^(٣)، وأشار كثير من المؤرخين إلى أن أبان هو أول من دون السيرة^(٤).

(١) اليعموري (يوسف بن أحمد بن محمود ت ٦٧٣هـ) نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني، دار فرانتس شتاينر، بفسبادن، ألمانيا، ١٣٨٤هـ، تحقيق رودلف زهايم، ص ٢٣٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/٢١٠.

(٣) الزبير بن بكار، الأخبار الموقفيات ص ٣٣٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥/٢١٠، وذكر أنها كانت عند المغيرة بن عبد الرحمن وكثيراً ما كانت تقرأ عليه. مصطفى السقا، مقدمة المغازي الأولى ليوسف هورفتس، ص د، حمد الجاسر، مجلة العرب مقالة بعنوان أبان بن عثمان ٦/١٤٦.

ويمكن القول أنه أول من فصل التاريخ عن علم الحديث وجعله على حدة. وذكر الدكتور الأعظمي في مقدمته لمغازي عروة: أن أبان قد أتم التأليف في سيرة النبي ﷺ ومغازيه قبل سنة اثنتين وثمانين من الهجرة^(١).

* وكان عروة بن الزبير عالماً بالسير، وهو أول من صنف المغازي^(٢)، وقد ذكر مصنفه هذا كل من النديم^(٣)، وابن خلكان^(٤)، والذهبي^(٥)، والسخاوي^(٦). وكان الصحابة يسألونه عن بعض الأحداث من شدة حفظه؛ ذكر عبدالرحمن بن حميد بن عبدالرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وإنهم ليسألونه - أي عروة - من قصة ذكرها^(٧).

كما لم تخل هذه الفترة من الشعراء الذين تناولوا بعض الأغراض الشعرية ومنهم:

* عبيدالله بن عبدالله بن عتبة (ت ٩٨هـ) كان كثير العلم والحديث شاعراً^(٨).

(١) مغازي عروة، ص ٢٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠١/٩.

(٣) النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق ت ٤٣٨هـ) الفهرست، مكتبة الأسد، طهران، ١٣٩٠، تحقيق رضا تجدد، ص ١٢٣.

(٤) ابن خلكان (أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت، تحقيق د. إحسان عباس، ١/٥٨٦.

(٥) السير ٦/١٥٠.

(٦) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ت ٩٠٢هـ) التحفة اللطيفة، نشر أسعد طريزوني الحسيني، ط ١، ١٣٩٩هـ، تحقيق محمد حامد الفقي ٣/١٨٣.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/١٨٣.

(٨) الذهبي، السير ٤/٤٧٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/٢٣.

وصفه ابن عبد البر بأنه: كان عالماً فاضلاً، مقدماً في الفقه تقياً شاعراً، محسناً لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا هذا - فيما علمت - فقيه أشعر منه، ولا شاعر أفقه منه^(١).

وهذا صحيح فقليل من الفقهاء يقرض الشعر والقليل من الشعراء يشتغل بالفقه. ومن شعره: رسالة كتبها إلى عمر بن عبدالعزيز ومما جاء فيها:

بسم الذي أنزلت من عنده السور والحمد لله أما بعد يا عمر^(٢)

* عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) وكان هذا الإمام حافظاً ومما حفظ الشعر الذي كان يرويه عن خالته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - . ومع روايته للشعر الكثير ومعرفته به فقد كان يقرضه أيضاً^(٣). من ذلك قوله:

يا أيها المتمني أن يكون فتى مثل ابن ليلي لقد خلى لك السبلا^(٤)

ومما ورد من شعره في قصره بالعقيق:

بنيناها فأحسننا بناها بحمد الله في خير العقيق
تراهم ينظرون إليه شزراً يلوح لهم على وضح الطريق
فساء الكاشحين وكان غيظاً لأعدائي وسرَّ به صديقي

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ١٢١.

(٢) الذهبي، السير ٤/ ٤٧٧.

(٣) عادل عبدالله حجازي، الزبيريون وآثارهم الفكرية، ماجستير بقسم الأدب، جامعة أم القرى، ١٣٩٨هـ، ١/ ١٢٢.

(٤) عادل حجازي، الزبيريون ١/ ٤٢٢.

يراه كل مختلف وسار ومعمّر إلى البيت العتيق^(١)
وله أيضاً:

صار الأسافل بعد الذل أسنمة وصارت الرؤوس بعد العز أذناً
لم تبق مآثرة يعتدها رجلٌ إلا التكاثر أوراقاً وأذهاباً
وعن هشام بن عروة ، عن أبيه أنه كان يقول: "يا بني تعلّموا الشعر"
وربما قال الأبيات يمشؤها من عنده ثم يعرضها علينا^(٢).

وفي نهاية القرن الأول كان عدد من العلماء يدونون بعض العلوم، وهذا لم يكن دأب العلماء، بل كان الاعتماد الأول على الحفظ، ومن كانت له مدونات:
* عروة بن الزبير: الذي أحرق كتب فقه كانت له يوم الحرة^(٣). وقد جمع ابنه هشام بعض فتاواه وبعض تفسيره لأسباب نزول القرآن^(٤). وقد محي بعض كتبه حتى لا تنافس كتاب الله في المكانة ثم ندم على ذلك^(٥). وكان يكتب الحديث من حديث عائشة رضي الله عنها أكثر من مرة ثم يتأكد فلا يجد اختلافاً بين السابق واللاحق^(٦).

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، إعداد واختصار وتهذيب أبو الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط/١، ١٤١٦هـ ص ٥٠٤، الذهبي، السير ٤/٤٢٨.

(٢) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص ٥٠٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/١٧٩، الذهبي، السير ٤/٤٢٦.

(٤) عادل حجازي، الزبيريون ١/١٢١-١٢٢.

(٥) الذهبي، السير ٤/٤٣٦.

(٦) الخطيب (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ت ٤٦٣هـ) الكفاية في علم الرواية، دار الكتب =

* كريب بن مسلم مولى بن عباس، فقد ترك عدل بعير مما كتبه عن ابن عباس عند موسى ابن عقبة. وكان علي بن عبدالله بن عباس يطلب بعضها منها فيرسل به موسى فينسخ ثم يعاد^(١).

* أبو العالية الرياحي، صاحب التفسير فقد طلب منه خالد بن دينار كتاباً، فقال: ما كتبت إلا باب الصلاة، وباب الجنة^(٢).

محمد بن جبير بن مطعم (ت ٩٩هـ أو ١٠٠هـ) وكانت لديه مكتبة عامرة بالكتب، وكان يسمح لطلبة العلم بالإطلاع فيها؛ ولكنه يمنع خروج أي كتاب. عن ابن قسيط: أن محمد بن جبير بن مطعم احتسب بعلمه وجعله في بيت وأغلق عليه باباً، ودفع المفتاح إلى مولاة له وقال لها: من جاءك يطلب منك مما في هذا البيت شيئاً فادفعي إليه المفتاح ولا تذهبين من الكتب شيئاً^(٣).

وقد ظهرت الكتب المصنفة على الأبواب والفصول وعلى الترتيب في نهاية القرن الثاني، ولكن كل ما سبق يعتبر بدايات ومقدمات لما ظهر بعد ذلك. أما في التربية فقد استنتجت من بعض النصوص التي عثرت عليها مدى العناية التي كان أهل المدينة يولونها لهذا الفرع من العلم. منها محاولة أن تكون

= الحديثة، القاهرة، ط/ ١، ١٩٧٢م، مراجعة عبدالحليم محمد عبدالحليم وعبدالرحمن حسن محمود، ص ٣٠٩، د. الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي ١/ ١٥٧.

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٢٩٣، الذهبي، السير ٤/ ٤٧٩.

(٢) ابن عساکر (على بن الحسن بن هبة الله الشافعي ت ٥٧١هـ) تاريخ دمشق، مخطوط بمكتبة حمد آل ثاني الملحقه بالمسجد القطري بمكة، مجلد ٦، جزء واحد، ورقة ٢٦٨.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤/ ٥٠، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٥٥٠.

العلوم موافقة لقدرة المتعلم، قال عروة بن الزبير: "ما حدثت أحداً بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله إلا كان ضلالة عليه"^(١). فهو يحاول التمييز بين الناس عند طرح المسائل العلمية حتى لا تسبب لهم اضطراباً في الفهم.

ومن ذلك العناية بالناس عند تحديثهم وتعليمهم، فقد: "كان عروة يتألف الناس على حديثه"^(٢). وكانت هناك كتاتيب لتعليم الأطفال القراءة والكتابة^(٣).

وبعد فهذه صورة موجزة عن الحياة العلمية وأهمية العلم قبيل القرن الثاني الهجري وهي الأساس الذي قامت عليه الحركة العلمية الناشطة في القرن الثاني، وهو البداية للانطلاقة المباركة في العلوم الإسلامية على أسس واضحة بينة، وعلى يد رجال عرفوا العلم وقدروه حق قدره وجاهدوا وبذلوا في سبيل تبليغه لكل أحد من الناس.

ولم أُطل وأتوسع - مع أن المجال خصب - حتى لا يخرج الموجز إلى شأن آخر.
والله الموفق.

(١) الذهبي، السير ٤/٤٣٧.

(٢) الذهبي، السير ٤/٤٢٥.

(٣) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) العلل ومعرفة الرجال، نشر وتعليق د. طلعت فوج بيكت، وإسماعيل جراح أو غلى، أنقره، ١٩٦٣م، ١/٢٤٧. الخطيب البغدادي (أبو بكر ابن أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١/٢١٨. د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/١٤٤.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في الحياة العلمية خلال القرن الثاني الهجري

- أ. الحياة السياسية.
- ب. الحياة الاجتماعية.
- ج. الحياة الاقتصادية.
- د. الاعتقاد والتدوين.
- هـ. تدوين العلوم.
- و. الحلقات.

أ - الحياة السياسية

ظَلَّت المدينة مقرَّ الخلافة الإسلامية في عهد الراشدين، حتى نقلها الخليفة الرابع على بن أبي طالب عليه السلام إلى الكوفة، وفي عهد معاوية عليه السلام انتقل مقر الخلافة إلى دمشق، وقد بقى في المدينة عدد كبير من الصحابة؛ وكبار التابعين. وكان أهل المدينة ينظرون إلى الحياة من خلال سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله الذي عاش بينهم السنوات العشر الأخيرة من حياته، ومن خلال سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حيث كانت الشورى، والقرب من الناس، وحفظ بيت المال، واختيار الأكفاء من الخلفاء والأمرء؛ أموراً سائدة ومسلماً بها في عهدهم الزاهر. ولما تغير الحال عما كان عليه استنكر أهل المدينة ذلك وعبروا عن هذا الاستنكار بما قاموا به من حركات سياسية وأقوال تحبذ الشورى وتنفر من الظلم والجور من قبل من يمثلون الرأي في المدينة^(١).

(١) محمد سليمان العبد، حركة النفس الزكية، دار الأرقم، الكويت، ط/١، ١٤٠٤، ص ٩-١١، ويفسر الكاتب ثورات أهل الحجاز على أنها محاولة لإعادة الخلافة الراشدة وإزالة المظالم التي كانت قائمة، أما عن الأقوال فقد أورد الذهبي في السير ٤/٢٢٨: «كان عند سعيد بن المسيب أمر عظيم من بنى أمية وسوء سيرتهم، وكان لا يقبل عطاءهم». وقال محمد النفس الزكية: «إني لم أخرج طالبا الدنيا وزخرفها وإنما خرجت لأريح الأمة من ظلمكم وخروجكم وتعديكم»، تحفة الأولياء والأتقياء، مخطوط جامعة أكسفورد، نقلا عن د. فاروق عمر، الرسائل المتبادلة بين المنصور والنفس الزكية، مجلة العرب، الرياض، ج ١ سنة ٥، ١٣٩٠، ص ٢١، وكان زيد بن علي ينص في بيعته للناس: «إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، =

وقد أدى الانحراف عن المبادئ السامية في الشورى وغيرها إلى قيام أهل المدينة بحركات في أماكن متفرقة يجمعها هدف واحد هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أخطأ بعضها السبيل الصحيح للتغيير، وواجه القائمون بهذه الحركات قسوة شديدة في ردها. فقتل الحسين بن علي - رضي الله عنهما - وقضى على حركته التي أراد بها التغيير والإصلاح.

كما قامت بالمدينة سنة ٦٣ ثورة ضد الحكم الأموي وهي ثورة ارتجالية متعجلة، لم يخطط لها وانتهت على يد مسلم بن عقبة المري الذي عرف منذ ذلك الوقت بـ (مسرف بن عقبة) لكثرة الدماء التي أراقها ولمعاملته القاسية لأهل المدينة بعد هزيمتهم، وكان لهذه الثورة آثارا سيئة على المدينة فقد قتل من المدنيين ست وثلاثمائة رجلاً منهم ثلاثة من الصحابة^(١). قال الإمام مالك: «قتل يوم الحرة من حملة القرآن سبعمائة»^(٢).

وكان من الآثار السيئة لهذه المعركة أنها بثت الكراهية في قلوب المدنيين للحكم الأموي، قال سعيد بن المسيب: «ما أصلى صلاة إلا دعوت الله

= وقسم هذا الفياء بين أهله بالسوء، ورد الظالمين، الطبري، التاريخ ١٧٢/٧.

(١) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠)، التاريخ، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٣٩٧، تحقيق د. أكرم العمري، ص ٢٥٠. الذهبي، العبر ١/٥٠.

(٢) الذهبي، السير ٣/٣٢٥. وذكر أبو العرب تميم أسماء من قتل من أهل الحرة من قرش وغيرها. انظر كتاب المحن، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب، بيروت، ط/١، ١٤٠٣، ص ١٥٨-١٧٢. الذهبي، السير ٤/٢٣٨.

عليهم»^(١). وهان أهل المدينة لدى الناس قال عبدالله بن أبي بكر: «كان أهل المدينة أهيب الناس عند الناس حتى كانت الحرة فاجترئ عليهم»^(٢).

وقد عبر عبدالمملك بن مروان عن ذلك في قوله لأهل المدينة: «نحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبداً وأنتم تذكرون يوم الحرة»^(٣).

وفي عهد هشام بن عبدالمملك خرج زيد بن علي في الكوفة سنة ١٢٢، فروى أن هشاماً قطع عن أهل المدينة بسبب هذه الفتنة^(٤).

وفي نهاية العصر الأموي اضطربت الأمور في شرق البلاد الإسلامية وانشغل الناس بهذه الاضطرابات، فاستغل الخوارج الفرصة وقدموا من اليمن يقودهم أبو حمزة الشاري، وقامت بينهم وبين أهل المدينة معركة شديدة في قديد^(٥). أصيب فيها ثلاثمائة رجل من قريش، وأبلى فيها المدنيون

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/١٢٨، الذهبي، السير ٤/٢٣٨.

(٢) أبو العرب، كتاب المحن ص ١٧٢.

(٣) المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة التجارية بمصر، ط/٤، ١٣٨٤، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ٣/١٢٨ والخبر بدون إسناد فلعله لا يثبت.

(٤) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦) الأغاني، دار الكتب المصرية، ٧/٢٢، د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١/١٣٦، عبدالمجيد محمد صالح الكبيسي، عصر هشام بن عبدالمملك، مطبعة سليمان الأعظمي، بغداد، ١٩٧٥ م، ص ٣٤٦.

(٥) قديد: قرية جامعة، وهي كثيرة المياه والبساتين، وسميت قديداً لتقصد السيول بها وهي لخزاعة، وبينها وبين الكديد ستة عشر ميلاً والكديد أقرب إلى مكة، البكري (عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم، عالم الكتب، بيروت، تحقيق مصطفى السقا ٢/١٠٥٤.

بلاء عظيماً^(١). وتمكن الخوارج بعدها من الاستيلاء على المدينة وقبلها مكة، وقد تمكن القائد الأموي عبد الملك بن عطية القضاء على الخوارج في المدينة، ومكة، ثم سار وتبعهم إلى اليمن. واستقرت الأمور في المدينة إلى أن خرج محمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بـ (النفس الزكية) الذي كان يدعو لنفسه منذ أواخر العهد الأموي ومنذ الاجتماع الهاشمي الذي عقد خلال الاضطرابات التي حدثت في أواخر العهد الأموي، وكان ممن حضر الاجتماع بالأبواء سنة ١٢٧هـ أبو جعفر المنصور^(٢). ولذلك شدد في تعقب محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن، وقلد ولاية المدينة أكثر من وال محاولاً القبض عليهما ولكنه فشل في ذلك، وكان يرسل من يتتبع أخبارهما ليعرف

(١) حتى قيل انه ما من بيت إلا ودخله الحزن على أحد أفراده وكانت النوائح تردد:

مال الزمان وماليان أفنى قديـدر جاليه
فلأبكيـن سريـرة ولأبكيـن علانيه

انظر خليفة بن خياط، التاريخ ص ٣٩٣.

(٢) الطبري، التاريخ ٥١٧/٧، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦) مقاتل الطالبين، دار المعرفة، بيروت، تحقيق السيد أحمد صقر ص ٢٥٣-٢٥٧. الذهبي، السير ٦/ ٢١٠، د. فاروق عمر، الرسائل المتبادلة بين المنصور وذو النفس الزكية، مجلة العرب ج ١ سنة ٥ ص ١٩، وقد شكك د. فاروق ببيعة العباسيين في هذا الاجتماع، وقال د. يوسف العث في كتابه تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٠٢ ص ٣٦: «ولكن هذا القول يبدو موضوعاً أو ضعيفاً لا يؤخذ به». وكذا شكك بذلك د. محمد ماهر حمادة في كتابه الوثائق السياسية العائدة للجزيرة العربية (٤٠-٩٢٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ ص ٤١، ١٨٩. وقال د. فاروق عمر في كتابه الخلافة العباسية، نشر جامعة بغداد، ١٩٨٦م، ص ٥٧: «ويتفق البلاذري والأصفهاني والأزدي والطبري بأن الاجتماع وقع فعلاً، ولكنهم لا يتفقون على شخصية المشتركين وآرائهم».

متى حددا موعد خروجهما^(١).

ولما اشتدت المطاردة على محمد خرج بالمدينة في شهر رجب عام ١٤٥هـ، ثم خرج إبراهيم بالبصرة في شوال سنة ١٤٥هـ، واستطاع المنصور القضاء على هاتين الثورتين، وقد أوصى المنصور قائد الجيش عيسى بن موسى - الذي قضى على محمد وثورته - بأهل المدينة خيراً، ولكن المنصور شدد قبل الثورة في تعذيب عبدالله بن الحسن وأخيه الحسن بن الحسن، وكثير من آل البيت ومن تابعهم في نحو أربعمائة نفس من جهينة ومزينة وغيرهم. ومات بالسجن من مات^(٢).

ولم تؤثر هذه الحركة على الحياة العلمية كثيراً، وإن كان بعض العلماء قد أوذى بسببها كمحمد بن عجلان، وعبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب^(٣)، وجلد الإمام مالك بن أنس من أجل فتواه «لا طلاق على مكره»^(٤). ولكن لم يقتل أحد من العلماء^(٥)، كما حصل بعد ثورة الحرة من

(١) الطبري، التاريخ ٥١٩/٧.

(٢) المصعب الزبيري، نسب قريش ص ١١٤، ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم لطبقات المدنيين، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط ١/ ١٤٠٣، تحقيق زياد محمد منصور، ص ٢٥٤، ٣٧٤، ٣٨٤. ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/ ٨٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ١٠/ ٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم، ٣٥٤، ٣٦٧، ٣٤٩، الأزدي (يزيد بن محمد بن إياس ت ٣٣٤) تاريخ الموصل، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٧، تحقيق د. علي حبيبة، ص ١٨٧، ١٩٢.

(٤) ابن عبدالبر (يوسف بن عبدالبر النمري ت ٤٦٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت ص ٤٤.

(٥) محمد العبد، حركة النفس الزكية ص ١٠٢.

الطاغية مسلم بن عقبة.

وكان الأمويون قد تعرضوا بالإيذاء لعدد من العلماء أمثال عراك بن مالك^(١)، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم^(٢).

ومع هذا الإيذاء الذي لحق بعض علماء المدينة فقد استعان الأمويون بعدد من المدنيين في تولى الولايات وقيادة الجيوش منهم أبان بن عثمان، وعبدالرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وأبو بكر بن حزم، وكان لابن شهاب مكانة عالية عند بنى أمية حتى روى أنه أشار بخلع الوليد بن يزيد من ولاية العهد في خلافة هشام، ومن خلفاء بنى أمية من تربي في المدينة مثل عبدالملك بن مروان، وعمر ابن عبدالعزيز^(٣).

وكان خلفاء بنى أمية يقدمون علماء الحجاز على علماء الشَّام^(٤)، ولذلك كانوا يستفتونهم ويستشيرونهم كثيرًا، فعندما استخلف عمر بن عبدالعزيز أرسل إلى سالم بن عبدالله، ومحمد بن كعب القرظي فقال لهما: «أشيرا على»^(٥).

(١) الذهبي، السير ٥/ ٦٤.

(٢) القاضي وكيع (محمد بن خلف بن حيان ت ٣٠٦) أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت ١/ ١٤٢.

(٣) د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١/ ١٣٩.

(٤) ابن تيمية (شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ت ٧٢٨) مجموع الفتاوى، دار العربية، بيروت، ط/ ١، ١٣٩٨، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ٢٠/ ٣١٨، وسيحال على هذا الكتاب باسم الفتاوى.

(٥) ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ) العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وزملائه، لجنة التأليف والنشر، بيروت، ١٤٠٢، ١/ ٣٠.

واستقدم الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦) محمد بن المنكدر مع عدد من الفقهاء المدنيين يستفتيهم في طلاق زوجته أم سلمة، ومنهم عبدالرحمن بن القاسم بن محمد، وزيد بن أسلم^(١)، وأبي الزناد، وربيعة^(٢).

أما الولاة على المدينة في العصر الأموي فقد تولى المدينة ولاة صالحون أمثال أبي بكر بن حزم في عهد عمر بن عبدالعزيز، وعبدالواحد بن عبدالله النصرى الذي أحسن السيرة في أهل المدينة فأحبوه، وكان يستشير القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله بن عمر^(٣).

وأساء بعض ولاة بنى أمية السيرة مع أهل المدينة مثل عبدالرحمن بن الضحاك الفهري الذي نصحه ابن شهاب بعدم مخالفة ما يتفق عليه أهل المدينة وأن يشاور القاسم وسالما، ولكنه لم يأخذ بنصيحته وعادى الأنصار وضرب أبا بكر بن حزم فكرهه المدنيون^(٤)، وحاول الزواج من فاطمة بنت الحسين بن علي فرفضت فضغط عليها فاشتكت للخليفة فعزله وآذاه^(٥).

وفي العصر العباسي عرف الخلفاء لأهل المدينة مكانتهم العلمية فكانوا

(١) الذهبي، السير ٣٥٧/٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ١٠٢/٥، ٢٥٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٢١٤.

(٣) أبو زرعة الدمشقي (عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله النصري ت ٢٨١) التاريخ، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١، ١٩/١ من مقدمة المحقق شكر الله بن نعمة الله القوجاني، الطبري، التاريخ ١٤/٧.

(٤) الطبري، التاريخ ١٤/٧، ابن كثير، البداية والنهاية ٢٢٩/٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات ٤٧٤/٨. الطبري، التاريخ ١٢/٧-١٣.

يرجعون علماء الحجاز وقولهم على علماء العراق^(١)، فاستقدم الخلفاء العباسيون السفاح ومن بعده إلى المأمون عدداً من علماء المدينة لينشروا العلم في العراق وليتولى بعضهم القضاء، وليكونوا في صحبة الخلفاء.

فالسفاح (١٣٢-١٣٦هـ) استقدم ربيعة الرأي ليوليه القضاء بالأنبار^(٢) ولكنه توفي قبل أن يصل إليه^(٣)، وولى السفاح يحيى بن سعيد الأنصاري قضاء الأنبار^(٤).

وقدم عليه حرام بن عثمان الأنصاري السلمي^(٥)، وطلحة بن عبدالرحمن ابن عبدالله بن الأسود المدني الذي كان من أشرف قريش وأفاضلهم وكان ممن صحب السفاح حتى توفي^(٦)، وقدم عبدالله بن حسن بن علي بن

(١) ابن تيمية، الفتاوى ٣١٩/٢٠.

(٢) الأنبار: مدينة من مدن العراق على نهر الفرات، غربي بغداد. كان الفرس يسمونها (فيروز سابور) عمّرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثم جدها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وبنى بها قصوراً واتخذها مقراً له إلى أن مات، وفيها قتل البرامكة. انظر أزمنة التاريخ الإسلامي، عبدالسلام الترميني، ج ١ مجلد ٢، ص ١٠٢٠.

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٦٩، القاضي وكيع، أخبار القضاة ٣/٢٤٢، الخطيب، تاريخ بغداد ٨/٤٢٠، الذهبي، السير ٦/٩٢-٩٣، الذهبي تاريخ الإسلام ٥/٢٤٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٥٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٣٣٧، القاضي وكيع، أخبار القضاة ٣/٢٤١، ابن حبان (محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤) مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، تصحيح فلا يشهمر ص ٨٠، الخطيب، تاريخ بغداد ١٤/١٠١.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٨/٢٧٧.

(٦) المصدر السابق ٩/٣٤٧.

أبي طالب^(١)، وعبدالله بن السائب المخزومي المدني^(٢).

وطلب المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) في عهده عددا من المدنيين منهم يحيى بن سعيد الأنصاري الذي ولاه المنصور قضاءه بالهاشمية^(٣)، وطلحة بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الأسود الذي انتقل من الأنبار إلى بغداد بعد بنائها وأقام في صحبة المنصور حتى توفي المنصور^(٤).

وهشام بن عروة بن الزبير الذي كان مصاحباً للمنصور^(٥)، وعبدالعزیز بن أبي سلمة الماجشون الذي استهداه المنصور من المهدي الذي قدم المدينة فاخترت عبدالعزیز الماجشون وجعله مصاحباً لأبيه ثم صحب المهدي حتى توفي فصلى عليه المهدي ودفنه في مقابر قريش^(٦)، وعثمان بن عمر التيمي المدني الذي ولاه المنصور قضاءه فكان معه حتى مات بالحيرة^(٧)، ومحمد بن إسحاق

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٢٥٢، الخطيب، تاريخ بغداد ٩/٤٣١، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٣١٣.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/٤٦٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٣٣٧، القاضي وكيع، أخبار القضاة ٣/٢٤١، والهاشمية: مدينة بناها أبو عبدالله السفاح بقرب الكوفة. انظر أزمته التاريخ الإسلامي، عبدالسلام الترميني ج ١ مجلد ٢ ص ١٠٨٩.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/٣٤٧.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ١٤/٣٧.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤٣٧.

(٧) القاضي وكيع، أخبار القضاة ٢/٣٤-١٣٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ٦/٩٩. والحيرة: مدينة قرب الكوفة في أرض النجف. كانت سكناً للملك اللخمي العرب في الجاهلية. واسم الحيرة يعنى البلد المسور. فتحها خالد بن الوليد صلحاً سنة ١٢. انظر أزمته التاريخ الإسلامي ج ١ مجلد ٢ ص ١٠٤١.

الذي قدم على المنصور بالحيرة فطلب منه أن يكتب المغازي لابنه المهدي فكتبها له مطولة ثم أمره فاختصرها^(١)، وكان المنصور يفتخر بأن من رعيته عبدالعزيز بن عبدالله العدوي المدني الذي خرج مع النفس الزكية^(٢)، وقدم جعفر بن محمد (الملقب بالصادق) على المنصور^(٣).

أما في عهد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) فقد كان يرى للمدنيين منزلة خاصة يدل عليها اهتمامه بهم وإفساح المجال لهم في بعض شئون الدولة منها أنه استقدم ٥٠٠ رجل مدني وجعلهم حرساً وأنصاراً له بالعراق^(٤)، وكان في صحبته عدد من المدنيين الذي كان بعضهم قد صحب والده من قبل مثل طلحة بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الأسود^(٥)، ومحمد بن إسحاق الذي جالس وزيره عبدالله^(٦)، ومن صحبه أيضاً إسحاق بن عبدالرحمن بن المغيرة الزهري (المعروف بابن غرير)^(٧)، وعبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري الذي كان يراه

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٤٠١، ابن قتيبة، المعارف ٤٩٢، الخطيب، تاريخ بغداد ٧/٣٤٥.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤٣٤.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ٦/٤٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ٩/١٣٢.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/٣٤٧.

(٦) الذهبي، السير ٧/٥٠. والوزير هو معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، الكاتب، أحد رجال

الكمال حزمياً ورأياً، وعبادة وخيراً تولى الوزارة للمهدي، ثم وشى به بعضهم. فسجله حتى مات

سنة ١٧٠هـ. انظر الذهبي، السير ٧/٣٩٨.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٣١٦.

المهدي مع ابن غرير أكبر من المناصب^(١)، ومنهم المغيرة بن خبيب بن ثابت الزبيري الذي كان لصيقاً بالمهدي، وولاه عطاء أهل المدينة^(٢)، ومحمد بن عروة بن هشام الذي صحب المهدي ومن بعده الرشيد^(٣).

واختص أهل المدينة بمزية هي تعليم خاصة الخليفة المهدي ومن حوله حيث استدعى لهم أبا معشر السندي من المدينة^(٤)، وكان إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير مؤدب ولد المهدي علي^(٥).

ولمكافة المدينة وأهلها في نفس الخليفة طلب من واليه عليها أن يرسل إليه رجلاً يرضاه المدنيون ليقوم بحوائجهم ببغداد فأجمع المدنيون على عبد الملك بن يحيى الزبيري^(٦).

وقدم في عهد المهدي من وجوه أهل المدينة إبراهيم بن سعد الزهري، وسعيد بن سلم المجاشعي، وعبد الله بن مصعب الزبيري، فحاول أبو بكر وزير المهدي ردهم فعلم بذلك المهدي فأدخلهم، وأنكر على وزيره،

(١) المصعب الزبيري، نسب قریش ٢٤٢، الزبير بن بكار (ت ٢٥٦) جمهرة نسب قریش، دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١، تحقيق محمود محمد شاكر ص ١٢٤-١٢٩، الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/١٧٣.

(٢) المصعب الزبيري، نسب قریش ٢٤٢، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قریش، ص ١٠٩، الخطيب، تاريخ بغداد ١٣/١٩٤.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٣/١٣٧.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد ١٣/٤٢٧-٤٢٨.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٢١٩، الذهبي، السير ٨/٢٠٣، ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/١٧٥.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤٠٧.

ووصلهم، وأحسن إليهم^(١).

ومن قدم عليه الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي المقتول بفتح^(٢)، وأقدم المهدي محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب^(٣).

أما الخليفة الهادي (١٦٩-١٧٠هـ) فصحبه إسحاق بن عبدالرحمن الزهري (ابن غرير) الذي صحب المهدي قبله^(٤)، وعبدالله بن مصعب بن ثابت، والمغيرة بن خبيب بن ثابت الزبيري^(٥)، وتولى قضاء الهادي حينما كان ولياً للعهد أحد المدنيين وهو أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة^(٦).

وفي عهد الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) صحبه عدد من أهل المدينة بعضهم سبق له صحبة المهدي كمحمد بن عروة بن هشام الذي استعمله الرشيد على ديوان الزنادقة^(٧)، وإسحاق بن عبدالرحمن بن المغيرة الزهري (ابن غرير)

(١) الجهشياري (محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ) الوزراء والكتاب، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/١، ١٣٥٧هـ، تحقيق إبراهيم الايباري وزملائه ص ١٤١-١٤٢.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة ١/٥١٢. وفتح: واد في مكة وقعت فيه موقعة بين الجند العباسي وبين أبي عبدالله الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب حين خرج يدعو لنفسه سنة ١٦٩ فقتل فيها.

انظر أزمنة التاريخ الإسلامي ج ١ مجلد ٢ ص ١٠٦٩. ويسمى اليوم بـ «الشهداء».

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٢/٢٩٦.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٣١٦.

(٥) المصعب الزبيري، نسب قريش ٢٤٢، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١٠٩، ١٢٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٤٠٨، القاضي وكيع، أخبار القضاة ١/٢٠٢، الخطيب، تاريخ بغداد ١٤/٣٦٨.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد ٣/١٣٧، وديوان الزنادقة هو هيئة وإدارة عملها هو البحث والتحري والتقصي عن المرتدين وكفار المجوس والمناوية وغيرهم الذين يدعون إلى دينهم في أرض =

الذي كان له قدر عند الخلفاء وصحب الرشيد ومات في خلافته^(١)، والمغيرة بن خبيب بن ثابت الزبيري^(٢)، والعباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس الذي صحب الرشيد ثم المأمون^(٣)، وعبدالله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله الذي ولاه الرشيد القضاء بمكة والمدينة ثم عزله فقدم بغداد فلم يزل بها مع الرشيد حتى توفي سنة ١٨٤هـ^(٤)، وقدم من المدينة إلى بغداد في عهد الرشيد عبدالعزيز بن عمران بن ثابت الأعرج واتصل بيحيى بن خالد البرمكي^(٥).

وتولى القضاء في بغداد عدد من المدنيين منهم سعيد بن عبدالرحمن الذي ولى عسكر المهدي^(٦)، وعبدالمالك بن محمد بن أبي بكر بن حزم الذي تولى قضاء الجانب الشرقي (عسكر المهدي) ومات في عهد الرشيد فصلى عليه

-
- = المسلمون أو الشعوبيين والمتهتكين لمحاكمتهم وتطبيق الحد عليهم. انظر د. شاکر مصطفى، دولة بنى العباس، وكالة المطبوعات، الكويت ط/١، ١٩٧٣م، ٢/٢٢٢.
- (١) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٣١٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ١/٢٩٥.
- (٢) المصعب الزبيري، نسب قریش ٢٤٢، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قریش ١٠٩.
- (٣) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٣١٣، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٢٨٤.
- (٤) ابن سعد، الطبقات ٥/٤٣٥، الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٦١، الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٨٥هـ، تحقيق فؤاد السيد ٥/٣٦٠، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٤٠٢.
- (٥) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤٤٠.
- (٦) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ٤٦٢، خليفة بن خياط، التاريخ ٤٦٥، الخطيب، تاريخ بغداد ٦٧/٩.

ودفنه في مقبرة العباسية بنت المهدي^(١)، ووهب بن وهب (أبو البختری) الذي تولى القضاء في نفس المكان^(٢).

وولى الرشيد عدداً من المدنيين في أعمال مختلفة فأبراهيم بن سعد الزهري كان على بيت المال^(٣)، وعبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري ولاء إمارة اليمن^(٤).

وصحب الأمين (١٩٣-١٩٨هـ) عدد من المدنيين منهم العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس^(٥)، وفي عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) كان من صحابته العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس^(٦).

وتولى من المدنيين هارون بن عبدالله الزهري قضاء عسكر المهدي ببغداد، وكان ولاء المأمون قبل قضاء المصيصة ثم الرقة^(٧)، وولى المأمون سعد بن

(١) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ٤٦٤، القاضي وكيع، أخبار القضاة ٣/٢٦٧، الخطيب، تاريخ بغداد ٤٠٨/١٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٧/٣٣٢، خليفة بن خياط، التاريخ ٤٦٤، القاضي وكيع، أخبار القضاة ٣/٢٦٩، الخطيب، تاريخ بغداد ١٣/٣٣٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٧/٣٢٢، الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٨٤، السخاوي، التحفة اللطيفة ١/١١٨.

(٤) المصعب الزبيري، نسب قريش ٢٤٢، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١٢٥.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٣١٣.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٣١٣، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٢٨٤.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد ١٤/١٣، الفاسي، العقد الثمين ٧/٣٥٦. المصيصة: مدينة على شاطئ نهر جيحان، من ثغور الشام، قرية من طرسوس. كانت من أشهر ثغور الشام. أزمنا التاريخ الإسلامي ج ١ مجلد ٢ ص ١٠٨٤. والرقة مدينة معروفة على نهر الفرات في شمالي الشام، فتحها عياض =

إبراهيم بن سعد قضاء الجانب الشرقي ببغداد^(١)، وتولى للمأمون نفس المكان محمد بن عمر الواقدي^(٢) من الأئمة في المغازي والسير. وكان للإمام مالك بن أنس رحمه الله مكانة عند خلفاء بني العباس فقد رحل إليه وقابله ستة منهم وهم: المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون حملوا عنه العلم^(٣). ودعاه أبو جعفر المنصور حينما حج إلى بغداد، وأشار بتأليف كتاب يُجمع المسلمون على العمل بما فيه، فوافق الإمام على تأليف الكتاب وخالف في إلزام المسلمين بما فيه^(٤).

ومما يدل على علو منزلة الإمام مالك عند أبي جعفر المنصور قول الأخير له: «إن رابك في عامل المدينة أو عامل مكة ... فاكتب إلى بذلك ... وقد كتبت إلى عمالي بهذا أن يسمعوا منك ويطيعوا»^(٥).

وفي عهد المهدي تكررت الإشارة بإلزام المسلمين بما في الموطأ، ورفض

= ابن غنم وصارت موثلاً هشام بن عبد الملك الذي بنى قريتها في الرصافة بعض القصور. أزمنة التاريخ الإسلامي ج ١ مجلد ٢ ص ١٠٤٩.

(١) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/١٢٤، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/١٢٣.

(٢) القاضي وكيع، أخبار القضاة ٣/٢٧٠، الخطيب، تاريخ بغداد ٣/٣.

(٣) السيوطي (جلال الدين ت ٩١١ هـ) تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، المطبعة الخيرية، ط ١، ١٣٢٥ هـ، ص ٣٩، ابن تيمية، الفتاوى ٢٠/٣٢٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ٤٤٠، الطبري، المنتخب من ذيل المذيل (ملحق بالتاريخ) ٦٥٩/١١-٦٦٠، السيوطي، تزيين الممالك ص ٤٦.

(٥) القاضي عياض (بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤ هـ) ترتيب المدارك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٧ هـ/١/٢٠٩، الطبري، المنتخب ١١/٦٥٩-٦٦٠.

الإمام مالك مرة أخرى. ورغب المهدي من الإمام مالك أن يصحبه إلى بغداد فقدم له وزيره بعض المال ثم أخبره برغبة الخليفة فقال الإمام: قال النبي ﷺ «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» والمال عندي على حاله^(١).

وطلب الخليفة المهدي من الإمام أن يعلم أبناءه هارون وموسى وأن تكون طريقة التعليم مخالفة لطريقته مع تلاميذه فلم يقبل الإمام إلا أن يقفا موقف أي طالب علم مدني، وأن لا تختلف طريقة المدنين حتى ولو كان هؤلاء الطلاب هم أبناء الخليفة فانصاع الأبناء لذلك فحدثهم^(٢).

أما في عهد الرشيد الذي كان يحج عاماً ويغزو عاماً فإنه قرب مالك وأكرمه^(٣)، وطلب سماع الموطأ منه فدعاه إلى بيته كأبي طالب من الطلاب وعامله بما يعامل به طلابه^(٤).

من النصوص السابقة يتضح أن خلفاء بني أمية وبني العباس لم يبعدوا المدنين عن المشاركة في الحياة العامة وتولى بعض السلطات خاصة في مجالات التربية والتعليم والقضاء والشورى، والمدنيون لم يجمعوا عن المشاركة في مثل هذه الأعمال ويستبدلون السياسة بالترف كما توافق عليه كثير من الباحثين

(١) ابن أبي حاتم، مقدمة الجرح والتعديل ١/ ٣٢، ابن عبد البر، الانتقاء ٤٢.

(٢) الذهبي، السير ٨/ ٦٣، السيوطي، تزيين الممالك ص ٤٦.

(٣) الذهبي، السير ٨/ ٦٤.

(٤) السيوطي، تزيين الممالك ص ٤٥، أمين الخولي، مالك بن أنس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،

المعاصرين في التاريخ والأدب، حين يتحدثون عن أهل المدينة والحجازيين بعامة وموقفهم من السلطة السياسية أموية كانت أم عباسية ونورد بعض الأمثلة من كتابتهم: قال يوليوس فلهاوزون اليهودي في تاريخ الدولة العربية: «وصارت المدينة مقر التراث الإسلامي وملاذ الطبقة الأرستقراطية الإسلامية التي أزيلت عن مكانتها»^(١)، ويقول أحمد أمين: «إن الحكم الأموي بنى على الضغط والقهر، وأنهم حجروا على أهل المدينة التفكير في الشئون السياسية»^(٢).

ويقول أحمد إبراهيم الشريف: «فإنهم حين أبعدهم عن الحكم أغرقوهم بالمال فجرهم هذا إلى حياة البطولة»^(٣)، والترف حتى أصبحت المدينة مقراً للطبقة المترفة»^(٤).

ومن أعجب ما قرأت قول الدكتور إبراهيم بيضون (الرافضي): «عاشت الحجاز بعد انتقال الخلافة عنها أجواء من التلبد والكبت السياسي حيث كان محضوراً على زعمائها تجاوز الاهتمامات الاجتماعية والثقافية»^(٥)!!

(١) لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريده، ص ٣٧.

(٢) انظر أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ١١، ١٩٧٩م، ص ١٦٤، ١٧٩.

(٣) هذا ما في الكتاب ولعلها البطالة.

(٤) دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجريين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ ٢،

١٩٧٧م، ص ٤٥٢.

(٥) ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م،

ص ١٨٣.

وما ذكرت إلا نماذج مما يتناقله الباحثون عن بعضهم ثقة منهم فيمن تولى كبره، واعتماداً على مصادر شيعية كالأصفهاني والمسعودي واليعقوبي وغيرهم دون تثبت من صحة هذه المعلومات، وكان الأولى بكل باحث أن يتثبت في الحديث عن تاريخ هذه الفترة وأن لا يصدر الأحكام إلا بعد روية وطول بحث وعدم إهمال مصادر من أهم مصادر التاريخ إلا وهي كتب الحديث ورجاله التي تُقدِّم ولا شك على المصادر التاريخية لقوة أسانيدھا.

ب - الحياة الاجتماعية

تكوين المجتمع المدني وفئاته:

يتكون المجتمع المدني في القرن الثاني الهجري من فئات مختلفة اندمجت مع بعضها البعض مكونة مجتمعاً مترابطاً متماسكاً تسوده المحبة والأخوة والرحمة والود. ومن فئات المجتمع:

* الفئة الأولى: العرب من القرشيين أبناء المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، ومن القبائل الأخرى كخزاعة وسليم وجهينة وهذيل وغيرها من القبائل التي سكنت مدينة رسول الله ﷺ أو سكن بعض أفرادها.

* الفئة الثانية: الموالى وهم قسمان:

الأولى: مولى عتاقة وهؤلاء كانوا في الأصل من الرقيق ثم أعتقوا وبعد عتقهم يظل ارتباطهم بالولاء لعشيرة سيدهم، ويحملون اسم العشيرة هم وأولادهم من بعدهم.

والثاني: وهم من الأحرار يخرج أحدهم من منطقة قبيلته إلى منطقة بعيدة لسبب من الأسباب فيرتبط مع إحدى القبائل برباط الولاء فينسب إلى القبيلة التي ارتبط بها^(١).

(١) انظر د. عبدالله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٤٠٣، ص ٢٤١-٢٤٢.

والعرب والموالي يتساوون في معاملتهم وبيعهم وشرائهم وفرص تعليمهم وتنقلهم وتوليهم المناصب، وقد وصل بعض الموالى إلى مكانة عالية في المجتمع لعلمه وفضله من أمثال زيد بن أسلم الذي جالسه وأخذ عنه علي بن الحسين فقيل له: «غفر الله لك أنت سيد الناس، تأتى تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد»، فقال: «العلم يبتغى ويؤتى ويطلب من حيث كان»^(١)، وكان رحمه الله يجالس أسلم مولى عمر، فلامه بعضهم فقال: «إنما يجلس الرجل حيث يتتفع»^(٢). وكان علماء الموالى من كبار الناس وذوى الإشارة والرأي فيهم كمحمد بن عجلان الذي شارك في ثورة محمد النفس الزكية فلما سجن توسط علماء المدينة لإطلاق سراحه وقالوا: «محمد بن عجلان في المدينة مثل الحسن البصري في البصرة»^(٣). فلم تكن هناك فوارق واضحة ومؤثرة بين الناس لأسباب عرقية، وقد حاول البعض تضخيم هذه الفوارق وجعلها أساساً في قيام الدولة العباسية. وذات علاقة كبيرة في الثورات الحجازية، والثورات الأخرى في الدولة الأموية، وفسروا الصراع الداخلي في الدولة الأموية على أنه صراع بين العرب والموالى^(٤).

(١) الذهبي، السير ٤/٣٨٨.

(٢) الذهبي، السير ٤/٣٨٨.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٦٦٧.

(٤) د. جميل عبدالله المصري، الموالى وموقف الدولة الأموية منهم، دار أم القرى، عمان، الأردن، ط/١، ١٤٠٨، ١٥-١٧، وقد ذكر عددا من المؤرخين سواء كانوا مستشرقين كفان فلوتن، وجولد زيهر، وبراون، وفلهاوزن، أو عربا كجرجى زيدان، وحسن إبراهيم حسن، ود.عبدالعزیز الدوري، ود.حسن الباشا، ود. أحمد شلبي، ود. محمد الطيب النجار، ود. على حسنى الخربوطلي.

* الفئة الثالثة: الرقيق، وهم أسرى الحروب من الكفار والمشركين وغالبهم من غير العرب من الفرس والروم وغيرهم ومنهم من يكون مسلماً ووالداه من الرقيق فحكمه حكم والده ويجوز استرقاق العرب^(١). ويمتحن الرقيق عدداً من المهن كالزراعة والرعي وأعمال المنازل وغيرها، وقد اتخذ الناس من الإماء سرايا يتسرون بهن. وكان هذا حلاً لمشكلة الزواج لمن لا يستطيع القيام بأمره وواجبات وحقوق الزوجة الحرة. والأمة عندما تلد تصير أم ولد لا يجوز بيعها ويكون ذلك وسيلة لاستقرار وضعها، ومن اتخذ السرايا الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، فولد لهم من سراياهم علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله. وصارت لهم مكانة علمية عالية في المدينة^(٢). وكان الناس يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين، والقاسم ابن محمد، وسالم ابن عبدالله ففاقوا أهل المدينة علماً وتقياً وعبادةً وورعاً فرغب الناس في اتخاذ السراي^(٣)، وهذا يفسر الإحجام أو لا ثم الإقدام ثانياً.

ومن مبادئ الإسلام السعي إلى تحرير الأرقاء عن طريق العتق إما تكفيراً عن ذنوب نالتهم أو رغبة في كسب الأجر من الله تعالى.

(١) د. علي بن نفع العلياني، أهمية الجهاد، دار طيبة، ط/١، ١٤٠٥، ص ٣٧٥.

(٢) المصعب الزبيري، نسب قريش ٢٤٦، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١/٢٦٦.

(٣) عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز ص ٢٥٩.

الاستقرار الإجتماعي:

لم يكن المجتمع في المدينة مستقرا في هذه الفترة تمام الاستقرار بفعل الفتن؛ التي لم تكد تختفي فتنة إلا وتظهر أخرى وكان من أشد الفتن معركة قديد سنة ١٣٠ التي حصد فيها الخوارج ثلة من خيار رجالات المدينة ثم استقر الأمر مدة من الزمن حتى تولى أبو جعفر المنصور الحكم؛ وصار يطارد آل الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان لذلك أثره من إيذاء للناس وإزعاج للأبرياء وانتشار للتجسس.

وعندما ظهر محمد قامت الفتنة في المدينة الشريفة، ولم يستقر الأمر إلا بعد قدوم جعفر بن سليمان. وكان من تأثير هذه الفتنة قتل عدد من أبطال المدينة وخيارها ومصادرة أموالهم، يتقدمهم آل البيت ومن والاهم. ثم نالت الفتنة عددا من كبار العلماء منهم الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - الذي جلد حتى انخلعت كتفاه، والإمام محمد بن عجلان الذي كان لأهل المدينة كالحسن البصرى لأهل البصرة.

وأوذى عدد من الناس، ثم ثار سودان المدينة ورعاعها على ظلم والى المدينة الذي خلف عيسى بن موسى، وأحدثوا مفاسد؛ من سلب ونهب وخاصة في معسكر وجند عبدالله بن الربيع والى المدينة. كل هذه الأحداث كان لها تأثير سلبي على الحياة العلمية وازدهارها في ظل هذه الظروف الاجتماعية حيث شاع السجن والقتل والخوف وتقلب الأحوال، كما كانت المدينة بحكم موقعها تتأثر في بعض الأحيان بالأحداث التي تجري في أرجاء

الدولة الإسلامية فعندما قام زيد بن علي بفتنته عام ١٢٢. أوقف هشام بن عبد الملك العطاء عن أهل المدينة فازداد الفقر وساءت الأحوال وانشغل بعض الناس بالبحث عن الرزق وتعطلوا عن طلب العلم.

التكافل الاجتماعي:

التكافل الاجتماعي هو الإحساس بحاجة عامة المسلمين. ويظهر ذلك بتفقد أحوالهم، ومساعدة المحتاجين والفقراء والمعوزين، بحيث لا يحتاج مسلم فلا يجد من يسدى إليه معروفاً.

وهذا التكافل في تاريخ المسلمين بدأ مع الدعوة الإسلامية. وكانت التشريعات تضبطه وتؤكد عليه لأنه يحمي المجتمع من الانحرافات السلوكية والخلقية. ومن هذه التشريعات الزكاة، والصدقات، وصلة الأرحام، وبر الوالدين وغيرها.

وقد حفل القرن الثاني الهجري بمدينة رسول الله ﷺ بصور من هذا التكافل، من ذلك أن عبدالله بن عروة بن الزبير كان له بستان كبير من النخيل المثمرة، وفي زمن الشدة - السبع سنين - التي مرت على أهل المدينة زمن هشام بن عبد الملك، وكان عبدالله بن عروة يُدخِلُ الناس بستانه فيأكلون حتى أنزل الله المطر^(١). وهذا العمل الخير مما يخفف الأمر على المسلمين ويدل على كرم خلق وسخاء في زمن يشح الناس بما عندهم خوفاً من أن تصلهم الشدة.

(١) المصعب الزبيري، نسب قريش ص ٢٤٦، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١/٢٦٦.

وكان الإمام الزهري يخرج إلى البادية فيقرى الناس في زمن قلت فيه المؤن وعم القحط^(١).

أما المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث المخزومي فكان ينحر كل يوم جزوراً، وكان رجلاً صالحاً يأمر بالسكر والجوز فيدقان ويطعمهما أهل الصفة والمساكين، ويقول: «إنهم يشتهون كما يشتهي غيرهم»^(٢).

ومن المعروفين في مجال التكافل هشام بن عروة بن الزبير فقد كان يزوج الشبان من أقاربه ويستدين من أجل ذلك^(٣). وهذا مما يزيد الألفة في المجتمع ويقوي روابطه، ويبعد عنه عوامل الفساد والانحراف.

وكان من العلماء من لا يقبل صحبة أحد إلا بشرط أن يكون هو المنفق كربيعة بن أبي عبدالرحمن، والزهري. وكان ربيعة يتفقد حال إخوانه وأصدقائه، وكان سخياً بما في يديه.

وفي المدينة وجد أهل الصفة وهم الذين اشتغلوا بطلب العلم وتفرغوا للعبادة، وسكنوا شمال مسجد النبي ﷺ فيما يسمى بالصفة، وكان المدنيون يواسونهم ويتفقدون أحوالهم، فكان سالم بن عبدالله بن عمر يرافقهم في الحج

(١) ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ت ٥٧١) تاريخ دمشق، ترجمة الزهري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٢، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ص ١٧٦.

(٢) ابن قدامة (عبدالله بن محمد المقدسي ت ٦٢٠) التبيين في أنساب القرشيين، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط/١، ١٤٠٢ هـ تحقيق محمد نايف الدليمي ص ٣٢٢. الذهبي، السير ٩٢/٦.

(٣) الذهبي، السير ٤٥/٦.

ويذبح لهم في كل منزل شاة^(١).

وكان عامر بن عبدالله بن الزبير معروفاً بالبر والإحسان وتفقد أحوال الفقراء والمعوزين وكان يختار وقت سجود المشهورين بالعبادة، أمثال أبي حازم وصفوان بن سليم ومحمد بن المنكدر وغيرهم، فيضع الصرة بها الدنانير والدراهم في نعالهم، وكان يفعل ذلك خشية أن يذلمهم بهذا الفعل^(٢).

وكان الإيثار منتشرأ في المدينة بين العلماء وغيرهم، وهو من دعائم التكافل، فقد دفع إلى صفوان بن سليم خمسون ديناراً؛ فأرسل بها إلى محمد بن المنكدر، واكتفى منها بخمسة دراهم فقط^(٣). وكان أبو بكر بن يحيى بن حمزة الزبيري يجري على أكثر من صاحب خمسة دنانير في الشهر ويقفات هو وأسرته الشعير^(٤). وقيل لعامر بن عبدالله بن الزبير: «أخطأ الجراد نخلك وأصاب الناس». فقال: «أشهدكم أنها صدقة على المساكين»، فقيل له: «بالنخل تصدق أم بالتمر». قال: «لا أراه والله إلا بالنخل»^(٥). وكان ربما أخرج البدره فيها عشرة آلاف درهم فيقسمها فما يصلي العتمة ومعه منها درهم^(٦).

(١) ابن بدران (عبدالقادر بن أحمد ت ١٣٤٦) تهذيب تاريخ دمشق، لابن عساكر، دار المسيرة، بيروت، ط/٢، ١٣٩٩، ٥٦/٦.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٣١.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ١٩٣.

(٤) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١/٦٧٠.

(٥) المصدر السابق ١/٢٢٤، د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١/١٧٥.

(٦) أبو نعيم (أحمد بن عبدالله الأصبهاني ت ٤٣٠) حلية الأولياء، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٥١ - ٢٣١/٢، ١٣٥٧.

ومع أن بعض المدنيين كان ينفق ما زاد عن حاجته إلا أن هناك من أنفق كل ما عنده كما فعل الحكم بن حنطب المخزومي الذي أعطى كل ما يملك ثم ركب فرسه يريد الغزو، وصفوان ابن سليم الذي كان يقتات الخبز بالزيت والخبز بالملح، ولما جاءه سائل أعطاه ديناراً^(١).

من خلال النصوص السابقة نجد الألفة ترفرف على هذا المجتمع الذي يتفقد الأغنياء فيه أحوال الفقراء. وأن العلماء كانت لهم مكانة كبيرة في المجتمع لصدقهم وعلمهم ومخالطتهم للناس وتفقدهم لأحوالهم. قال الدكتور عبدالله الخلف - بعد أن حشد عدداً من النصوص حول هذا الموضوع -: ومن هنا يظهر «أن كثيراً من الأغنياء لم يكونوا ينفقون أموالهم على متطلبات الترف واللهو، ولكنهم يعودون بفضل تلك الأموال على الفقراء والمحتاجين ليواسوهم بها»^(٢).
وبعد فهذه إحدى صور العطف والرحمة في المجتمع المدني.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودوره في درء مخاطر الانحراف:

حرص المدنيون على تحقيق الأمن والعدل والاطمئنان وكان كثير منهم حرباً على الظلم والطغيان والاعتداء وكل مظاهر الانحراف انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] وعندما يترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) المصدر السابق، ٣/ ١٦٠، د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز ١/ ١٧٦.

(٢) مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١/ ١٧٧.

المنكر تنحرف الأمة؛ قال ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم»^(١).

ولقد كان علماء المسلمين في القرن الثاني الهجري وغيره إلى يومنا هذا في مقدمة من يلتزم أمر الله ورسوله ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً على المجتمع من القوارع التي تحل به إن ترك هذا الأمر.

فعمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - كتب إلى أمراء الأجناد يحثهم على إقامة الصلاة والمحافظة عليها في أوقاتها، ودعا إلى تعاقد شرائع الإسلام، وأمر العلماء والفقهاء بنشر علمهم بين الناس^(٢). وأمر عمر رحمه الله أمير الحجاز بتسديد دين كل من عليه دين بشرط أن لا يكون لرذيلة^(٣).

ومن العلماء الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في القرن الثاني الهجري: إبراهيم بن محمد السجاد التيمي ت ١١٠^(٤)، وسعد بن إبراهيم الزهري ت ١٢٥^(٥)، ومحمد بن عبدالرحمن ابن أبي ذئب ت ١٥٩^(٦)، وهشام

(١) رواه الترمذي، وضعفه الألباني. انظر ضعيف الجامع الصغير ٥/٣٥٥ ح ٤٧٧٦ وفي الباب حديث رواه الطبراني عن أبي موسى ورجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد ٧/٢٦٩.

(٢) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز ٧٢-٧٣، وتكرر هذا الحث من عمر في ص ٨١، ٨٢، ١٠٦، ١٤٢.

(٣) د. محمد على مختار، دراسات في تاريخ العرب، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦ م ص ٢٤٠.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة ١/١٣٩.

(٥) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١/١٦١.

(٦) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٧٦، الذهبي، السير ٧/١٤١، ١٤٠، ١٤٣.

بن عبدالله بن عكرمة^(١)، وأبو نصر الجهني ت ١٩٥^(٢)، وعبدالله بن عبدالرحمن المخزومي^(٣)، وعبدالله بن عبدالعزيز العمري^(٤). ولم يقتصر هؤلاء العلماء على تطبيق ذلك على عامة المسلمين فقط بل أمروا الخلفاء بالمعروف والإحسان إلى المسلمين، وخوفوهم بموقفهم أمام الله سبحانه وتعالى.

ومن مواقف النهي عن المنكر ومعاقبة من يرتكب ما نهى الله عنه ما قام به سعد بن إبراهيم قاضي المدينة من ضرب عبدالمجيب الملقب ب (قند) على شرب الخمر والغناء^(٥)، والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله كان شديداً على المنحرفين والفساق حيث قدم على السيادة^(٦)، فسمع به ابن هرمة - وهو شاعر مشهور بشرب الخمر - فأرسل له بعض الأبيات يستجديه فسأل

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/٤٢٢.

(٢) الزبير بن بكار، الأخبار الموقيات، تحقيق د. سامي مكّي العاني، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ط/١، ١٩٧٢م ص ١٤٤، ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/٢٢٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/٤٢٢.

(٤) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٨١.

(٥) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١/١٦٥.

(٦) السيادة: آخر شرف الروحاء. وهي على ثلاثين ميل من المدينة، وكان بها عيون وسكان، وكان لها وال من جهة وال المدينة ولأهلها أخبار وأشعار وشرف الروحاء لولد الحسين بن علي بن أبي طالب ولقوم من قريش وعلى ميل منها عين تعرف بسويقة لولد عبدالله بن حسن. السمهودي (نور الدين على بن أحمد ت ٩١١) وفا الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط/٣، ١٤٠١، ٣/١٠٠٨، ٤/١٢٤٠.

الحسن عنه فقيل: «إنه في جمع من أصحابه مقيمين على الشراب»، فقال الحسن: «عليّ عهد الله إن لم أخبر بقصته أهل السيادة» فدعا أميرها، وكان معروفاً بالشدة على السفهاء؛ فسمع ابن هرمة بالخبر فهرب هو وأصحابه^(١). وعندما توفي ابن هرمة لم يخرج في جنازته إلا أربعة أشخاص فقط مع أن غيره من الناس يخرج في جنازتهم عدد من الناس^(٢).

وتحرك العلماء ضد ما يرونه من تقصير في واجب أو انحراف في جانب أو زجر لفاسد ومنحرف يدل على بلوغ المجتمع المدني مكانة عالية من السمو الأخلاقي. فكانت غالبية المجتمع ملتزمة بأحكام الشرع المطهر. والفاسق والمنحرف إما أن يكون مجاهراً معروفاً بالفسق كابن هرمة والأحوص الأنصاري، وهذا لا يترك إنما يعاقب وقد يغرب ويطرد كالأحوص، وإما أن يتلى فيتوارى حياء وخجلا من الناس، كابن سيحان الذي وجده ابن حرملة ملقى في الطريق من السكر فأدخله عنده حتى أفاق فاستحيا. وقال: «والله لا أعود»^(٣).

ومما يؤكد عدم ظهور المنكرات في المدينة خلافاً لما يدعيه كثير من باحثي

(١) ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق ٢/٢٤٣.

(٢) الوزير المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت ٤١٨) الإيناس في علم الأنساب، نشر النادي الأدبي بالرياض، تحقيق حمد الجاسر، ط/١٤٠٠، ص ٢٦٨، د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ٢/٧٥١.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/١٣٧.

التاريخ والأدب، قول ابن أبي الزوائد الذي زار بغداد في عهد المهدي فساءه ما رأى من المنكرات فقال:

فسقى الله طيبة الوبل سحا وسقى الكرخ والصرارة للرداذا
بلدة لاترى بها العين يوما شاربيا للنيذ أو نباذا
أو فتى ماجنا يرى اللهو والبا طل مجدا وصاحباً لوادا^(١)

ومن المظاهر الاجتماعية: العبادة والعباد:

مع شيوع التكافل الاجتماعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدينة النبوية في القرن الثاني الهجري كانت هناك ظاهرة ملفتة للنظر، وهي كثرة العبادة، والصالحين حتى عرفت بذلك بيوت وأسر بأكملها، كآل الزبير الذين كان منهم عامر بن عبدالله بن الزبير الذي كان عابداً منقطعاً^(٢). ومصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير الذي كان من أكثر الناس ركوعاً وسجوداً، وكان كثير الصيام وقد قشم جلده على عظمه من العبادة^(٣)، ومنهم أسرة آل المنكدر عمرو ومحمد ومليكة وفاطمة ووالدتهم، الذين كانوا من أعبد الناس وأزهدهم^(٤)، حتى قال أعرابي خرج من المدينة بعد أن سئل عنها فقال: «بخير، وإن استطعت أن تكون من آل المنكدر فكن». وكان عمر بن المنكدر باراً

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ١٤/١٢٦.

(٢) الزبير بن بكار، جمهرة النسب ١/٢٢٠-٢٢١.

(٣) المصدر السابق ١/١١٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٢٠٠، ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٤٠، ١٤٥، ٢٠١، ٢٠٢.

بوالدته حتى أنه خالفها في أمر فلما تبين له أنه مخطئ قال: «يا أمه إني أحب أن تضعي قدمك على خدي»، فلم يزل يطلب منها، حتى وضعت قدمها على خده^(١).

ومن آل البيت أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، وابنه جعفر بن محمد، وموسى بن جعفر^(٢)، وهم من أحفاد الحسين عليه السلام.

أما أحفاد الحسن عليه السلام فكان فيهم عدد من العباد الصالحين أمثال: عبدالله بن الحسن بن الحسن^(٣)، وحسن بن حسن بن حسن^(٤)، ومحمد بن حسن بن حسن (النفس الزكية)^(٥).

ومن آل البيت علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وزوجته زينب بنت عبدالله بن الحسن بن حسن؛ اللذين ضرب بهما المثل ف قيل: «ليس بالمدينة زوجان أعبد منهما»^(٦). وكان لإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أربعة أولاد عباد يسمون أوتاد المسجد^(٧).

ومن أهل المدينة من كان مستجاب الدعوة يدعو الله في زمن الجذب

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ١٩٩.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٠٨، ١٦٨، ١٨٤.

(٣) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ١٢٧، محمد العبد، حركة النفس الزكية ٥٨.

(٤) محمد العبد، حركة النفس الزكية ٥٩.

(٥) المرجع السابق ٦٠.

(٦) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٢٥٨، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٢١٨.

(٧) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١/١٦٠.

فيرحم الله به الناس، فينزل المطر، ثم يدعو أن يوقف الغيث فيوقفه^(١).
ومن كثرة العباد والصلحاء بالمدينة والحجاز صار الحجاز مكانا لإصلاح
القلوب قال سفيان الثوري رحمه الله: «وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة»^(٢).
هذه صورة من صور حياة المجتمع المدني في القرن الثاني الهجري. وكان
علماء المدينة في طليعة العباد والزهاد، ممن ذكرت أخبارهم؛ أو لم أذكرها وكان
للعلماء والزهاد دور في المجتمع، ولا تقتصر عبادتهم وزهدهم على أنفسهم،
إنما كانوا قدوة للناس ومعلمين لهم ومقدمين في مجالات الخير والفضيلة، وفي
مقدمة الناهين عن المنكر والأميرين بالمعروف حيث كان لهم تأثير كبير في رقي
المجتمع وبعده عن المحرمات.

الغناء بالمدينة:

اشتهر القول بأن أهل المدينة لا يرون الغناء بكل أنواعه من الأمور
المحظورة كغيرهم من أهل الأمصار الإسلامية الأخرى، وهذه الشهرة وردت
نظريا في كتب الفقه والتراجم. ونُقلت وقائع في كتب الأدب وخاصة كتاب
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني فهل شهرته تدل على وجود الغناء بكل
أشكاله؟ هذا ما سأناقشه هنا.

فمن الناحية الفقهية فقد ورد عن يحيى بن القطان قوله: «لو أن رجلاً
عمل بكل رخصة، بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع، وأهل

(١) الزبير بن بكار، الأخبار الموقيات ١٤٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٨٩، ١٩٠، ١٩٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٦/٣٧١.

مكة في المتعة، لكان فاسقاً»^(١).

وقال ابن قدامة: «وأما فقد اختلف العلماء فيه، وكان أهل المدينة يرخصون فيه»^(٢).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قيد الأمر حيث ذكر: «أن طائفة من أهل المدينة استحلّت الغناء حتى صار يحكى ذلك عن أهل المدينة»^(٣).

أما عند مؤرخي الأدب فقد اعتبروا الحجاز وخاصة المدينة مقراً للهو والعبث والغناء معتمدين في ذلك على ما ورد في كتاب الأغاني، يقول د. شوقي ضيف: «الغناء شارك فيه كل المدنيين من شباب وشيوخ ومجان وعباد»^(٤). ويقول د. طه حسين في المدينة: «حيث مجالس الغناء والخمر، وحيث يجتمع الرجال بالنساء، وحيث الرقص المشترك»^(٥). أما د. نجيب البهيتي فيقول: «كان علماء الدين في الحجاز يقبلون على هذه الموسيقى ويحبونها، ويوقفون دروسهم لسماعها»^(٦).

-
- (١) أبو بكر الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري، مطابع القصيم، الرياض، ١٣٨٩ ص ٣٢. وقال ذلك معمر بن راشد أيضاً.
- (٢) ابن قدامة المقدسي (موفق الدين عبدالله بن أحمد ت ٦٢٠) فتاوى السماع، تحقيق أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، ضمن المصنفات الصغيرة، مطابع الفرزدق، الرياض ط ١، ١٤٠٤ ص ٢٢٧.
- (٣) صحة أصول مذهب أهل المدينة ٤٧.
- (٤) الشعر والغناء في مكة والمدينة ١٩٢.
- (٥) من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩ م، ٧٨/٢.
- (٦) تاريخ الشعر العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٢ م، ص ١٢١.

وأمام هذه الأخبار لابد من توضيح الحقائق:
فالغناء كما فصله العلماء: تعريفه: هو رفع الصوت بالشعر. وهو قسمين
حسب تقسيم الأذرعى والقرطبي.

الأول: «ما اعتاد الناس استعماله لمحاولة عمل وحمل ثقيل، وقطع مفاوز
سفر ترويحاً للنفوس وتنشيطاً لها، كحذاء الأعراب بإبلهم، وغناء النساء
لتسكين صغارهن، ولعب الجوارى بلعبهن».

الثاني: ما ينتحله المغنون العارفون بصنعة الغناء^(١).

وكان أهل المدينة يبيحون النوع الأول فقط. وقد حاول بعض الأدباء
الكذب عليهم بوضع أخبار تدل على أنهم يبيحون جميع الأنواع. والدليل على
إباحتهم للنوع الأول: ما رواه الفاكهي بإسناد صحيح عن ابن الزبير، أنه قال:
«وأي أصحاب رسول الله ﷺ لم اسمعه يتغنى بالنصب». قال سفيان: قال
هشام: قال لي ابن المنكدر: «لم يُجَدِّثُ سفهاء المدينة بكذا وكذا؟ يعني
بهذا»^(٢).

والنصب: «ضرب من النشيد بصوت فيه تمطيط»^(٣)، واتفق كل من

(١) ابن حجر الهيتمي (أحمد بن محمد بن علي ت ٩٧٤) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، تحقيق
محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ص ٥٩-٦٠.

(٢) الفاكهي (أبو عبدالله محمد بن إسحاق ت ٣) أخبار مكة، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة
النهضة الحديثة، مكة، ط ١، ١٤٠٧/٣/٢٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١٠/٥٥٩.

الطرطوشي^(١)، وابن حجر العسقلاني^(٢)، على أن ما ورد عن الصحابة والتابعين في الغناء فإنها المقصود به هو النصب.

وقال الماوردي عن النصب: «وهو من الغناء الساذج الذي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه من غير نكير إلا في حالتين، أن يكثر منه جداً، وأن يصحبه ما يمنعه منه»^(٣).

ولا نبعد كثيراً مع أقوال العلماء بل نعود إلى علماء المدينة في القرن الثاني لنسمع ما يقولون حول هذا الموضوع، فقد وردت روايات عن عدد من كبار علماء المدينة بكره الغناء منهم: عكرمة، ونافع مولى ابن عمر، وعمر بن عبدالعزيز، والقاسم بن محمد، ومحمد بن المنكدر، وعثمان بن عروة بن الزبير، وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن، والإمام مالك، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وعلي ابن الحسين^(٤).

قال القاسم - رحمه الله - لرجل سأله عن الغناء: «انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق من الباطل ففي أيهما يجعل الغناء»^(٥). وقال عمر بن عبدالعزيز لمؤدب

(١) الرخصة في الطرب والغناء، ورقة ٢٣٤، نقلا عن د. الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ٥٨٦/٢.

(٢) فتح الباري ١٠/٥٤٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١٠/٥٥٩.

(٤) انظر الملحق رقم ٤ العلماء المدنيين الذين رويت عنهم نصوص حول تحريم أو كراهة الغناء.

(٥) ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ت ٢٨٠) ذم الملاحية، تحقيق عمرو عبدالمنعم سليم،

مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط/١، ١٤١٦ ص ٤٨، ابن الجوزي، تلبس إبليس، إدارة الطباعة

المنيرية، القاهرة ١٣٦٨، ص ٢٣٥.

ولده: «ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب، كما ينبت العشب الماء. ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء يتتفع به»^(١).

وقال محمد بن المنكدر: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو، ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياض المسك»^(٢).
أما إمام دار الهجرة مالك رحمه الله فقد قال لعيسى الطباع - عندما سأله عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء: -: «إنما يفعله عندنا الفساق»^(٣)، وكان ينهى عن الغناء وعن استماعه. وقال: «إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب»، وهو مذهب سائر أهل المدينة^(٤).

وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي عندما سأله أحدهم قائلاً: «أنتم ترخصون في الغناء؟ معاذ الله ما يفعل هذا عندنا إلا الفساق»^(٥).

(١) ابن أبي الدنيا، ذم الملاهي ص ٥١. ابن الجوزي، تليس أليس ٢٣٥.

(٢) ابن أبي الدنيا، ذم الملاهي ص ٦٦. ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط ١/١٤٠٤، تصحيح وضبط نعيم زرزور ص ٢٩٦.

(٣) أبو بكر الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٣٢.

(٤) ابن الجوزي، تليس أليس ص ٢٢٩.

(٥) أبو بكر الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٣٢.

ولم يكن أحد من الصحابة والتابعين يحضر مجالس الغناء لا بالحجاز ولا في غيرها من الأمصار^(١).

وقد نفى الإمام الأذرعى أن يكون علماء المدينة ممن يستمع أو يجيز الغناء، فقال: «إنما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة»^(٢).

وقال الشافعي عن الغناء: «أول من أحدثه الزنادقة في العراق حتى يلهو الناس عن الصلاة وعن الذكر»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنما وقعت الشبهة فيه لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع إلا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم»^(٤).

أما ابن حجر الهيتمي فقال: «أهل المدينة بريئون من نسبة ذلك إليهم»^(٥). بعد هذه الأقوال الواضحة البينة يمكن أن يقال إنهم كانوا يجيزون سماع الغناء، أو أن فقهائهم كانوا يسمعونها!!؟؟.

وقد ورد خبر في بعض الكتب^(٦)، أن الإمام مالك كان يغنى!!، ولكن الأسانيد كلها غير صحيحة. والكتاب كتاب مجون وسمر وهو مع تغليف

(١) انظر ابن تيمية، الفتاوى ١١/٥٣١، ٥٦٩.

(٢) ابن حجر الهيتمي، كف الرعاع ص ١٢٦، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ضبطه وكتبه هوامشه أحمد عبدالشافى، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٠٧، ٢/٢٣٩.

(٣) ابن حجر الهيتمي، الزواجر ٢/٣٣٩-٣٤٠.

(٤) ابن تيمية، الفتاوى ١١/٥٧٧.

(٥) كف الرعاع ص ١٢٩، الزواجر ٢/٣٠٨.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ٢/٢٣٨، الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٨٤.

صاحبه له بالأسانيد في محاولة لترويج الباطل. وقد ورد عن الإمام مالك بأسانيد صحيحة ما يخالف ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن ذكر عن مالك أنه ضرب بعود فقد افترى عليه»^(١)، وقال ابن حجر العسقلاني عما روى عن مالك: «ولا يغتر بها فإنها من رواية هذا الكذاب إسحاق بن محمد النخعي»^(٢).

وورد الخبر عن استماع وإباحة إبراهيم بن سعد للغناء، وبنفس أسانيد الرواية عن مالك، وهي أسانيد لا تقف أمام النقد. قال ابن حجر الهيثمي: «هذا من جملة الكذب على إبراهيم بن سعد». وقد مر عن القرطبي أن نقل إباحة الغناء عنه شاذ^(٣)، والراوي هو إسحاق بن محمد النخعي الكذاب. وأما عن ابن الماجشون فإنه اتهم لم يثبت بحادثة معينة. قال د. الخلف: أما ما نسب إلى بعض الأفراد في ذلك المجتمع كإبراهيم بن سعد الزهري، ويعقوب بن الماجشون، فهو قول مشهور كثر ناقلوه والمشيرون إليه، ومع ذلك فإن كثيراً من الأخبار التي نسبت إليهم قد دخلها كثير من المبالغة والأكاذيب^(٤).

(١) الفتاوى ٥٧٨/١١.

(٢) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط/٢، ١٣٩٠، ١/٣٧٣.

(٣) كف الرعاع ١٣٠.

(٤) مجتمع الحجاز في العصر الأموي ٦٠٤/٢.

ود. الخلف ممن درس موضوع الغناء بالحجاز دراسة علمية في رسالته للدكتوراه وقال بعد مناقشة طويلة: «ومن الواضح أن القول بأن أهل الحجاز أو أهل المدينة كانوا يبيحون الغناء المتقن الصنعة المصحوب بالآلات الموسيقية المختلفة كالعود واليراع ونحوهما، قول ضعيف جداً، وهو لا يستند إلى أدلة كافية، كما أنه مُعَارَضٌ لما نقله عنهم كثير من العلماء أو نقله عن بعضهم، ولا سيما أن بعض الذين نقلوا الإباحة ممن طعن في عقيدتهم وعدالتهم، أو ممن كانت لهم ميول صوفية دفعتهم إلى حشد الأقوال والروايات تأييداً لرأيهم في الغناء»^(١).

وكانت نظرة العلماء للغناء ومن يقترب منه نظرة ازدراء واحتقار فيوصف المغنى بالمخنث^(٢). ومن يجالس المغنين تسقط عدالته، ولا يروى عنه كصالح بن حسان النضري^(٣).

وكان الولاة يشددون على المغنين منذ القرن الأوّل^(٤)، واستمر الأمر في القرن الثاني، فقد أتى هشام بن عبد الملك برجل عنده قيان وخمر وبربط، فأمر بأن يكسر البربط على رأسه ويضرب^(٥). وتولى سعد بن إبراهيم ولاية المدينة

(١) المرجع السابق ٦٠٣/٢.

(٢) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات ص ٣٢، ابن تيمية، الفتاوى ٥٦٥/١١.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٤٥٠، ابن قتيبة، المعارف ٤٨٦.

(٤) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي ت ٢٨٥) الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف،

بيروت، مكتبة النصر، الرياض، ١٣٨٦/١ ٣٨٠.

(٥) الطبري، التاريخ ٧/٢٠٣. والبربط: من ملاهي العرب وهو العود.

فأشدد على سفهائها وشعرائها ومغنيها^(١).

وشدد أحد ولاة المدينة على المغنين والمختنين والسفهاء، وأمرهم بلزوم مسجد رسول الله ﷺ^(٢).

وقد أمر الخليفة المهدي بنفي المغنين ومنع القينات من الغناء، وأخرج المتشبهات من النساء بالرجال، والرجال المتشبهين بالنساء، ومنع لعب الشطرنج وغيره من الأمور التي تجر إلى اللهو والطرب^(٣).

إن مجتمع المدينة في القرن الثاني الهجري مجتمع بعيد عن اللهو والعبث والمجون، يغلب عليه الجد والعبادة وطلب العلم مع أن ذلك لا ينفي وجود أقلية من السفهاء ولكنهم كانوا محتقرين يرفع أمرهم إلى الخلفاء والولاة فيسجنون أو يبعدون عن المجتمع كما فعل بالأحوص الأنصاري الذي أبعده إلى جزيرة دهلك^(٤).

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ٣/٣٥٩، د. الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ٢/٦٨٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ٢/٢١٥، د. الخلف، مجتمع الحجاز ٢/٦٨٤.

(٣) ابن فهد (النجم عمر بن فهدت ٨٨٥) إنحاف الوري، تحقيق فهم محمد شلتوت، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة، ط/١، ١٤٠٤، ٢/٢٠٢.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/٩١. دهلك: جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة. بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢/٤٩٢.

ج - الحياة الاقتصادية

للحياة الاقتصادية تأثير كبير في حياة الناس، مثلها في ذلك مثل عوامل كثيرة أخرى، كالعوامل الفكرية، والاجتماعية، والسياسية. فليست الحياة الاقتصادية الجانب الوحيد المؤثر في حياة الناس^(١). والاقتصاد في المدينة له جوانب متعددة كالزراعة، والتجارة، والصناعة، والعطاء.

والزراعة في المدينة لم تكن مثل الزراعة في العراق، والشام، وحول نهر النيل، وكذلك كان حال التجارة، والصناعة. فلم تكن هذه المهن لتنتج أثرياء كبارا كما كان في مثيلاتها من البلاد الإسلامية الأخرى. ومن التجاوز القول بأنها كانت تكفى لسد حاجة سكان المدينة نفسها.

أما العطاء فقد كان يقدم في غالب الأحوال وقد يُقطع أحيانا بسبب من الأسباب كعصيان أو ثورة ومثال ذلك ما حصل في عهد هشام بن عبد الملك حيث أوقف العطاء تأديبا للمدنيين على مشاركتهم في فتنة زيد بن علي^(٢). ومع تقبل سكان المدينة النبوية للعطاء إلا أنهم كانوا على جانب كبير من نبل

(١) د.أحمد العوايشة، موقف الإسلام من نظرية ماركس، نشر جامعة أم القرى، ط/١، ١٤٠٠، ص ٤٩٧-٤٩٨.

(٢) د. عبدالله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ٥٤.

الأخلاق والتعفف، فعندما أرسل هشام بن عبد الملك العطاء إلى المدينة؛ وكان ناقصاً فزاده من صدقات اليمامة، رفض أهل المدينة ذلك. وقالوا: «لا نأخذ عطاءنا من صدقات الناس وأوساخهم بل نأخذ الفيء»، فَرُدَّتِ الأبل وأمر هشام بأن يتمم العطاء من الفيء^(١).

وسيركز حديثي عن الحياة الاقتصادية حول حياة العلماء، ومواردهم، وهل كانت هذه الموارد ميسرة. وهذا هو الجانب المهم في هذا المبحث.

حيث نجد أن الخلفاء كانوا ينفقون بسخاء على العلماء تشجيعاً منهم للعلم ولتتفرغ العلماء للتبحر في العلم ونشره للناس. وممن كان له جهد واضح الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أمر الولاة ببذل المال لكل من انقطع للتعليم والإقراء في المساجد. وكان يعطي كلًّا منهم مائة دينار سنويًّا^(٢). وقد بعث العلماء الكبار إلى البادية ورتب لهم رواتب كافية^(٣).

وأتاح هذا العمل الجليل للعلماء التفرغ للتعليم والبحث والتنقيب في حلول لما يطرأ من مشاكل. وتوجيه الأمة والسير بها بعيداً عن الانحرافات العقائدية والسلوكية.

أما هشام بن عبد الملك فقد أرسل الإمام الزهري مرافقاً لابنه أبي شاعر،

(١) انظر ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٩٧-٩٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٢٠٧/٩.

(٣) د. ملكة أبيض، التربية والتعليم في بلاد الشام، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٠م، ص ١٤٠.

بن هشام، وبعث معه مالاً وفيراً لتوزيعه على من يستحقه^(١). وبذلك يستمر العطاء الأموي للعلماء وخيار الناس من أهل المدينة.

وفي العهد العباسي قدم أبو جعفر المنصور حاجاً فقسم العطاء، وأعطى أشرف قريش ووجوهها بمكة والمدينة، وكان مقدار ذلك العطاء ألف دينار. ومن ناله ذلك العطاء هشام بن عروة بن الزبير. وكانت أعطيات المنصور لأهل المدينة أوفر من الخلفاء قبله^(٢).

وعندما حج المهدي فرق بالمدينة ثلاثين ألف ألف درهم ومائة، وخمسين ألف ثوب^(٣). ووصل القراء والمحدثين والفقهاء والقصاص والشعراء^(٤). والخليفة المهدي لم يخص بعطاياه الشعراء أو المقربين من العباسيين نسباً وولاءاً؛ وإنما كان هذا العطاء عاماً.

وفي عهد هارون الرشيد - حيث انتشر الرخاء وعم الدولة الإسلامية - خول الرشيد نائبه على المدينة بكار بن عبدالله بن مصعب الزبيري في العطاء فأنفق ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار^(٥).

(١) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم ص ١٦٤، ابن كثير، البداية والنهاية ٣/١٠، ابن فهد، إتحاف الوري ١٥٢/٢.

(٢) ابن فهد، إتحاف الوري ١٧٢/٢.

(٣) الشيخ قطب الدين، تاريخ المدينة، تحقيق د. عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس، رسالة دكتوراه، جامعة ادنبره ١٩٨٥م، ص ١٥٦.

(٤) د. ملكة أبيض، التربية والتعليم ص ١٧٧.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/٢٢٧.

وتفاوت موقف العلماء من عطاء الخلفاء بين القبول والرّفص. فممن قبل عطاء الخلفاء والولاء وعمل لدى الدولة واليا أو قاضيا أو مؤدبا أو غير ذلك من الأعمال: صالح بن كيسان الذي عمل مؤدبا لأبناء عمر بن عبدالعزيز رحمه الله^(١). والإمام ابن شهاب الزهري الذي كان مقربا للخلفاء الأمويين مع قول الحق وإنكار المنكر^(٢). وسعد بن إبراهيم الزهري الذي عمل قاضيا بالمدينة^(٣)، وعبدالرحمن بن أبي الزناد الذي ولى خراج المدينة فاستعان بأهل الخير والورع والحديث^(٤)، والمغيرة بن ثابت بن عبدالله بن الزبير الذي تولى تقسيم عطاء المدينة^(٥). وهناك علماء آخرون تولوا القضاء في المدينة ومكة وبغداد، ومنهم من تولى أعمالا أخرى لا يتسع المجال لحصرهم. وممن رفض عطاء الخلفاء والولاء: القاسم بن محمد بن أبي بكر حيث بعث له عمر بن عبيد الله التيمي أحد ولاة العراق خمسمائة دينار فأبى أن يقبلها^(٦)، وسالم بن عبدالله بن عمر الذي قابله هشام بن عبدالملك في الحرم المكي فقال: «سلني حاجة. فقال: من حوائج الدنيا، فقال: والله ما سألت الدنيا من يملكها

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٢٣٣.

(٢) ابن عساكر، ترجمة الزهري من تاريخ دمشق، مقدمة المحقق شكر الله القوجاني ص ١٧.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/١٢٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥/٤١٦.

(٥) المصعب الزبيري، نسب قريش ٢٤٢.

(٦) ابن سعد، الطبقات ٥/١٨٩، الذهبي، السير ٥/٥٩.

فكيف أسألها من لا يملكها»^(١)، وأبو حازم سلمة بن دينار الذي وعظ سليمان بن عبد الملك. فقال سليمان: «يا غلام هات مائة دينار، وقال: خذها يا أبا حازم. فقال: لا حاجة لي فيها»^(٢). وربيع بن أبي عبد الرحمن الذي قدم السفاح له جائزة مقدارها ٥٠٠ درهم فلم يقبلها^(٣). ومالك بن أنس الإمام المعروف عندما قدم المهدي المدينة بعث له ألفي دينار أو ثلاثة آلاف دينار. ثم أتاه الربيع وزير المهدي، فقال: «إن أمير المؤمنين يجب أن تعادله إلى مدينة السلام. فقال: قال النبي ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» والمال عندي على حاله»^(٤).

وعبدالله بن عبدالعزيز العمري وعظ الرشيد فلما ذهب اتبعه الأمين والمأمون بكيسين فيهما ألف دينار فردهما. وقال: «هو أعلم بمن يفرقها عليه»^(٥). وعرض عليه عمر بن بزيع، والفضل بن الربيع ٢٠,٠٠٠ دينار فردها عليها^(٦).

وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد أمر له الرشيد بمال جزيل نحواً من خمسين ألف فلم يقبله^(٧). وآخر من يذكر في هذا المجال أبا النصر الجهني وعظ الرشيد فأمر له بثلاثمائة دينار. فقال: «أنا رجل من أهل الصفة فمر بها فلتقسم

(١) الذهبي، السير ٤/٤٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية ٩/٢٣٤، ابن فهد، إتحاف الوري ٢/١٣٩.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٥٩.

(٣) الذهبي، السير ٦/٩٢.

(٤) الذهبي، السير ٨/٥٦-٥٧.

(٥) الذهبي، السير ٨/٣٣٢.

(٦) الطبري، التاريخ ٨/٣٥٤، الذهبي، السير ٨/٣٣٥.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/٢٠٦.

عليهم وأنا واحد منهم^(١). وكان بالمدينة علماء عملوا في القضاء لكنهم لم يأخذوا على ذلك أجرا منهم عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيدالله التيمي^(٢). وقد يكون السبب في رفض العلماء للمال خشية أن يكون المقصود منه إسكاتهم عن قول الحق، ومساومتهم للكف عن التحذير والإنذار من الانحرافات في ذلك العصر. ومع رفض هؤلاء العلماء العطاء من الخلفاء والولاة فقد قبل بعضهم العطاء من علماء أمثالهم. من ذلك ربيعة بن أبي عبدالرحمن الذي قاسمه يحيى بن سعيد ماله الذي قدم به من أفريقية^(٣)، وعبدالله بن عبدالعزيز العمري الذي وصله عبدالله بن المبارك^(٤).

ومن العلماء من كان مورده الاقتصادي من العمل في التجارة، أو في بعض الحرف، أو ناشئا عن أرث آل إليه. وذلك أكسبهم استقلالاً ساعدهم على الوقوف في وجه الظلم، وجعلهم في مقدمة من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. لأن مصدر رزقهم لا يُسَاوَمُونَ عليه كما تفعل بعض الحكومات مع من يعارضها.

ومن العلماء من كان يعمل بالتجارة كمحمد بن مسلم بن جمار الذي عمل

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/٢٢٥.

(٢) المصعب الزبيري، نسب قريش ٢٩٠، القاضي وكيع، أخبار القضاة ١/٢٢٩.

(٣) الذهبي، السير ٥/٤٧٢.

(٤) الذهبي، السير ٨/٣٣٣. وابن المبارك هو عبدالرحمن الحنظلي مولاهم المروزي الفقيه الحافظ الزاهد ذو المناقب صنف تصانيف كثيرة، كانت له تجارة واسعة ينفق على الفقراء في السنة ألف درهم، وكان يحج سنة ويغزو سنة، وكان أستاذه تاجرا فتعلم منه. الذهبي، العبر ١/٢١٧.

في تجارة البز^(١)، وكان أبو صالح السمان يتاجر في السمن والزيت^(٢)، أما ابن أبي ذئب فقد كان يأخذ كراء أجداده عند الصفا بمكة، فيتعيش منه^(٣)، وكان داود وشميل ويحيى أبناء خالد بن دينار مولى آل حنين موالى بنى العباس بن عبدالمطلب من أهل العلم؛ وكانوا يعملون بالتجارة. وعندما قدم عبدالصمد بن علي العباسي المدينة، عرض عليهم العمل لدى الدولة العباسية. فقالوا: «أصلح الله الأمير! نحن قوم تجار ولا حاجة لنا بالدخول في عمل السلطان؛ فأعفنا» فأعفاهم^(٤). وكان عمر بن الحسين قاضي المدينة يعمل في بيع الثياب^(٥). ومن يذكر لهم ثراء وتجارة آل الزبير. فقد كانت لهم أموال ومزارع^(٦)، وآل خالد بن دينار الذين سبق ذكرهم. وآل الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويذكر أن عبدالله بن عبدالمملك بن مروان عندما توفي ترك ثمانين مئدي ذهب^(٧).

(١) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٤٢٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٢٢٢.

(٣) الذهبي، السير ٧ / ١٤١، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣ / ٦٣٦-٦٣٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٤١٤.

(٥) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١ / ٤٢٩، الفسوي، المعرفة والتاريخ ١ / ٦٦٥، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣ / ٣٢٢.

(٦) المصعب الزبيري، نسب قريش ٢٤٦، ٢٤٢، الزبير بن بكار، جمهرة النسب ١ / ١٠٩، ٢٩٦، الخطيب، تاريخ بغداد ١٣ / ١٩٤، السمهودي، وفا الوفاء بأخبار دار المصطفى ٣ / ١٠٨٦.

(٧) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٢٨٢. والمدى: القفيز الشامي، نوع من أنواع المكاييل. انظر محمد بن أبي بكر ابن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٣٩، ص ٧١٢.

ومن العلماء الذين وصفوا بالثراء والسخاء عبدالمملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة^(١).

ولا يعني ماسبق أنه لم يكن هناك فقر وأن العلماء لم يصبهم الضرر والفقر كغيرهم من أهل المدينة ومما ذكر عن سوء الأحوال الاقتصادية:

شكوى عدد من المدنيين الفقير إلى الخلفاء والولاية. وحدث في المدينة فترة قحط سميت بـ «سنيات خالد» أو «السنوات البيض» زمن هشام بن عبدالمملك^(٢). ورحل عكرمة مولى ابن عباس إلى سمرقند. فسُئل: «ما جاء بك إلى هذه البلاد. فقال: الحاجة»^(٣). وعندما مات بسر بن سعيد لم يترك ما يكفن به من شدة فقره^(٤). وقد عبرت فاطمة بنت الحسين في رسالة لها إلى عمر بن عبدالعزيز شاكرة وموضحة حاجة آل البيت فقالت: «أصابتنا جفوة واحتجنا أن يُعمل فينا بالحق. فأقسم لك بالله يا أمير المؤمنين لقد اخدم من آل رسول الله من كان لا خادم له، واكتسى من كان عارياً، واستنق من كان لا يجد ما يستنق»^(٥). وكان عمر بن عبدالعزيز على علم بوجود فقراء ومساكين في المدينة لأنه كان والياً عليها. فعندما تولى الخلافة سأل عنهم قائلاً: «ما فعل المساكين

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتعم ٢٠٦.

(٢) انظر المصعب الزبيري، نسب قريش ١٧٠، ٢٤٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٩١.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٨٢.

(٥) ابن عساکر، تاريخ دمشق، تراجم النساء، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط/١، ١٩٨٢م، تحقيق

سكينة الشهابي ص ٢٨٥، وانظر د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١/١٥٤.

الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا. فيقال: قد قاموا منه يا أمير المؤمنين وأغناهم الله... وعندما بُحث عنهم قالوا: أغنانا الله بما يعطينا عمر»^(١).

وقد صور أحد القادمين من المدينة للخليفة عمر بن عبدالعزيز الوضع في المدينة بقوله: «تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور، والغنى موفور، والعائل مجبور»^(٢).

ومن البيوت المعروفة بالفقر بالمدينة بنو العجلان، ومنهم محمد وعمر^(٣). وكان الناس يرغبون عن الحجاز إلى غيرها من البلاد لأنها بلاد الجذب وقلة الخيرات. قالت امرأة تزوجها محمد بن بشير الخارجي الذي قدم البصرة، ورغب أن يرحل بهذه المرأة الموسرة إلى الحجاز. فقالت: «ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع، وأمضى معك إلى بلد الجذب والفقر والضيق، فإما أن أقمت هنا أو طلقنتي»^(٤).

وهذا ما اشتهر عن الحجاز يذكر اليعقوبي في كتابه البلدان مقارنة بغداد بغيرها من البلاد: «ولا كالحجاز النكدة المعاش، الضيقة المكسب التي قوت

(١) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٠٤، تحقيق نعيم زرزور ص ٩٤.

(٢) ابن عبدالحكم (أبو محمد عبدالله ت ٢١٤) سيرة عمر بن عبدالعزيز، تحقيق أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت ط/٦، ١٤٠٤، ص ١١٥.

(٣) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١/١٦٨، د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١/١٥٦.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ١٦/١٢٠، د. عبدالله الخلف، مجتمع الحجاز ١/١٥٧.

أهلها من غيرها»^(١).

وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب بن مالك: «أخبرنا عن الأخلاق كيف خلقها الله سبحانه وتعالى، قال: خلقها وقسمها ... ثم قال: للفقير أين تختار؟ قال: الحجاز؟ قالت القناعة وأنا معك»^(٢).

واستمر هذا الوضع في العصر العباسي وهذه بعض الحوادث التي تدل على ذلك:

فعندما حث محمد النفس الزكية نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير للخروج معه عام ١٤٥. قال: «إني والله ما أراك في شيء خرجت في بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح؛ وما أنا بمهلك نفسي معك»^(٣). وكرر نفس القول من استشاره أبو جعفر المنصور عندما خرج محمد، وأوصاه بأن يرسل من يعسكر بوادي القرى فيمنع ميرة الشام، فموت محمد مكانه جوعاً^(٤). وفي هذا الخبر دلالة على اعتماد المدينة على الشام في غذائها.

وفي عام ١٩٩ استولى أحد العلويين على مكة. وخرج والي الحرمين داود بن عيسى منها فقال له مسرور الخادم أحد القادة العباسيين: «تسلم مالك وولايتك لعدوك؟ فقال داود: أي مال لي؟ والله لقد أقمت معهم حتى شخت

(١) ص ٣٣٦.

(٢) عبدالرحمن الصفوري الشافعي، نزهة المجالس، الجزء الثاني، باب فضل العلم وأهله.

(٣) الطبري، التاريخ، ٧/ ٥٧٣.

(٤) انظر الطبري، التاريخ، ٧/ ٥٧٨.

فما وُلِّيتُ ولاية حتى كبرت، وفني عمري، فولوني من الحجاز ما فيه القُوت، وإنما هذا الملك لك ولأشباهك»^(١).

وقد أعتبرها الدكتور أحمد إبراهيم الشريف إقليماً فقيراً بالنسبة لغيره من الأقاليم، وأن العناصر صاحبة الطموح المادي قد انتقلت إلى الأقاليم المفتوحة حيث فرص الثراء والحياة الميسرة^(٢).

وقد أورد الدكتور عبدالله الخلف عدداً من النصوص والأخبار التي تدل على وجود الفقر في المدينة بين الشعراء وغيرهم. ثم قال: «وهذا مما يؤكد لنا وجود فئة غير قليلة من الفقراء والمساكين في المجتمع الحجازي، حتى من القرشيين أنفسهم، ولعل فيها ما يؤكد أن أهل الحجاز لم يكونوا كلهم أغنياء بل كان فيهم الفقراء إلى جانب الأغنياء»^(٣).

فالمدينة ليست من المدن المعروفة بالتجارة والثراء والطبقة المترفة الغنية بها قليلة بالنسبة لغيرها من المدن الإسلامية كالكوفة والبصرة ودمشق ثم بغداد وغيرها. وكانت تعتمد على المدن الأخرى في الدفاع عن نفسها وفي إنعاش حياتها الاقتصادية.

بعد كل هذه النصوص السابقة أسوق بعضاً من النصوص السائدة المشهورة التي تصور الحجاز والمدينة بصفة خاصة وهي تعبر عن وجهة نظر

(١) ابن فهد، إتحاف الوري ٢/ ٢٦٣.

(٢) دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجريين ٤٥٧.

(٣) مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١/ ١٦٤.

غالب الأدباء والمؤرخين في هذا العصر. قال الدكتور طه حسين: «فقد كان أبناء المهاجرين والأنصار في مكة والمدينة مثرين وكانت أيديهم ممتلئة بما ورثوا من هذا الفيء الذي أفاءه الله على آبائهم أيام الفتح، ثم كانوا يحتفظون بمكانتهم ويمثلون الطبقة الأرستقراطية العربية... وكان الخلفاء يكرمونهم إكراماً مادياً. كانوا يُدْرُونَ عليهم الأموال، ويوسعون عليهم في العطاء، ومراعاة لمكانتهم واصطناعاً لهم، وكانوا في الوقت نفسه يُمَسِّكُنْهُمْ بمعزل عن الحياة السياسية العملية، وإذا اجتمع اليأس من الحياة العملية إلى الثروة والغنى، فماذا عسى أن ينتجها؟ اللهو والإسراف فيه والعكوف عليه»^(١).

وكرر هذا المفهوم أو قريباً منه كل من د. أحمد إبراهيم الشريف^(٢)، وأحمد أمين^(٣)، ود. شكري فيصل^(٤)، ود. عبدالعزيز عتيق^(٥)، ويوسف حسين بكار^(٦)، أما الدكتور شوقي ضيف فقد عمم وشمل قائلاً: «كان أهل المدينة في يسار ونعمة طوال هذا العصر الأموي بل كان كثير منهم ثريا واسع الثراء»^(٧). وقال:

(١) حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، ١٩٥٢م، ١/١٨٥.

(٢) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص ٤٥٧-٤٥٨.

(٣) فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١٩٧٩، ١١، ١/١٧٩.

(٤) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار العلم للملايين، ط/٤، بيروت، ١٩٨٥،

ص ٣٩٦-٣٩٨، تطور الغزل، دار العلم للملايين، ط/٦، ١٩٨٣م، ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٥) ابن أبي عتيق ناقد الحجاز، نشر جامعة بيروت العربية، ١٩٧٢م، ص ٣٧٧، ٣٧٠.

(٦) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص ٣١.

(٧) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار الثقافة، بيروت، ط/٢، ١٩٦٧م، ص ٤٠.

«تحضر أهل المدينة كما رأينا، وأدى بهم هذا التحضر إلى ترف واسع في العصر الأموي وماذا ينقصهم ليكونوا مترفين؟ إن المال تحت أيديهم، فهم يصيبون منه ما يريدون وهم يتنعمون به ما شاءوا من ألوان النعيم»^(١). وقال أيضا: «وأكبر الظن أن ما يروى عن السيدة سكينه إنما هو رمز لترف البيئة، فقد كانت المدينة، رجالها ونساؤها في العصر الأموي غارقة في ألوان الترف وأصبغ النعيم»^(٢). والشيخ علي الطنطاوي وقد ردد نفس المزاعم حول الثراء والترف^(٣).

وهذه النصوص السابقة تمثل رأي جمهرة من الأدباء والمؤرخين وكأنه إجماع منهم على الوضع الاقتصادي في هذه الفترة. وأظن أن مصادرهم في ذلك هي كتب الأدب كالأغاني والعقد الفريد وغيره. وقد يكون لدى بعضهم متابعة لبعض المستشرقين^(٤) في نتائج أبحاثهم ثم صار المتابع يحاول حشد النصوص لتوثيق قول المستشرق!! مع أن الواقع والعقل يخالف ذلك.

(١) المرجع السابق ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق ص ٥٠.

(٣) مقال بجريدة الشرق الأوسط الصادرة في لندن عدد ٣٧٥٤ في يوم الخميس ١٤٠٩/٨/٢ ص ٨.

(٤) كفلهاوزن، وفان فلوتن وغيرهم.

د - الاعتقاد

عاش أهل المدينة في الصدر الأول على المحجة البيضاء لا مكان بينهم لمبتدع ولا منحرف ولا زائع ذلك بسبب وجود عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا للبدع الاعتقادية والانحراف السلوكي بالمرصاد. واستمر الإنكار بعد أن وصلت البدع الاعتقادية والفرق والأهواء إلى المدينة متذبذبة لا مستقر لها ولا مكان مع وجود من يحذر منها ويترد أصحاب الأفكار المنحرفة . فعمر بن الخطاب رضي الله عنه جلد صبيغ التميمي الذي كان يناقش في حروف القرآن بهواه^(١) . وعندما قدم يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن من البصرة كان القول في القدر قد ظهر فقابلا عبدالله بن عمر بن الخطاب فسأله أحدهما: «أنه قد ظهر من قبلنا ناس يقرأون القرآن... وإنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. فقال رضي الله عنه: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبدالله لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر»^(٢) . واستمر علماء التابعين في السير على منهاج أسلافهم من الصحابة في إنكار الأهواء الواردة من شيعة وخوارج وقدرية وغيرهم.

(١) ابن بطة العكبري (عبيد الله بن محمد ت ٣٨٧) الشرح والإبانة، مكتبة الفيصلية، مكة، ط/١،

١٤٠٤، تحقيق د. رضا نعيان معطي، ص ١٢٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام ح ٨.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يبين الوضع في المدينة بأنها: «كانت سليمة من ظهور البدع وإن كان بها من هو مضمّر لذلك فكان عندهم مهانا مذموما، وكان بها قوم من القدرية وغيرهم.

ولكن كانوا مذمومين مقهورين، بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام فإنه كان ظاهراً»^(١).

أما موقف العلماء من القدرية بالمدينة فقد كان كما يلي: القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله بن عمر كانا يشتمان القدرية ويحذران من اتباع مسلكهما وأن من اتبع ذلك فهو منحرف تجب عليه التوبة^(٢). وكان زيد بن أسلم يرى القدرية من أبعد الناس عن الله، وأنهم يقولون قولاً ما قاله الله ولا الملائكة ولا النبيون ولا أهل النار ولا أخو القدرية إبليس^(٣).

وينهى محمد بن كعب عن مجالسة أو مخاصمة القدرية^(٤). وعندما قدمت

(١) ابن تيمية، الفتاوى ٣٠٢/٢٠، والنصب هو: بغض علي بن أبي طالب ﷺ وتفسيقه والشك في عدالته وقد يصل إلى تكفيره. ومنهم من يرى أن الحسين ﷺ كان خارجياً، وأنه يجوز قتله. نعوذ بالله من الضلال. انظر ابن تيمية، منهاج السنة، طبع جامعة الإمام بالرياض ١٤٠٦، تحقيق د. محمد رشاد سالم ٤/٥٨٥، ٥٥٤، ٣٨٦/٣٣٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/١٨٨، ٢٠٠، اللالكائي (هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، ت ٤١٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار طيبة، الرياض، ١٤٠١، تحقيق د. أحمد سعد حمدان ٤/٦٨٨.

(٣) الأجرى (محمد بن الحسين ت ٣٦٠) كتاب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣، تحقيق محمد حامد الفقي، ٢٢١-٢٢٢.

(٤) الأجرى، الشريعة ٢٢٢.

جنازة قدري لم يصل عليها صفوان بن سليم تعنيفاً له على بدعته^(١). وأشار أبو سهيل نافع ابن عم الإمام مالك على عمر بن عبدالعزيز أن يستتيبهم فإن تابوا وإلا قتلهم، فاستحسن عمر ذلك. وهو رأى نافع مولى ابن عمر والإمام مالك^(٢).

وممن وقف في وجه الأهواء والبدع عبدالله بن يزيد بن هرمز^(٣)، ومسلم بن أبي مريم^(٤).

ولم تكن الدولة الإسلامية لتترك الأمر لهؤلاء كي يفسدوا عقائد الناس فعمر بن عبدالعزيز يستيب غيلان ويدعو الله أن يجعله عبرة إن رجع للباطل^(٥). وهشام بن عبدالملك يصلب غيلان وصالح الدمشقي^(٦). والمهدي يجمع له كل من يقول بالقدر فيعاقبهم ويضربهم^(٧). وكان الإمام مالك يطرد القدرية من مجلسه، ومن المدينة، وينهى عن مجالستهم^(٨). ونفى أهل المدينة

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/٣٧٢. والقدري هو عبدالله بن أبي لبيد المدني مولى الأحنس بن شريق. انظر تهذيب التهذيب ٥/٣٧٢.

(٢) عبدالله بن أحمد بن حنبل ت ٢٩٠، كتاب السنة، دار ابن القيم، الدمام، ط/١، ١٤٠٦، تحقيق د. محمد سعيد بن سالم القحطاني ٢/٢٣١، الآجري، الشريعة ٢٢٧، ابن بطة العكبري، الشرح والإبانة ١٥٢.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٤٣٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٣٥٧.

(٥) الآجري، الشريعة ٢٢٩، اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧١٣.

(٦) الآجري، الشريعة ٢٢٩. وطالح الدمشقي هو: صاحب غيلان ذكره القاضي عبدالجبار من الطبقة الرابعة من المعتزلة (فرق وطبقات المعتزلة ص ٣٨-٥٧).

(٧) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧٢٠.

من مجلسه، ومن المدينة، وينهى عن مجالستهم^(١). ونفى أهل المدينة عبدالرحمن بن إسحاق بن عبدالله بن الحارث العامري ولم يحمل أحد منهم العلم عنه لأنه كان قدرياً^(٢). وأبو بكر بن عبدالله بن مصعب كان شديداً على أهل البدع^(٣). وبلغ من شدة تمسك أهل المدينة بالسنة وكرهيتهم للبدعة أنهم اتهموا ابن أبي ذئب مع صلاحه وتقواه بالقدر لجلوس القدرية إليه وعدم زجره لهم وطردهم من مجلسه^(٤).

وقد ظهر القدرية في البصرة إلا أن بعضهم وصل إلى المدينة منهم: غيلان الدمشقي المصلوب سنة ١٠٥ هـ الذي قدم المدينة ويظهر أنه تكلم ببدعته فشكاه أهل المدينة إلى محمد بن كعب القرظي رحمه الله^(٥). وثور بن يزيد بن زياد الكلاعي الحمصي ت ١٥٠ هـ الذي أخرجه أهل حمص وأحرقوا داره لكلامه في القدر. وعند وصوله المدينة نهى الإمام مالك عن مجالسته^(٦).

وقد بلغ عدد القدرية في المدينة في عهد المهدي ثلاثين رجلاً أرسلوا إليه في

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٢، ٤٠٨/٣، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٨٦.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/١٣٧، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٨٦.

(٣) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١/١٦٤، تولى المدينة اثني عشر سنة.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتعمم ٤١٢.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٤/٣٧٥، مخطوط نقلا عن د. ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية في

بلاد الشام والجزيرة، ١٤٥.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٢/٣٠.

ببغداد فأدبهم وعاقبهم^(١).

وفي محاولة مني في وضع إحصائية مقارنة بين قدرية المدينة وغيرهم وخاصة البصرة؛ كان عدد القدرية في الأجزاء الأول والسادس والسابع والحادي عشر من تهذيب التهذيب لابن حجر: خمس وعشرون قدريا منهم ثلاثة من المدنيين فقط والبقية من البصرة والشام وغيرهما^(٢).

والقدرية في المدينة قليل بالنسبة لغيرهم من الأقاليم الإسلامية الأخرى وكانوا مهوورين لا يستطيعون إظهار ما يعتقدون لتصدى العلماء لهم.

أما التشيع فقد نشأ في الكوفة وتطور من حب آل البيت إلى إظهار لمولاتهم وإبطان للإلحاد والزندقة^(٣). ولوجود كثير من آل البيت بالمدينة قصدهم هؤلاء الشيعة وصاروا يتقربون إليهم ويظهرون لهم بعض أهوائهم فما كان من آل البيت رحمهم الله إلا أن عاتبوهم ثم تبرؤا منهم. ومن المبادئ التي ظهرت لدى الشيعة؛ ادعاء الوصية من رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب ؓ بالخلافة من بعده^(٤). واعتقاد الرجعة لبعض الأشخاص بعد الموت في الحياة الدنيا وسب وبغض أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعدم توليها

(١) اللاكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/ ٧٢٠.

(٢) وهذا نتيجة ما قمت به من استقصاء.

(٣) انظر ابن تيمية، الفتاوى ٢٥/ ٣٠٠.

(٤) المصعب الزبيري، نسب قريش ص ٦١.

وتقديم علي ﷺ عليهما^(١). والغلو في حب آل البيت رحمهم الله^(٢). وكانت بداية التشيع كما قال الذهبي: «بعد وقعة صفين حيث صار أناس ينالون ممن حارب عليا ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة ... ولم يكن أحد منهم يكفر معاوية وحزبه»^(٣). وحدث السب والشتم والتكفير بعد ذلك. وقد وردت بعض النصوص المتضمنة لحوار بين أئمة آل البيت وبعض الشيعة؛ يظهر من أسمائهم أنهم من أهل العراق، ومن الكوفة خاصة كفضيل بن مرزوق، وجابر الجعفي^(٤). وليس أدل على ذلك من أن عدد الشيعة في تهذيب التهذيب لابن حجر في الأجزاء الأول والسادس والسابع والحادي عشر ٤٠ شيعيا منهم ٣٣ من أهل الكوفة. ولم يرد في أسماء من استعرضت أسماءهم خلال دراستي من الشيعة من أهل المدينة سوى هشام بن سعد مولى آل أبي لهب ت ١٦٠^(٥). ومما ورد أن الإمام مالك سُئل عن الرفضة فقال: «لا

(١) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٣٢١.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٣٢٠.

(٣) السير ٥ / ٣٧٤. والمؤسس الحقيقي للتشيع هو عبدالله بن سبأ اليهودي كما قاله علماء الشيعة مثل سعد القمي ت ٢٩٩ في المقالات والفرق ص ٢٠، والنوبختي في فرق الشيعة ص ٤٠-٤١.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٤٤٥، ابن قتيبة، المعارف ٥٠٤، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١ / ٤٠، وساق ابن حجر أقوال العلماء النقاد فيه ولم يذكره بالتشيع سوى ابن سعد فقط. ولعله إن صح يقصد تفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما. وهو التشيع الأول.

تكلّمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون»^(١).

أما عن بدعة الإرجاء^(٢) فقد نشأت في الكوفة ثم وفدت إلى المدينة وبمراجعة سريعة لكتب الرجال كتهديب التهذيب لابن حجر مثلاً نجد أن عدد المرجئة في الأجزاء الأول والسادس والسابع والحادي عشر ١٧ مرجئاً أحدهم كان مدنياً والبقية من الكوفة وبلاد المشرق الإسلامي^(٣).

وهذه المقارنة أبلغ رد على مزاعم الدكتور على سامي النشار الذي يقول أن القدر والإرجاء والاعتزال منشؤها المدينة وقد حاول بتلك المزاعم رفع مكانة المدينة. وأن بذرة الفكر الفلسفي نشأت بالمدينة على يد محمد بن الحنفية وابنيه الحسن وعبدالله. وزعم أن هناك مكتباً كانت تعلم فيه هذه الانحرافات ولم يشر الدكتور النشار إلى أي مصدر عن هذه المدرسة أو المكتب الموهوم^(٤).

وقد سبق أن أشار إلى هذه الدعوى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه من الممتنع أن يكون أبو هاشم بن محمد بن الحنفية واضع الاعتزال وأخوه الحسن واضع الإرجاء وكلاهما يأخذ ذلك عن أبيه لأنها مذهبان متناقضان. كما أنّ كلا منهما

(١) ابن تيمية، منهاج السنة ١/ ٦٠.

(٢) الإرجاء نوعان: الأول: إرجاء الفقهاء وهو أن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان فقط. الثاني: إرجاء المبتدعة وهو القول بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة. انظر د. محمد القحطاني، مقدمة كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ١٧٧.

(٣) وهذا نتيجة ما قمت به من استقصاء.

(٤) د. على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف بمصر، ط/٧، ١٩٧٧م،

١/ ٢٣١-٢٤٤، ٢٣٢، ٢/ ٦٠.

قد نسب إليه الرجوع عن ذلك^(١). ورسالة الحسن بن محمد بن الحنفية في الإرجاء وردت في كتاب الإيمان لابن أبي عمر العدني^(٢). ولكنه تراجع عما جاء في هذه الرسالة وقال: «وددت أنى مت ولم أكتبه»^(٣).

وذكر من دقق وبحث في الإرجاء عند مناقشته لما قيل من أن الحسن هو مؤسس الإرجاء: «والحق أن الحسن بريء من هذا وذاك وأن إرجاءه لا علاقة له بالإيمان أصلاً»^(٤).

وإنما يتعلق بإرجاء أمر عثمان وعلي رضي الله عنهما فلا يتولاها ولا يتبرأ منها^(٥).

وأما نسبة د. النشار إعلان القدر إلى محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم فهذا لا يسنده أي مصدر من المصادر التي تؤرخ لنشأة الأفكار المنحرفة في تاريخ الإسلام، بل تجمع المصادر التي أطلعت عليها على نشأة القدر في البصرة على يد معبد الجهني الذي تلقى ذلك من سسويه^(٦) النصراني الذي أسلم ثم

(١) د. سفر بن عبدالرحمن، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، دكتوراه من قسم العقيدة بجامعة أم القرى، ١٤٠٦، ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٢) ابن أبي عمر العدني (محمد بن يحيى ت ٢٤٣) كتاب الإيمان، الدار السلفية، الكويت، ط/١، ١٤٠٧، تحقيق حميد بن حمدي الحربي ص ١٤٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٣٢٨.

(٤) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص ٢٥٢.

(٥) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص ٢٢٥.

(٦) سسويه: اسمه يونس الأسواري. أول من تكلم بالقدر وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهني. ابن حجر، لسان الميزان ٦/ ٣٣٥.

تنصر^(١). وقد قدم معبد المدينة وأفسد بها بعض المتذبذبين^(٢) كعبدالرحمن بن معاوية بن الحويرث^(٣).

أما الاعتزال فقد ظهر بالبصرة «ويكاد يجمع الباحثون على أن أول ظهوره بالبصرة»^(٤).

وبهذا تتهاوى مزاعم د. النشار في نسبة نشأة الانحرافات الفكرية إلى المدينة النبوية معتمدا في ذلك على مزاعم المعتزلة^(٥)، والشيعية^(٦).

وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «فأما الأعصار الثلاثة المفضلة فلم يكن

(١) عبدالله بن أحمد بن حنبل، كتاب السنة ٢/ ٣٩١، الأجرى، الشريعة ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٠٥، ٢٠٤، ابن بطة العكبري (عبدالله بن محمد ت ٣٨٧) كتاب القدر من الإبانة، تحقيق د. عثمان بن عبدالله الإثيوبي، دكتوراه من جامعة أم القرى، مكة، قسم العقيدة، ١٤٠٧ هـ ٢/ ٣٩٤-٣٩٥، ابن منده (محمد بن إسحاق بن يحيى ت ٣٩٥) كتاب الإبان، نشر الجامعة الإسلامية، ط/ ١، ١٤٠١، تحقيق د. على ناصر فقيهي ١/ ١١٧-١٤٨، ١٤٦، ١٤١، ١٤١، ١٣٦، ١٣٤، ١٢٥، ١٢١، اللاكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ٤، ٥٣٦، ٧٤٩.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٥.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٧٢، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/ ٥٤٣.

(٤) البلخي (محمد بن الفضل ت ٣١٩)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، الدار التونسية، تونس، ١٣٩٣ تحقيق فؤاد السيد، ص ٢٥.

(٥) القاضي عبدالجبار الهمداني المعتزلي ت ٤١٥، المنية في شرح الملل والنحل أو ما سماه د. النشار " فرق وطبقات المعتزلة" تحقيق د. النشار وعصام الدين محمد على، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٧٢ م، ص ٣١. وقد جعل القاضي عبدالجبار الخلفاء الراشدون من المعتزلة!! ص ٢٣.

(٦) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص ٢٤٨.

بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبته، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبته، كما خرج من سائر الأمصار.

فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك في غيرها.

والشام كان بها النصب والقدر.

أما الجهمية^(١) فقد ظهرت في خرسان وهي شر البدع وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية^(٢).

وكانت المدينة في القرن الثاني الهجري تتمثل الكتاب والسنة وتقدمهما على الهوى والرأي الفاسد. قال ابن تيمية: «كان أهل المدينة أقرب من هؤلاء وهؤلاء في القول والعلم إذ لم ينحرفوا انحراف الطائفتين من الكوفيين والبصريين، هوى ورواية ورأيا وكلاما وسماعا وإن كان في بعضهم (أهل المدينة) نوع انحراف لكن هم أقرب»^(٣) (إلى السنة).

وقد حث علماء المدينة أهلها على التزام السنة والابتعاد عن الهوى والشبهات^(٤) وليس معنى ذلك أن المدينة خلت من البدع والأهواء التي كانت

(١) الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان. وكان يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، وزعم أن القرآن مخلوق، وجحد صفات الله الأزلية، وقال بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل بالله فقط، وأن الناس لا أفعال لهم على الحقيقة. د. محمد بن سعيد القحطاني، تحقيق كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ١٠٢/١ هامش.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى ٣٠٠/٢٠.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى ٣٦٠/١٠.

(٤) ابن بطة العكبري، الشرح والإبانة ص ١٤٣، ١٤٢.

سبباً في انحراف كثير من الناس وقد يفتد إليها بعض الشيعة والخوارج ولكنهم كانوا يردون على أعقابهم خاسرين فلا يجدون مناخاً ملائماً لإشاعة بدعهم وأهوائهم.

هـ - التدوين في القرن الثاني الهجري بمدينة طيبة

كان الحفظ ولازال ميزة للفرد بين بنى جنسه وبعض الأمم تمتاز بحفظها ولم يكن للأمم منذ بدء التاريخ إلى تاريخنا الحالي حفاظ كما توافر للأمة الإسلامية وخاصة أن العرب في الجاهلية اعتادوا هذا المنهج وظل مسيطراً على العلوم في القرن الأول إلى ما يقارب الربع الأخير منه. مع وجود من يكتب من المسلمين علمه ولكن الحفظ هو الغالب ومن عجائب حفاظ المسلمين الإمام الزهري الذي قال: «ما استعدت حديثاً قط، ولا شككت في حديث إلا حديثاً واحداً فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظته»^(١).

وكان للزهري رحمه الله حفظ عجيب للسنن والشعر والأنساب. سمر ليلة مع عمر بن عبدالعزيز فحدثه. فقال عمر: «كل ما ذكرت الليلة قد أتى على مسامعي ولكنك حفظت ونسيت»^(٢).

وقابل الإمام مالك الإمام الزهري بعد درسه فقال مالك - بعد أن أخذ بلجام دابته -: «يا أبا بكر أعد على الحديث الذي حدثتنا به، قال - أي الزهري مستكراً - وتستعيد الحديث؟ قال - مالك - قلت: وما كنت تستعيد الحديث؟

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ١٦٦.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق ١٦٥.

قال: لا. قلت: ولا تكتب؟ قال: لا»^(١).

ومن شدة حفظه رحمه الله أنه كان يقول: «إني لأمر بالبقيع فأسد أذني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته»^(٢).

ومن حفاظ المدينة محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب ت ١٥٩، وكان يحفظ حديثه كله. حتى ظنت أم ولده أنه لم يكن له كتاب^(٣). ولكن ثبت أن له كتباً منها كتاب السنن^(٤).

ومن الحفاظ يحيى بن سعيد الأنصاري ت ١٤٣ الذي كتب أحد تلاميذه حديثه ثم أراد أن يعرضه عليه فلما استنكر كثرته وكاد أن يجحد، قيل له: اسمعه ثم رد ما أنكرته. فعرفه كله^(٥).

ومن عجائب الحفظ أن الزهري حفظ القرآن في ثمانين يوماً. أما شقيق بن سلمة فقد حفظه في شهرين^(٦).

ومع وجود الحفظ وجعله أساساً في تكوين العلماء إلا أن هناك من العلماء من كانت لهم مدونات ويمكن أن نقسم التدوين إلى ثلاثة أقسام:

(١) الدارمي (أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام ت ٢٢٥) السنن، الدار السلفية، المدينة، بعناية عبدالله هاشم المدني ١/ ١٩٩.

(٢) ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله ١١٦.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق ١٦٥.

(٤) النديم، الفهرست ٢٨١.

(٥) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٣٣٦.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/ ١١، ٦٠.

القسم الأول: كتابة القرآن الكريم، ثم وجود عدد من الصحابة يدون بعض المعلومات المفرقة، إما حديث أو شعر أو نوادر. وممن يذكر لهم مدونات في هذا القسم الذي استمر إلى ما يقارب الربع الأخير من القرن الأول. الصحابي أبو شاة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وابن عباس^(١)، وعروة بن الزبير^(٢) وغيرهم.

وكان أصحاب هذه المدونات من الصحابة والتابعين يسمونها «صحيفة» أو «جزء».

ثم يلي القسم الأول القسم الثاني: وهو مرحلة جمع الكتابات المتفرقة في كتاب واحد بدون ترتيب. وممن قام بذلك أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ت ١٢٠. عندما أمره عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث أو العلم في المدينة^(٣). ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ١٢٤ الذي جمع السنن بأمر من عمر بن عبد العزيز فكتبها دفترًا دفترًا؛ وبعثها عمر إلى كل إقليم له عليه سلطان^(٤).

أما القسم الثالث والأخير: فهو مرحلة تصنيف المدون حسب الموضوعات، وممن يمثل هذه المرحلة الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩ في الموطأ، وابن إسحاق ت ١٥١ في السير والمغازي، وابن زبالة ت ١٩٩، ووهب بن

(١) الخطيب، تقييد العلم، دار إحياء السنة، القاهرة، ١٩٧٤م، تحقيق يوسف العش ٨٤، ٨٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٢٣٠.

(٣) الدارمي، السنن ١/ ١٠٤.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ١٢٧.

وهب ت ٢٠٠، والواقدي ت ٢٠٧ وغيرهم من علماء المدينة.

ومن المؤلفات التي دونت خلال القرن الثاني في المدينة النبوية:

كتب الزهري وهي مؤلفات عديدة في موضوعات شتى. قال يونس بن يزيد: قلت للزهري أخرج لي كتبك. فأخرج لي كتباً فيها شعر^(١). وكان للزهري مع حفظه مكتبة خاصة. قال معمر: بعد أن توفي الزهري حملت كتبه على البغال مما لم يعرفه تلاميذه^(٢). وممن كانت له كتب مدونة عبدالعزیز بن الماجشون ت ١٦٤ وقد رواها عنه ابن وهب ومن كتبه رسالة في الرد على الجهمية، وكتاب الموطأ وقد استفاد منه الإمام مالك في تأليف الموطأ^(٣).

أما نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم ت ١٦٩ فله كتب في التفسير والقراءات لا زالت مخطوطة إلى الآن^(٤)، وكان لأبي معشر نجیح بن عبدالرحمن السندي ت ١٧٠ كُتب في المغازي والتاريخ^(٥). والإمام مالك بن أنس ت ١٧٩، وله من الكتب الموطأ، ورسالة في القدر، ورسالة حول الفلك والنجوم، وكتب في تفسير القرآن الكريم، ورسالة في الأفضية في مجلد^(٦).

(١) ابن عبدالبر، المصدر السابق.

(٢) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ٩٢.

(٣) د. الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي ١ / ٢٨٠.

(٤) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ط / ١، ١٧٤ / ١.

(٥) د. الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي ١ / ٣١٤.

(٦) الذهبي، السير ٨ / ٧٩-٨٠.

وكان لإبراهيم بن سعد الزهري ت ١٨٤ نحو من سبعة عشر ألف حديث مدونة في الأحكام سوى المغازي، وكانت لديه كتب أخرى^(١).

وإبراهيم بن محمد بن يحيى الأسلمي ت ١٨٤ له كتب منها كتاب الموطأ، أضعاف موطأ مالك، وله كتاب فيه القدر، وكتاب فيه رأى جهم^(٢).

وكان عبدالله بن عبدالعزيز العمري ت ١٩٤ يخلو بنفسه كثيراً ولا بد أن يحمل معه في خلوته كتاب ينظر فيه^(٣).

هذا عن التدوين ملخصاً موجزاً وتتبعها كثير من الباحثين منهم فؤاد سزكين، ومحمد مصطفى الأعظمي في كتابه دراسات في الحديث النبوي. وليس من شأننا هنا تتبع كل تدوين إنما إعطاء صورة موجزة توضح الحال في هذه الفترة.

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/١٢٣، ١٢٢، د. الاعظمي، دراسات في الحديث النبوي ١/٢٢٣.

(٢) ابن حجر، تهذيب ١/١٥٨-١٥٩.

(٣) الخطيب، تقييد العلم ١٤٢.

و- الحلقات العلمية

كان بالمدينة النبوية مجالس علمية تشمل علوماً مختلفة كالتفسير والحديث والفقه والمغازي والشعر وغيرها من العلوم، وتعد الحلقات في مكان معين فكان القاسم وسالم يجلسان بين القبر والمنبر في مجلس واحد، ثم خلفهما عبدالرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر بن حفص الذي جلس في حلقة شعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة^(١).

ثم جلس فيه الإمام مالك. ومن حلقات ما بين القبر والمنبر، حلقة كانت لآل أبي صعصعة وهم من أهل العلم والرواية، وكلهم كان يفتى. ومنهم محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الحارث بن أبي صعصعة ت ١٣٩^(٢).

وقد يشترك عالمان في حلقة واحدة كما فعل القاسم، وسالم، وعبدالرحمن بن القاسم، وعبيد الله بن عمر العمري^(٣)، وربيعة الرأي، وأبي الزناد^(٤). ثم افترقا بعد ذلك.

وكان هناك مجالس خاصة يجتمع فيها العلماء في منزل أحدهم لمناقشة المسائل العلمية حيث يتناولون الطعام في المنزل الذي يجتمعون فيه. ومن ذلك مجلس يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس ت ١٢٨ حيث كان يجتمع معه

(١) ابن سعد، الطبقات ١٨٨/٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٢٩٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات ١٨٨/٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٣٢٢.

عثمان بن محمد بن الأخنس، وعبدالله، وعبدالرحمن، والحارث، بنو عكرمة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وسعد بن إبراهيم، والصلت بن زبيد، وصالح بن كيسان، وعبدالله بن يزيد بن هرمز، وعبد الله بن يزيد الهذلي^(١). وقد يسمى هذا المجلس مجلس العشرة. ومنها مجلس عبيدالله بن يزيد بن هرمز في بيته ببني ليث ومن كان يحضر مجلسه الحارث وعبدالله بن عكرمة بن عبدالرحمن، وسعد بن إبراهيم، وصالح بن كيسان، وربيعة، وأبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، والصلت بن زبيد. وكانوا يناقشون بعض مسائل الفقه؛ ثم يتناولون شيئاً من الطعام ثم ينصرفون^(٢).

وكان لبعض الأسر مجالس وحلقات معروفة للمناقشات العلمية ومن هذه أسرة آل حزم ومن أبنائها عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ت ١٣٥^(٣). وأسرة آل عقبة إبراهيم، وموسى، ومحمد وكانوا فقهاء محدثين. وكان موسى يفتى^(٤). ولآل أبي صعصعة حلقة أيضاً وكانوا يفتون بها^(٥).

وكان لآل عبدالله بن أبي فروة حلقة أيضاً وكانوا يحدثون ويفتون. ومنهم إسحاق بن عبدالله ت ١٤٤ وعبدالحكيم بن عبدالله ت ١٥٦ ومنهم صالح بن عبدالله، وعبد الأعلى بن عبدالله، ويونس، وأبي الحسن، وإبراهيم، وعبد الغفار

(١) المصدر السابق ٢٧١. ابن سعد الطبقات، ط دار إحياء التراث العربي ٥ / ٢٥١.

(٢) المصدر السابق ٣٢٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق ٣٤٠.

(٥) المصدر السابق ٢٩٤.

وكلهم أبناء عبد الله^(١).

وكان آل عبد الله بن أبي فروة أكثر الحاضرين في هذه الحلقة لكثرتهم بالمدينة^(٢).
ومن أصحاب الحلقات محمد بن يحيى بن حبان، وكان يحدث ويفتي^(٣).
ومحمد بن حُوطٍ، وكان من العباد المنقطعين. وله جلساء عرفوا بالنسك
والعبادة حتى سمو بالخطوية نسبة إليه^(٤).

ومنها حلقة الإمام زيد بن أسلم الذي كان يحضر حلقاته على بن الحسين.
ويقدر عدد من يحضرون الحلقات بثلاثين معتمداً أو أربعين أو أكثر أو أقل
حسب مكانة الشيخ العلمية ومكانته لدى طلبة العلم والعامه.
ولابد من ذكر حلقة الإمام مالك بن أنس أمام دار الهجرة الذي كان
يستعد لهذه الحلقة بالطيب والكحل ولبس أحسن الثياب، ومكان الحلقة في
مسجد النبوي بين القبر والمنبر، ثم أعتزل بعد ذلك وكان الناس يجتمعون في
منزله لطلب العلم والفتيا. وكان مجلسه مجلس وقارٍ وحلم. وكان رجلاً مهيباً
نيلاً ليس في مجلسه شيء من المرء، واللغظ، ورفع الصوت. وممن جالس
مالكا في حلقاته شعبة، وأيوب، ووهيب، والشافعي، وغيرهم^(٥).

(١) المصدر السابق ٣٥١.

(٢) المصدر السابق ٣٥٠.

(٣) المصدر السابق ١٣٢.

(٤) المصدر السابق ٤٤٨.

(٥) الذهبي، السير ٥٨/٨ وما بعدها.

الفصل الثاني علوم الشريعة

- أ. القراءات
- ب. التفسير
- ج. الحديث
- د. نقد الحديث
- هـ. الفقه
- و. أصول الفقه

أ - القراءات

القراءات: هي وجوه تلقى النص القرآني واصطلح على تسمية هذه الأوجه المقروءة بالحروف^(١)، والحروف: هي وجوه القراءات واختلافاتها بين القراء^(٢).

وعرفه حاجي خليفة بأنه: علم يُبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وفائدته صون كلام الله - تعالى - عن تطرق التحريف والتغيير، وقد يبحث فيه أيضاً عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة إلى حد الشهرة^(٣).

قال عليه السلام: «أقرأني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(٤). ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء وقرأ

(١) القلانسي (أبو العز محمد بن الحسين ت ٥٢١) إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهى في القراءات العشر،

تحقيق عمر حمدان الكبيسي، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط/ ١، ١٤٠٤، ص ١٠.

(٢) ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التيمي ت ٣٢٤) كتاب السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي

ضيف، دار المعارف بمصر، ط/ ٢، ١٤٠٠، ص ٤٩.

(٣) كشف الظنون ١٣١٧/٢.

(٤) رواه البخاري، انظر فتح الباري ٦٣٩/٨.

الباقون وكذلك أبو بكر عن عاصم: يعملون بالياء^(١)، وأحيانا يختلف ضم الحرف أو فتحه أو كسره من قارئ إلى آخر.

ومن علماء هذا الفن من الصحابة رضي الله عنهم، أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو هريرة. وكان لهم تأثير كبير في القراءات، حيث تتلمذ على يدهم عدد من التابعين الذين نشروا علم القراءات ومنهم:

* مسلم بن جندب أبو عبدالله الهذلي المدني القارئ القاص القاضي (بعد ١١٠) قرأ القرآن على عبدالله بن عياش^(٢)، وتلمذ عليه الإمام نافع، وكان مؤدبا لعمر بن عبدالعزيز، وهذه ميزة لعمر رحمه الله أن يكون مربيه من أبرز قراء كتاب الله في هذه الفترة، وكان من فصحاء زمانه، قال عمر بن عبدالعزيز: من سره أن يقرأ القرآن غضا فليقرأه على قراءة مسلم بن جندب^(٣). وكانت له طريقة في التعليم - تعليم كتاب الله - حيث قال جعفر بن الزبير: وكان يعلمنا غدوة ثلاثين آية وعشية ثلاثين آية وفي رواية أخرى يقرأ علينا^(٤).

(١) ابن مجاهد، كتاب السبعة ص ٣٤٠.

(٢) ابن عياش: تابعي كبير كان أقرأ أهل المدينة في زمانه، ت ٧٨، انظر الذهبي، معرفة القراء الكبار ٥٧/١.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٤١، ابن مجاهد، كتاب السبعة ص ٥٩، الذهبي، معرفة القراء الكبار ٨٠/١، ابن الجزري (عبدالقادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري ت ٨٣٣) غاية النهاية في طبقات القراء، دار الباز، مكة المكرمة ٢/٢٩٧.

(٤) ابن مجاهد كتاب السبعة ص ٥٩، الذهبي، معرفة القراء الكبار ٨٢/١.

وكانت له مكانة بين العلماء والقراء في المدينة حتى قال قالون^(١): «كان أهل المدينة لا يهمزون حتى همز ابن جندب فهمزوا، كلمة (مستهزئين) و(يستهمز بهم)»^(٢).

* عبدالرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧) أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما، وقرأ عليه نافع بن أبي نعيم وغيره^(٣)، قال الذهبي: «كان الأعرج أحد من برز في القرآن والسنة، وكان يكتب المصاحف»^(٤)، ولا يوكل لأحد كتابة المصاحف إلا ويكون موثقاً حافظاً أميناً.

* يزيد بن رومان المدني (ت ١٢٠) القارئ المحدث. قرأ القرآن على عبدالله بن عياش، وله باع في الفقه والحديث، وكان هو وابن سيرين ممن يعقدان الآي في الصلاة، وهو أحد شيوخ نافع بن أبي نعيم^(٥).

* أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت ١٢٧) أحد القراء العشرة، أخذ القراءة عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعبدالله بن عياش، وتصدر للإقراء بالمدينة مدة طويلة، وكان يجلس في مسجد النبي ﷺ، وكان لا يتقدمه أحد في

(١) قالون: عيسى بن مينا بن وردان، قارئ المدينة ونحوها، انظر ابن الجزري، غاية النهاية ١/ ٦١٥.

(٢) ابن مجاهد، كتاب السبعة ص ٦٠، الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/ ٨١.

(٣) ابن مجاهد، كتاب السبعة ٥٤، الذهبي، السير ٥/ ٦٩، ابن الجزري، غاية النهاية ١/ ٣٨١.

(٤) الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/ ٧٧.

(٥) الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/ ٧٦، ابن الجزري، غاية النهاية ٢/ ٣٨١، ابن حجر، تهذيب

التهذيب ١١/ ٣٢٥.

عصره، وكان يصلى خلف الإمام في صلاة التراويح في رمضان يصحح للإمام إذا أخطأ وكان ذلك بأمر، وكان هذا منصب شغله حتى توفي رحمه الله، قال يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمى القارئ^(١).

* شيبه بن نصاح (ت ١٣٠) قال ابن سعد: كان إمام أهل المدينة في القراءة في دهره هو وأبو جعفر يزيد بن القعقاع^(٢)، وهو أحد شيوخ نافع في القراءة، وقد أدرك عائشة، وأم سلمة أمي المؤمنين ودعنا الله أن يعلمه القرآن، وقُدّم ليصلى على سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بعد موتها لفضيلة القرآن^(٣).

وقد خلف أبا جعفر القارئ بعد وفاته في وقوفه خلف الإمام في مسجد رسول الله ﷺ، في رمضان لتصحيح قراءته^(٤)، وهو أول من ألف في الوقوف؛ وكتابه كما يقول ابن الجزري: «مشهور»^(٥).

* عيسى بن وردان الحذاء أبو الحارث المدني (ت في حدود ١٦٠) قرأ على أبي جعفر القارئ وشيبه بن نصاح، وهو إمام حاذق وراو محقق ضابط، وهو

(١) ابن مجاهد، كتاب السبعة ٥٦، النديم، الفهرست ٣٣، الذهبي، معرفة القراء الكبار ٧٢/١، ابن الجزري، غاية النهاية ٣٨٢/٢، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١٧٨/١.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٩٧، النديم، الفهرست ص ٣٣.

(٣) النديم، الفهرست ص ٣٣، الذهبي، معرفة القراء الكبار ٧٩/١، ابن الجزري، غاية النهاية ٣٢٩/١، ٣٣٠.

(٤) الذهبي، معرفة القراء الكبار ١٧٤.

(٥) غاية النهاية ٣٣٠/١.

من تعلم قديماً على يد نافع^(١)، ومن خلال سيرته سنتعرف على طريقته للإقراء احسبها جيدة ومناسبة لحفظ كتاب الله وإجادته، كانت معروفة بين قراء المدينة. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: «كان أبي يقول لعيسى بن وردان: إقراء على إختوك كما كان أبو جعفر وشيبة بن نصاح يقرآن على كل رجل عشر آيات، عشر آيات»^(٢). وهذه الطريقة أسهل من طريقة مسلم بن جندب، وأخف على الطالب.

* نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩) إمام دار الهجرة في القراءات كان فصيحاً عالماً بالقراءات ووجوهها، قرأ على سبعين من التابعين^(٣)، وسماه الذهبي: «حبر القرآن»^(٤)، وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة، وظل يقرئ الناس أكثر من سبعين سنة، واشتهرت قراءته بين الناس وتمسكوا بها، حتى قال مالك وابن وهب: «قراءة نافع سنة»^(٥). ولما سئل مالك عن البسملة. قال: «سلوا عن كل علم أهلهم؛ ونافع إمام الناس في القراءة»^(٦)، ولنافع عدد من المؤلفات في فن

(١) الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/١١١، ابن الجزري، غاية النهاية ١/٦١٦.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية ١/٦١٦.

(٣) ابن مجاهد، كتاب السبعة ص ٥٤، الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/١٠٧، ابن الجزري، غاية النهاية ٢/٣٣٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/٣٣٦.

(٥) ابن مجاهد، كتاب السبعة ص ٦٢، الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/١٠٧، ابن الجزري، غاية النهاية ٢/٣٣٠.

(٦) د. عبدالعال سالم مكرم، د. أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، جامعة الكويت، ط ١/١، ١٤٠٢، ٢١/٨٠.

القراءات مثل كتاب عدد المدني الأول، وكتاب العدد الثاني، وكتاب عواشر القرآن^(١)، ولم أعثر على معلومات حول معنى العواشر، وله كتاب القراءة^(٢). وهو أحد الأئمة السبعة في القراءات^(٣).

* إسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاري أبو إسحاق (ت ١٨٠ ببغداد) أخذ القراءة عرضاً عن شيبه بن نصاح، ثم عرض على نافع، وعيسى بن وردان، وبرع في القراءة. نزل بغداد ونشر علمه بها وأقرأ بها، وأخذ عنه القراءة في بغداد كبار قرائها المشهورين كالكسائي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبو عمر الدوري، وأبو خلاد النحوي، وخلف بن هشام وغيرهم^(٤).

هؤلاء هم كبار قراء المدينة المشهورين. وهناك آخرون لا يقل كل منهم عن هؤلاء قدرة وعلماً، مثل عطا،^(٥) (ت ١٠٣)، وسليمان^(٦) (ت ١٠٧) ابنا

(١) النديم الفهرست ص ٤٠، والكتابين الأول والثاني من الكتب التي تحدد عدد آي القرآن. فعدد المدني الأول: ما يرويه نافع عن يزيد بن القعقاع، وشيبه بن نصاح. وعدده عند الكوفيين ٦٢١٧ آية، وعند البصريين ٦٢١٤ آية. وعدد المدني الثاني: ما يرويه إسماعيل بن جعفر عن شيبه ويزيد بواسطة نقله عن سليمان بن جاز. وعدده ٦٢١٤ آية. عبدالفتاح القاضي، بشير اليسر بشرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للإمام الشاطبي، المكتبة المحمودية، القاهرة ص ١٨-٢٠.

(٢) مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق، والتميمورية بدار الكتب بالقاهرة. انظر فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (علوم القرآن والحديث) ٣٣/١.

(٣) ابن مجاهد، كتاب السبعة ص ٥٣.

(٤) الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/١٤٤، ابن الجزري، غاية النهاية ص ١٦٣.

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية ١/٥١٣.

(٦) المصدر السابق ١/٣١٨.

يسار، وسالم بن عبدالله بن عمر^(١) (ت ١٠٦).
وابن شهاب الزهري^(٢) (ت ١٢٤)، ويزيد بن عبيد أبو وجزة السعدي
المدني^(٣) (ت ١٣٠)، وزيد بن أسلم^(٤) (ت ١٢٦)، وجعفر بن محمد بن علي
الإمام الصادق^(٥) (ت ١٤٨)، وعبدالرحمن بن عبدالله بن ذكوان أبو محمد بن
أبي الزناد^(٦) (ت ١٦٤)، وسليمان بن مسلم بن جمار أبو الربيع الزهري^(٧)
(ت ١٧٠)، والإمام مالك بن أنس^(٨) (ت ١٧٩). وسعد بن إبراهيم بن سعد
بن إبراهيم^(٩) (ت ٢٠١)، ويحيى بن محمد بن قيس أبو الزكير الزيات المدني
تلميذ نافع وصفه زكريا بن يحيى الساجي: بأنه صاحب قراءات^(١٠). هذا ما
استطعت إحصاءه من الأسماء ممن كان له باع في هذا العلم الجليل.

(١) المصدر السابق ١/ ٣٠١.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية ٢/ ١٦٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٨٢.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٩٦.

(٥) المصدر السابق ١/ ١٩٦.

(٦) المصدر السابق ١/ ٣٧٢.

(٧) المصدر السابق ١/ ٣١٥.

(٨) المصدر السابق ٢/ ٣٥.

(٩) المصدر السابق ١/ ٣٠٣.

(١٠) المصدر السابق ٢/ ٣٧٩.

ب - التفسير

هو علم بأصول يعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغيرها^(١).

وكان للمدينة منزلة عظيمة في هذا العلم. ومن المعلوم أن العلماء يقسمون القرآن بحسب نزوله إلى مكّي ومدني. ولكل منهما خصائص تميزه. ومنذ أن وصل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة حافظاً عدداً من السور والآيات، وهو يعلم ويشرح لأهل المدينة معانيها. ثم هاجر المصطفى صلى الله عليه وآله إلى المدينة وبدأ الناس يتقاطرون على مسجده من الجزيرة كلها ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وآله وقد تتلمذ عليه الصحابة وأخذوا عنه هذا العلم، وغيره. وقد اشتهر بعضهم بهذا العلم كأبي بن كعب، وأبي هريرة، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وابن عباس رضي الله عنه وتتلّمذ على هؤلاء الصحابة كبار التابعين من مدنيين وغيرهم. ولكن كان للمدنيين فضل الاغتراف من علم عدد كبير من الصحابة الذين لم يتحولوا إلى الأمصار.

ويمتاز العلم المدني في جميع نواحيه باستمداده من المنبع الصافي من الوحيين قول الله تعالى وقول المصطفى صلى الله عليه وآله. ولذلك كانت المدينة موئلاً لأهل الحديث وأهل الأثر وابتعد المدنيون عن الرأي والهوى مخالفين بذلك بعض أهل العراق ومن شاكلهم.

(١) قاسم القيسي، تاريخ التفسير، المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٥ هـ ص ١٧.

ومن أبرز العلماء في هذه الفترة:

* عكرمة بن عبدالله البربري (ت ١٠٥) الحبر العالم مولى ابن عباس. طلب العلم أربعين سنة، وكان ابن عباس يقيده ويعلمه القرآن والسنن^(١). قال الشعبي: «ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة». وكان الحسن البصري إذا قدم البصرة أمسك عن التفسير والفتيا^(٢). وقد شهد له بعلمه أحد علماء التفسير حيث قال قتادة: «أعلم الناس بالتفسير عكرمة»^(٣) أما سفيان الثوري فقد قال: «خذوا التفسير عن أربعة» وذكر منهم عكرمة^(٤). وكان رحمه الله واسع العلم كثير الاطلاع حتى وصف بأنه: «من بحور العلم»^(٥). وبأنه: «العلامة الحافظ المفسر»^(٦) وأما ما نسب إليه من مذهب الخوارج؛ فقد دفع عنه هذه التهمة الإمام العجلي فقال: «هو بريء مما يرميه الناس به من الحرورية»^(٧). ودفعها عنه الداودي فقال: «ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه، ولا ثبت

(١) ابن سعد، الطبقات ٥ / ٢٨١.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١ / ٩٥.

(٣) سفيان الثوري، (ت ١٦٦) التفسير، تحقيق امتياز على عرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٠٣هـ، ص ٣٨٢، الفسوي، المعرفة والتاريخ ٢ / ١٢.

(٤) ياقوت (شهاب الدين ابي عبدالله بن عبدالله الحموي ت ٦٢٦) معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، ١٩٨٣م ١٢ / ١٨٧.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١ / ٩٥.

(٦) الذهبي، السير ٥ / ١٢.

(٧) العجلي (أحمد بن عبدالله بن صالح ت ٢٦١) تاريخ الثقات، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٠٥هـ، ص ٣٣٩.

عنه بدعة»^(١) ويقصد الداودي بالبدعة هنا مذهب الخوارج. ومن أكد هذه الحقيقة الإمام ابن عبد البر الذي وصفه بالفقه والحديث والتفسير والسير ثم قال: «وقد طعن عليه بعض من لم يلتفت العلماء إلى قوله»^(٢). ولا يخلو تفسير من تفاسير المأثور من رواياته، وتفسيره. وقد تتبعت بعضها فوجدت له روايات في تفسير سفيان بن عيينة^(٣)، وتفسير سفيان الثوري^(٤). وتفسير عبدالرزاق الصنعاني^(٥). وغيرها من التفاسير الأخرى. وذكر النديم وغيره أن له كتابا في التفسير^(٦).

* محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر ت ١١٤
السيد الإمام العالم العامل، كبير الشأن عالي المكانة إلا أنه كما قال الإمام الذهبي: «لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد، وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة، وابن شهاب. فلا نُحاييه، ولا نُحيفَ عليه ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال»^(٧). وله

(١) طبقات المفسرين ١/ ٣٨١.

(٢) الفاسي، العقد الثمين ٦/ ١٢٤.

(٣) تفسير سفيان بن عيينة ص ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٧، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٧.

(٤) تفسير سفيان الثوري ص ٣٨٢.

(٥) حمد عبده أزيبي، الإمام عبدالرزاق الصنعاني مفسراً، ماجستير، قسم الكتاب والسنة بجامعة أم

القرى بمكة المكرمة ١٤٠٤ هـ ص ٢٩٤.

(٦) الفهرست ص ٣٦، حاجي خليفة، كشف الظنون ١/ ٤٥٣.

(٧) الذهبي، السير ٤/ ٤٠٢.

في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال^(١).

وذكر أن له تفسيراً رواه عنه أحد الشيعة الزيدية^(٢).

* محمد بن كعب القرظي ت ١٠٨. الإمام العلامة الصادق. قال عون بن عبدالله: «ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي»^(٣). ووصفه الإمام العجلي بأنه: «رجل صالح عالم بالقرآن»^(٤). وقال الذهبي: «كان من أئمة التفسير»^(٥). وقال ابن كثير: «كان عالماً بتفسير القرآن»^(٦). وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج من أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده». قال ربيعة: «فكنا نقول هو محمد بن كعب، والكاهنان قريظة، والنضير»^(٧).

وكان يتدارس هذا العلم الجليل حتى آخر لحظة من حياته؛ حيث ورد أنه كان بمسجد الربرة^(٨)، مع جلساء من أعلم الناس بالتفسير فسقط عليهم

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٦، ١٩٨٤م، ٦/٢٧٠.

(٢) النديم، الفهرست ص ٣٦، الداودي، طبقات المفسرين ٢/١٩٨، ابن أبي حاتم، تفسير سوري الأنفال والتوبة، تحقيق د. عيادة الكبيسي ١/٥٣. والزبيدي هو زياد بن المنذر الكوفي.

(٣) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/٢٤٥، الذهبي، السير ٥/٦٥.

(٤) تاريخ الثقات ص ٤١١، الذهبي، السير ٥/٦٧، السخاوي، التحفة ٣/٧٢١.

(٥) السير ٥/٦٧.

(٦) البداية والنهاية ٩/٢٥٧.

(٧) الذهبي، السير ٥/٦٨، وقال المحقق الأرناؤوط هامش (١): الحديث ضعيف، لضعف عبدالله بن معتب، وجهالة أبيه.

(٨) الربرة: من قرى المدينة جهة نجد تبعد عن المدينة ٢٠٠ كم وعن الحناكية ٨٠ كم على طريق الحاج.

المسجد بسبب زلزلة فماتوا جميعاً^(١). وقد ورد أنه ممن صنف كتاباً في التفسير^(٢).
 * زيد بن أسلم (ت ١٣٦) الإمام مولى عمر رضي الله عنه. كانت له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣). قال يعقوب بن شيبة: «كان عالماً بالتفسير»^(٤) وقال ابن عبد البر: «وزعموا أنه كان أعلم أهل المدينة بتأويل القرآن بعد محمد بن كعب القرظي»^(٥).

وقال الذهبي: «كان عالماً بتفسير القرآن»^(٦). وكان لزيد تفسير اعتمد عليه عدد من المفسرين ولذلك جعله ابن أبي حاتم من مصادره^(٧). وكذلك فعل الإمام البغوي^(٨). وغيرهم من المفسرين بالمأثور. وورد في تاريخ دمشق في رواية عن يعقوب بن شيبة أن لزيد بن أسلم: «كتاباً في تفسير القرآن»^(٩).
 * عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (١٨٢) وكان صاحب قرآنٍ وتفسير،

(١) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٥٦٤، الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/٢٠٠.

(٢) البغوي، معالم التنزيل ١/٢٨، ٢٩، حاجي، كشف الظنون ١/٤٧٥، تفسير الثوري، المقدمة ص ٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣١٤.

(٤) تفسير الثوري ص ٤٢٠، ابن عساكر، تاريخ دمشق، مخطوط ٦-٢ ص ٥٤٩.

(٥) يوسف بن عبدالله النمري ت ٤٦٣، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق محمد التائب السعيد، وزارة الأوقاف المغربية، ط/٢، ١٤٠٢هـ - ٣/٢٤٠.

(٦) تاريخ الإسلام ٥/٢٥٣.

(٧) د، عيادة الكبيسي، مقدمة تفسير سورتي الأنفال والتوبة ١/٤٩.

(٨) معالم التنزيل ١/٢٩.

(٩) النديم، الفهرست ص ٣٦، ابن عساكر، تاريخ دمشق مخطوط ٦-٢ ص ٥٤٩، المزي، جمال الدين

بن الحجاج يوسف ت ٧٤٢، مخطوط مصور منشور، دار المأمون، دمشق ص ٤٤٨، الداودي،

طبقات المفسرين ١/٧٧، عمز رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثني، بيروت ٤/١٨٩.

وجمع تفسيراً في مجلد وكتاباً في الناسخ والمنسوخ^(١). وقد يكون تفسيره الذي ذكرته هو ما رواه عن والده^(٢).

ولعبد الرحمن بن زيد عدد من الروايات في بعض كتب التفسير^(٣). وهناك عدد من العلماء ذُكرت لهم مشاركات في هذا العلم وبعضهم لا يقل باعاً ممن ذُكرت. أمثال مالك بن أنس إمام دار الهجرة ت ١٧٩ وقد ذكر أن له تفسيراً صنّفه على طريقة الإسناد كما في الموطأ^(٤). وتبعه العلماء والأئمة. فقل حافظ إلا وله تفسير^(٥). فهذا يدل على أن الإمام مالك من أوائل من وضع التفسير على طريقة الإسناد فهو من مؤسسي علم التفسير بالمأثور. وذكر له تفسير غريب القرآن^(٦). ونافع بن أبي نعيم ت ١٦٩، وله كتاب في التفسير^(٧). وسالم بن عبدالله بن عمر ت ١٠٥^(٨)، عبيد بن حنين ت ١٠٥^(٩)،

(١) النديم، الفهرست، الذهبي، السير ٣٠٩/٨، الداودي، طبقات المفسرين ٢٦٥/١، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ١٣٨/٥.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/١٣٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، سورة النمل، تحقيق نشأت محمود كوشك، ماجستير قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بمكة، ١٤٠٥هـ، ص ٤٨٥.

(٤) النديم الفهرست ص ٣٦، الذهبي، السير ٨/٨٩، السيوطي، تزيين المالك ص ٤٠، وذكر السيوطي انه رآه.

(٥) الداودي، طبقات المفسرين ٢/٢٩٩.

(٦) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/٢٠٦، الزركلي، الأعلام ٥/٢٥٧.

(٧) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي ١/٣٢، علوم القرآن والحديث.

(٨) تفسير الثوري ص ٣٨٤، ابن حجر، فتح الباري، كتاب التفسير ٩/٧٣، ١٤١، ٥٢١.

(٩) ابن حجر، فتح الباري، كتاب التفسير ٩/٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧.

والقاسم بن محمد ت ١٠٧^(١)، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج ت ١١٧^(٢)،
ومحمد بن شهاب الزهري ت ١٢٤^(٣)، ومحمد بن المنكدر ت ١٣٠^(٤)، وأبو
الزناد ت ١٣١^(٥)، وصالح بن كيسان ت ١٣٩^(٦)، ويحيى بن سعيد الأنصاري
ت ١٤٣^(٧)، وهشام بن عروة بن الزبير ت ١٤٨^(٨)، ومحمد إسحاق بن يسار
ت ١٥١^(٩)، وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عوف ت ١٨٤^(١٠)، وغيرهم.
وكثرة هؤلاء المفسرين تؤكد القول على أن التفسير بالمأثور أي بالسنة
وقول الصحابة والتابعين كان طابع التفسير في المدينة، ولا تكاد تجد مدنيا
يفسر كتاب الله برأيه إلا ما ذكر عن زيد أسلم وأنه كان يفسر بالرأي قال حماد

(١) تفسير الثوري ص ٣٨٦، ابن حجر، فتح الباري ٩/٥٧، ١٢١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٩/٧٣، ٢٠٢، ٢٧٩، ٤٥٩.

(٣) تفسير سفيان بن عيينة ٢٢٧، ٢١٤، ٢٠٢، الإمام عبد الرزاق الصنعاني مفسراً ص ٢٩٥، ابن حجر،
فتح الباري ٩/٢١٨، ٢٤٣، ٢٥١، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٤٧، ٣٦٠.

(٤) تفسير سفيان بن عيينة ص ٢٣٣، ابن حجر، فتح الباري ٩/٣٧، ٢٥١، ٩١.

(٥) تفسير سفيان بن عيينة ص ٢٦٣، ابن حجر، فتح الباري ٩/١٧٣، ٢٠٢، ٢٧٩، ٣٧٥، ٤٩٥،
٦١١.

(٦) تفسير الثوري ص ٤٢٦، ابن حجر، فتح الباري ٩/١٠٨، ١٣٢، ١٧١، ٢١٣، ٢١٧، ٣٠٩.

(٧) تفسير سفيان بن عيينة ص ٣٣٧، ٢٤١، تفسير الثوري ص ٤٢٩، ابن حجر، فتح الباري ٩/٣٠٩،
٥٢٧، ٥٢٦، ٥٢٥.

(٨) تفسير سفيان بن عيينة ص ٣٤٥، تفسير الثوري ص ٤٣١، ابن حجر، فتح الباري ٩/٢٤، ٣٥، ٨٦،
١١٤، ١٢٥، ١٥٥، ٢٥٧، ٣١٠، ٣٤٥، ٣٨٥، ٣٨٨، ٥٧٥.

(٩) تفسير البغوي ١/٣٠، ابن حجر، فتح الباري ٩/٣٠٩.

(١٠) ابن حجر، فتح الباري ٩/٧٤، ١٠٣، ١٠٨، ١٣٢، ١٤١، ١٧١، ٢١٣، ٢١٧، ٢٦٠.

بن زيد^(١): «قدمت المدينة وهم يتكلمون في زيد بن أسلم فقلت لعبيد الله^(٢): ما تقول في مولاكم؟ قال: ما نعلم به بأساً إلا أنه يفسر القرآن برأيه»^(٣).

ووضح هذا الأمر يعقوب بن شيبة حين قال عن زيد بن أسلم: عالم بتفسير العراق له فيه كتاب^(٤). وهذا الإمام كان يفسر القرآن بالرأي الحسن وليس كما يفعل بعض أهل العراق الذين توسعوا في هذا الأمر كثيراً حتى أوقعهم في مخالفات وانحرافات.

والمفسر من أهل المدينة قد يكون محدثاً من كبار المحدثين أو فقيهاً مجتهداً كمالك وهذا يدل على سعة العلم وتفوق عدد من العلماء في كثير من المجالات وإجادتهم لهذه التخصصات المختلفة.

(١) حماد بن زيد: إمام أهل البصرة ت ١٧٩. الذهبي، العبر ١/٢١٢، ٢١١.

(٢) عبيد الله بن عمر العمر ت ١٤٧. سيد شريف عالم صالح متعبد ثقة حجة. السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/١٢٧.

(٣) ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر، دمشق ط/١، ١٤٠٥ تحقيق نسيب نشاوي ١٣/٩، الذهبي، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠٨ حوادث ووفيات ١٢١-١٤٠. تحقيق عمر عبد السلام التدمري ص ٤٣١.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ١٢١-١٤٠/ص ٤٢٩.

ج - الحديث

ينقسم علم الحديث إلى قسمين:

أ - علم الحديث رواية: وهو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية نقلاً محرراً.

ب - علم الحديث دراية: وهو معرفة القواعد المعرفة بحال الراوي والمروى^(١).

وقد أهتم المسلمون بحديث رسول الله ﷺ وما ورد عن صحابته الكرام باعتباره من ضمن الحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، رواه أبو داود^(٢).

وكان للمدينة حظ كبير في ذلك، قال الإمام الزهري: اختلفت من الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الحجاز خمساً وأربعين سنة ما استطرفت حديثاً واحداً^(٣).

وهذا يدل على أن المدينة كانت مركزاً للحديث النبوي، وقل أن تجد حديثاً بالشام أو العراق؛ إلا ومصدره المدينة من أحد الصحابة أو التابعين الذين رحلوا إلى تلك البلاد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكداً على هذه الحقيقة:

(١) د. محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، بيروت، ط/٢، ١٣٩٢، ص ٧.

(٢) نفس المرجع ص ٢٢.

(٣) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/٤٠٩.

وكان غيرهم من أهل الأمصار دونهم في العلم بالسنة النبوية وإتباعها^(١).
وقد سبق أن ذكرت في الحياة السياسية أن عدداً من علماء المدينة كانوا يعملون ببغداد عاصمة الدولة ومقر العلماء وتعلم الحديث على يد المدنيين أبو يوسف^(٢) وغيره من كبار علماء بغداد.

وكان علماء المدينة يتحرون في نقلهم للحديث، قال ابن عون: كان القاسم بن محمد يحدث بالحديث على حرفه^(٣). وقال أبو العالية: «كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه فننظر إذا صلى فإن أحسنها جلسنا إليه وقلنا: هو لغيرها أحسن وإن أساءها قمنا عنه وقلنا هو لغيرها أسوأ»^(٤).

وكانوا لا يأخذون في نقلهم إلا عن الثقات. قال يحيى بن سعيد للقاسم بن عبيدالله: «ما أشد على أن تسأل عن الشيء لا يكون عندك، وقد كان أبوك إماماً». قال: «إن أشد من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله أن أفتى بغير علم، أو أن أروى عن غير ثقة»^(٥). وقال سعد بن إبراهيم: «لا يحدث عن رسول الله إلا الثقات»^(٦). وقيل لزيد بن أسلم: «عمن يا أبا أسامة؟ أي عمّن

(١) ابن تيمية، الفتاوى ٢٠/٢٩٤، وقال المباركفوري في مقدمة تحفة الأحوذى ١/٣٢: وكانت طريقة أهل الحجاز في الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمتن في الصحة لاشتدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى ٢٠/٣٠٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/١٨٧.

(٤) الدارمي، السنن ١/٩٣.

(٥) الدارمي، السنن ١/٤٦، ويحيى بن سعيد هو الأنصاري ت ١٤٣، والقاسم بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب أبو محمد المدني ت ١٣٠. انظر ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/٣٢٥-٣٢٦.

(٦) الدارمي، السنن ١/٩٣.

تروى. قال: ما كنا نجالس السفهاء ولا نحمل عنهم^(١). واستمر أهل المدينة في تأكيدهم على المحافظة على حديث رسول الله ﷺ مع البعد عن الرواية عن الكذابين، والوضاعين، وكل من به عيب قادح في دينه، أو حفظه. وعندما ظهر الإمام مالك وألف الموطأ دقق في الرجال؛ وبالغ في ذلك، حتى قيل عن الموطأ: إن كل من وضعه في موطئه وأظهر اسمه ثقة تقوم به الحجة^(٢). وقال علي بن المدني: «إذا حدث مالك عن رجل من أهل المدينة ولا تعرفه فهو حجة لأنه كان ينتقي»^(٣). وقد أدى ذلك إلى شدة الحرص على اتصال السند إلى رسول الله ﷺ حيث كانوا يميزون من يدلس^(٤)، أو يرسل^(٥)، ولو كان من كبار الأئمة كالزهري، أو ابن إسحاق.

(١) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ، ١/٤٤١.

(٢) الفسوى، المعرفة والتاريخ، ١/٣٤٩.

(٣) عبدالغني الدقر، مالك بن أنس، دار القلم، دمشق - بيروت، ط/١، ١٤٠٢، ص ٨٨.

(٤) التدليس: أن يروي الراوي عن عاصره ولم يلقه، أو عن لقيه ما لم يسمعه منه على وجه يوهم سماعه. والذي كان يقع فيه الكبار هو تدليس الشيوخ، وهو أخف من الأول. لأن الراوي لا يعتمد إلى إسقاط أحد من السند ولا إيهام سماع ما لم يسمع، بل يسمى الراوي شيخه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به. د. محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث ص ٣٤١-٣٤٢، وكان ابن شهاب ممن يدلس في النادر. انظر الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق على محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ٤٠/٤.

(٥) أما الإرسال: فهو ما رفعه التابعي إلى رسول الله من قول أو فعل أو تقرير، صغيراً كان التابعي أو كبيراً. د. محمد الخطيب، أصول الحديث ص ٣٣٧.

قال عمر بن عبدالعزيز: «ما أتاك به الزهري يسنده فاشدد به يديك»^(١).
 ولا بدّ من التذكير بأنّ علم نقد رجال الحديث بدأ متقدما في عهد المصطفى
 ﷺ ولكن على نطاق ضيق لأنه لم يكن بين الصحابة من يكذب، ثم نما العلم
 وتوسع بعد ظهور البدع. وكانت مدرسة المدينة هي الرائدة في مجال النّقد^(٢).
 أما علماء الحديث بالمدينة في هذه الفترة فهم من التابعين وتابعهم. وقد
 جعلت تقسيم الإمام الذهبي في كتابه المعين في طبقات المحدثين هو العمدّة
 واخترت من كل طبقة ذكرها عددا من أبرزهم:

* أبو صالح السمان ت ١٠١، إمام ثقة كثير الحديث^(٣)، جليل القدر
 وصفه الإمام أحمد بأنه: «ثقة ثقة». قال الأعمش^(٤): «سمعت من أبي صالح
 ألف حديث»^(٥).

ولا شك أن غيره قد سمع أكثر من ذلك، وقال عنه الذهبي: «القدوة،
 الحافظ، الحجة، كان من كبار علماء المدينة»^(٦).

(١) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ٤١١ / ١.

(٢) د. محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، ط/ ٢، الرياض، ١٤٠٢، ص ١٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٣٠١ / ٥، السيوطي (جلال الدين ت ٩١١) طبقات الحفاظ، مكتبة وهبه،
 القاهرة، ١٣٩٣، ص ٣٣.

(٤) الأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي، محدث الكوفة وعالمها ت ١٤٨. الذهبي، العبر ١ / ١٦٠.

(٥) الذهبي، السير ٣٦ / ٥، الذهبي، تذكرة الحفاظ ٨٩ / ١، السيوطي، طبقات الحفاظ ص ٣٣-٣٤، د.
 الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي ١ / ١٤٧.

(٦) الذهبي، السير ٣٦ / ٥، الذهبي، المعين في طبقات المحدثين ص ٣٧.

* نافع مولى ابن عمر ت ١١٧، الإمام المفتى الثبت، عالم المدينة^(١)، روى الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم وكان ثقة كثير الحديث^(٢)، قال عنه البخاري: «أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر»^(٣).

ولمكانته وعلمه الغزير بعثه عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - إلى مصر ليعلمهم السنن^(٤). وقد دون نافع صحيفة سمعها من عبدالله بن عمر، كان يعطيها لتلاميذه ليقرأوها^(٥).

وقد وثق الإمام نافع كل من العجلي، والنسائي، وابن خراش، وابن معين^(٦). وكان حافظاً ثبتاً له شأن، وهو أكبر من عكرمة عند أهل المدينة^(٧). ويعتبر من أئمة التابعين بالمدينة، إماماً في العلم متفقاً عليه صحيح الرواية^(٨). وهو من الثقات النبلاء والأئمة الأجلاء^(٩).

(١) الذهبي، السير ٥/٩٥، الذهبي، المعين ص ٤٢، السيوطي، طبقات الحفاظ ٤٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٤٥.

(٣) الذهبي، السير ٥/٩٧، ابن كثير، البداية والنهاية ٩/٣١٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٤٤، ابن عبدالبر، التمهيد ١٣/٢٣٦، الذهبي، السير

٥/٩٧، ابن كثير، البداية والنهاية ٩/٣١٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٤٣، ابن عبدالبر، التمهيد ١٣/٢٣٦، الذهبي، السير

٥/٩٩، د. الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي ١/١٢١، ١٨٨.

(٦) المزني (جمال الدين يوسف ت ٧٤٢) تهذيب الكمال، مخطوط مصور، دار المأمون، دمشق

٣/١٤٠٦، الذهبي، السير ٥/١٠١، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/٤١٤.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/٤١٤.

(٨) المصدر السابق ١٠/٤١٤.

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية ٩/٣١٩.

قال عنه الدكتور الأعظمي: «أجمع المحدثون وأئمة الجرح والتعديل على إمامته وثقته ونباهته»^(١).

* سعيد بن أبي سعيد كيسان الليثي المقبري ت ١٢٠، الإمام المحدث الثقة حدث عن أبيه وعن عدد من الصحابة والتابعين، وكان من أوعية الحديث، وحديثه مخرج في الصحاح^(٢)، كان ثقة كثير الحديث^(٣)، قال عنه الذهبي: «ثقة، لكنه اختلط قبل موته بأربع سنين»^(٤)، ثم ذكر في السير معقباً على ذلك بقوله: «ما أحسبه روى شيئاً في مدة اختلاطه، وكذلك لا يوجد له شيء منكر»^(٥). وقال عنه صاحب الكامل في ضعفاء الرجال: «قد قبله الناس وروى عنه الأئمة والثقات من الناس، وما تكلم فيه إلا بخير»^(٦).

* عامر بن عبد الله بن الزبير ت ١٢١، الإمام الربّاني، أحد العباد، مجمع على ثقته، روى عن أبيه وغيره^(٧)، وكان منقطعاً في العبادة. وقد لقيه مالك بن أنس، وحدث عنه^(٨). ومع ثقته وأمانته إلا أنه لم يرو إلا

(١) دراسات في الحديث النبوي ١/ ٢١٥.

(٢) الذهبي، السير ٥/ ٢١٦، الذهبي، المعين ص ٣٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٤٧.

(٤) العبر ١/ ١٢٢.

(٥) السير ٥/ ٢١٧.

(٦) ابن عدى (عبدالله الجرجاني ت ٣٦٥) دار الفكر، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٤، ٣/ ١٢٢٨، المزني، تهذيب الكمال ١/ ٤٩١.

(٧) الذهبي ٥/ ٢١٩، ٢٢٠، تاريخ الإسلام ٥/ ٩٢.

(٨) المصعب الزبيري، نسب قريش ص ٢٤٣.

أحاديث يسيرة^(١).

* محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٠-١٢٤) الإمام العالم، حافظ زمانه، أعلم الحفاظ، عالم الحجاز والشام، روى عن ابن عمر، وجابر بن عبدالله وغيرهم من الصحابة^(٢). تعلم نسب قومه وبعض الشعر على يد الصحابي عبدالله بن ثعلبة بن صعير - وابن صعير من صغار الصحابة - ثم تحول إلى دراسة القرآن والحديث والفقه؛ فدرس على الفقهاء السبعة^(٣). قال عنه ابن منجويه: «وصار أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار، حتى قيل: ليس هناك أكثر جمعاً للحديث وللعلم منه»^(٤)، وقد تفرد في الحديث حتى روى عنه نحو من ألفي حديث، وحددها أبو داود: «بألفين ومئتي حديث، النصف منها مسند»^(٥).

قال عمر بن عبدالعزيز ومكحول: «لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهري»^(٦)، وكان الزهري حريصاً على كتابة كل ما يسمعه من

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١١٢، الذهبي، المعين ص ٤٦.

(٢) الذهبي، السير ٣٢٦/٥، الذهبي، المعين ص ٤٨، الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/١٠٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥، السيوطي، طبقات الحفاظ ص ٤١.

(٣) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ١٥٨، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ٦٥، الذهبي، السير ٥/٣٣٠.

(٤) السيوطي، طبقات الحفاظ ص ٤١.

(٥) المزي، تهذيب الكمال ٣/١٢٧٠، الذهبي، السير ٥/٣٢٨، تاريخ الإسلام ٥/١٣٦. وقد جمع حديث الزهري كل من الذهلي، والحسن الماسرجي.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ٥/١٣٦.

العلماء^(١)، ويحاول حفظه وربما مزق الرقاع التي كتبها بعد حفظ ما فيها^(٢). وكان يجمع سنة النبي ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين حتى فاق أقرانه الذين يهتمهم بالدرجة الأولى حديث رسول الله ﷺ^(٣)، وقد جُمع حديث الزهري بإتقان واستيعاب في مجلدين^(٤). وتعتبر أسانيد الزهري عن سالم عن أبيه؛ من أجود الأسانيد^(٥)، وتسنم الزهري مكانة عالية في الحديث والسنن؛ حتى قال الشافعي: «لولا الزهري لذهبت السنن من المدينة»^(٦). وكان الزهري يقدم في الرواية أبناء المهاجرين والأنصار على الموالى^(٧)، وعندما قابل الزهري عبد الملك بن مروان، سأله عن مسألة فرضية فأحسن إجابتها، فقال عبد الملك: «هذه إجابة طيبة يكتب بها إلى الأفاق»^(٨)، وقد عبر الليث بن سعد عن شمول علمه وسعته، فقال: «ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب، ولا أجمع علما منه، لو سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن

(١) المزي، تهذيب الكمال ٣/ ١٢٧٠، الذهبي، السير ٥/ ٣٢٩، تاريخ الإسلام ٥/ ١٣٧.

(٢) المزي، تهذيب الكمال ٣/ ١٢٧٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ٥/ ١٣٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ٦٠، ٦١، ٦٢، الذهبي، السير ٥/ ٣٣٢، التاريخ ٥/ ١٤٥، شكر الله القوجاني، مقدمة تحقيق ترجمة الزهري من تاريخ دمشق ص ١١م.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ٥/ ١٥١.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٩١.

(٦) النووي، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٩١، ابن عساكر، تاريخ دمشق، مخطوط المسجد القطري ١٢٢/ ١٨.

(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ٦٤.

(٨) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٦٠، ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ٦٨.

حدث عن الأعراب والأنساب، قلت: لا يحسن إلا هذا، فإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه»^(١).

كل ذلك جعل الإمام مالك يقول: «ما أدركت بالمدينة فقيها محدثا غير واحد، فسئل من هو؟ قال ابن شهاب الزهري»^(٢)، وقد تجاوزت شهرة ابن شهاب المدينة، فوصلت الشام والعراق، وله الإمامة والمكانة والمنزلة بالمدينة حتى أنه عندما يدخل المدينة لا يتحدث أحد من العلماء حتى يخرج^(٣)، وخلف الزهري كبار التابعين بالمدينة بعلمه الغزير^(٤)، وكان أحد الثقات الستة الذين دار عليهم العلم في عهده^(٥). ويقال: «إنه حفظ على الأمة تسعين سنة لم يأت بها غيره»^(٦).

أما عن شدة حفظه وقدرته التي وهبها الله إياه فإنه يصعب على المرء في عصرنا عصر انحسار الحفظ الذي هو أساس العلم. وهاك الأدلة على حفظه:

-
- (١) الفسوى، المعرفة والتاريخ ١/٦٢٣، ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ١٠٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/٤٤٩.
 - (٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٦٧، ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ١٢٤.
 - (٣) ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ١٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية ٩/٣٤٣.
 - (٤) ابن المديني (علي بن عبدالله ت ٢٣٤) العلل، المكتب الإسلامي، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ص ٤٨، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٨/٧٤، ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ١٣٤.
 - (٥) ابن المديني، العلل ص ٣٩، الذهبي، السير ٥/٣٤٥، تاريخ الإسلام ٥/١٤٤.
 - (٦) ابن تيمية، الفتاوى ٢١/٤٩٤. هكذا في الفتاوى ولعلها ولقد بحثت عنها في أكثر من كتاب فلم أجد هذه العبارة، مع العلم أنه لم يعيش سوى ٧٤ سنة.

«أرسل عبدالملك بن مروان كتاباً يعاتب فيه أهل المدينة، وكان مقدار الكتاب طومارين^(١)، فقرأ الكتاب على الناس عند المنبر ثم اجتمع إلى سعيد بن المسيب تلاميذه؛ فسألهم عن الخبر فصار التلاميذ كل منهم يأتي بطرف مما في الكتاب، فقال ابن شهاب: أتحب يا أبا محمد أن أسمعك كل ما فيه؟ قال: نعم، فسرده عليهم كأنه يقرأ من كتاب^(٢). والخبر الثاني، قال مالك: «حدثنا ابن شهاب أربعين حديثاً فتوهمت في حديث منها، فانتظرت حتى خرج، فسألته عن حديث واحد شككت فيه، فقال: أو لم أحدثك؟ قال قلت: بلى ولكنني توهمت فيه، فقال: لقد فسدت الرواية، خل لجام الدابة فخليته ومضى. وأخبر مالك أن هذا الحديث هو حديث السقيفة الطويل^(٣)».

وقال ابن شهاب: «والله ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته، ولا خرج

منه^(٤)».

وروى عبدالرحمن بن مهدي، عن مالك، أنه استفهم الزهري في حديث فقال الزهري: «تستفهمني؟ ما استفهمت عالماً قط، ولا رددت شيئاً على عالم قط»، وهذا جعل عبدالرحمن بن مهدي يعجب ويقول: «فذلك الطوال،

(١) الطامور: الصحيفة، جمعها طوامير، انظر إبراهيم مصطفى وزملاءه، المعجم الوسيط، مطبعة مصر ١٣٨١، ٢/٥٧١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ٧٤.

(٣) ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ٨٣-٨٤.

(٤) ابن عدى، الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٧١، ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ٧٥.

وتلك المغازي»^(١).

وحاول هشام بن عبد الملك أن يختبر حفظه؛ فسأله أن يملأ على بعض أبنائه فدعا بكاتب فأملى عليه أربعمئة حديث... ثم أقام هشام شهرًا ونحوه، ثم قال للزهري: «إن ذلك الكتاب الذي أمليت علينا قد ضاع»، قال: «فلا عليك ادع بكاتب» فدعا بكاتب، فحدثه بالأربعمئة حديث؛ ثم قابل هشام بالكتاب الأوّل، فإذا هو لا يغادر حرفًا واحدًا»^(٢).

وقال له عمر بن عبد العزيز في ليلة بعد أن تذاكرا العلم: «ما أعلمك تعرض على شيئاً قد مر على مسامعي إلا أنك أوعى له مني»^(٣)، وقد قيل: «إنه لا يعرف له غلط في حديث ولا نسيان مع أنه لم يكن في زمانه أكثر حديثاً منه»^(٤).

ومع هذه المكانة العلمية العالية فإنّ الإمام الزهري لم يسلم ممن سلبهم الهوى القدرة على التمييز من أمثال اليعقوبي، وابن أبي الحديد، والمامقاني^(٥)،

(١) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل ٧٢ / ٨، ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ٧٦.

(٢) الفسوى، المعرفة والتاريخ ١ / ٦٤٠، ابن عساكر، ترجمة الزهري ص ٨٩، ابن كثير، البداية والنهاية ٣٤٢ / ٩.

(٣) الفسوى، المعرفة والتاريخ ١ / ٥٧٢.

(٤) ابن تيمية، الفتاوى ٢١ / ٤٩٤.

(٥) اليعقوبي سيكون لنا على كلامه رد. أما ابن أبي الحديد، والمامقاني فهما يكفران الزهري في كتابيهما نهج البلاغة ٤ / ١٠٢، وتنقيح المقال ٣ / ١٨٦، وكل المذكورين من الشيعة الإمامية الذين يكفرون الأمويين ومن شايعهم وهذه الأقوال منقولة عن د. حارث سليمان ضاري، الإمام الزهري وأثره في السنة، مكتبة بسام، الموصل ط / ١، ١٤٠٥.

وغيرهم من الرافضة^(١)، الذين اتهموا هذا الإمام بأنه يضع الحديث للأمويين، مستشهدين بالعلاقة الطيبة بين الزهري وبين الخلفاء الأمويين. وتلقف هذا الهراء وردد هذه الاتهامات المستشرق أجناس جولد زيهر، وقد جلا الحقيقة ووضحها عدد من العلماء^(٢).

وإحقاقاً للحق أقول: هل دفعت الصلة القوية والعلاقة المتينة للإمام الزهري للمداهنة في دينه؟ وللإجابة على ذلك أذكر ما دار بين هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، والإمام الزهري حيث سأله عن معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ [النور: ١١] الآية. فقال الزهري: «هو عبدالله بن أبي»، قال هشام: «كذبت هو علي»، فقال: «أنا أكذب لا أبالك، فوالله لو نادى مناد من السماء، أن الله أحل الكذب ما كذبت»^(٣)، فهاهو يرد بكل قوة على الخليفة وبعبارة شديدة «لا أبالك»، فكيف يتهم بهذا الاتهام الباطل، كما أن

(١) مثل هاشم معروف الحسيني في كتابه دراسات في الحديث والمحدثين، دار التعارف، بيروت، ط/٢، ١٣٩٨، والذي صب فيه جام حقه على الصحابة والتابعين، ومنهم الزهري. وسفه البخاري وصحيحه.. وهو في ص ١٧٦، يتهم الأمويين بأنهم أبعد الناس عن الدين، وأنهم لا يقربون إلا من يماثلهم. وجعل الزهري بهذه المنزلة. ثم أورد سخافات إمامه اليعقوبي.

(٢) كان من أبرز العلماء د. مصطفى السباعي في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٣، ١٤٠٣، ص ٥٠٣، وأضواء على الإعلام في صدر الإسلام، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٥، ص ١٢٧ وما بعد، ود. حارث سليمان الضاري، الإمام الزهري ص ٤٤١-٤٧٨.

(٣) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ١٦٢، الذهبي، السير ٥/٣٣٩.

اتهامه بوضع الحديث لعبدالمملك بن مروان لا أساس له، وهو من وضع ساذج مغفل ولما سبق عن علمه ودينه وحفظه ولأنه كان شابا صغيرا لم يبرز بعد ولم يصل إلى دمشق إلا في عام ٨٢، أي بعد القضاء على ابن الزبير رضي الله عنهما. الذي ذكر أن الزهري وضع حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» حتى يصرف الناس عن البيت الحرام إلى القدس، وقد حج في عهد ابن الزبير وفد من الأمويين، والحديث روى من طرق كثيرة ولم ينفرد به الزهري حتى يتهم به^(١).

ومن أمثلة جراته وتقديمه لمصلحة المسلمين على مصالح نفسه، إشارته بخلع ولي عهد هشام، مع أن ذلك الوالي الوليد بن يزيد كان قد عاهد الله لئن أمكنه الله من الزهري أن يقتله^(٢). فهل يمكن اتهام هذا الإمام بتهم التقرب، ووضع الحديث، والمداهنة للأمويين.

واختم الحديث عن هذا العلم بقول أستاذ المؤرخين الإمام الذهبي بأن: «بعض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري لكونه كان مداخلًا للخلفاء، - ثم رد الذهبي هذا - بأنه إن فعل ذلك فهو الثبت الحجة، وأين مثل الزهري رحمه الله»^(٣).

* عبدالله بن دينار العمري ت ١٢٧، الإمام المحدث الحجة أحد الأئمة

(١) د. محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين ص ٥١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٨٤.

(٣) الذهبي، السير ٣٣٩/٥.

الإثبات^(١)، روى له الجماعة^(٢)، مجمع على توثيقه^(٣)، والاحتجاج به^(٤)، كثير الحديث حيث بلغت نحو مائتي حديث^(٥)، وإن كان العقيلي ذكر أنه مضطرب الحديث^(٦)، وقد تعقبه الذهبي: «بأن وضعه في كتاب الضعفاء إساءة، والاضطراب لا ذنب لعبد الله فيه إنما هو من الرواة عنه^(٧)».

* محمد بن المنكدر ت ١٣٠، الإمام الحافظ، القدوة، شيخ الإسلام^(٨)، أجمع النقاد على توثيقه والاحتجاج به لجلالته وحفظه وإتقانه^(٩)، كان من معادن الصدق^(١٠). وقد بلغت أحاديثه نحو مائتي حديث أو أكثر^(١١)، وإن كان ابن سعد قد قال: إنه قليل الحديث^(١٢).

(١) الذهبي، السير ٥/٢٥٣، ميزان الاعتدال ٢/٤١٧، الذهبي، المعين ص ٤٦.

(٢) المزني، تهذيب الكمال ٢/٦٧٩.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ٥/٩٣.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/٤١٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٠٥، الذهبي، السير ٥/٢٥٥.

(٦) العقيلي (محمد بن عمرو بن موسى المكي ت ٣٢٢) الضعفاء الكبير، تحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤، ٢/٢٤٧.

(٧) الذهبي، السير ٥/٢٥٤، تاريخ الإسلام ٥/٩٣.

(٨) الذهبي، السير ٥/٣٥٣، المعين ص ٤٨.

(٩) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٩٨، هامش رقم ٢، ابن عبد البر، التمهيد ١٢/٢٢٣، وقال: وكان مقلاً ومع ذلك كان مجوداً.

(١٠) الذهبي، السير ٥/٣٥٤.

(١١) المصدر السابق ٥/٣٥٤، ٣٦٠.

(١٢) الطبقات، القسم المتمم ص ١٩٨.

* سهيل بن أبي صالح السمان ت ١٤٠، إمام محدث صادق الرواية^(١)، كان من كبار الحفاظ لكنه مرض فتغير حفظه^(٢)، روى عنه الأئمة إلا البخاري، وهذا لا يقدر فيه كما قال الدارقطني^(٣).

* صالح بن كيسان تبعه ١٤٠ وقيل ١٤٥، الإمام الحافظ الثقة^(٤)، كان يجمع بين الحديث والفقه والمرؤة^(٥)، وهو كثير الحديث^(٦)، مجمع على توثيقه وقد أخرج له الجماعة^(٧)، قربه عمر بن عبدالعزيز منه وقت إمارته للمدينة، وكان يستشيريه ويأخذ برأيه، ثم طلبه الخليفة الوليد بن عبدالمملك وجعله مع ابنه عبدالعزيز بن الوليد^(٨).

* يحيى بن سعيد الأنصاري ت ١٤٣، تتلمذ على الفقهاء وصار إماماً علامة عالم المدينة في وقته وشيخ عالمها مالك، كان مجوداً للحديث^(٩)، لم يكن هناك من يوازيه في علمه وفضله بعد كبار التابعين سوى الزهري^(١٠)، وهو على

(١) الذهبي، السير ٣٥٩/٥، المعين ص ٥٤.

(٢) الذهبي، السير ٣٥٩/٥.

(٣) المصدر السابق ٤٦٠/٥.

(٤) الذهبي، السير ٤٥٤/٥، المعين ص ٥٤.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ٨٦/٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٢٨.

(٧) المصدر السابق ص ٣٢٨.

(٨) الذهبي، السير ٤٥٤/٥.

(٩) الذهبي، السير ٤٦٨/٥، المعين ص ٥٧.

(١٠) المزي، تهذيب الكمال ١٥٠١/٣.

رأس محدثي الحجاز؛ مع ابن شهاب الزهري، وعبدالمكك بن جريج المكي^(١)، كان عليه الاعتماد في حفظ السنن مع ابن شهاب إلا أنه لم يُختلف عليه كما اختلف على ابن شهاب^(٢)، وله من الحديث كما ذكر ذلك عن نفسه: ستمائة، أو سبعمائة، إلا أن ابن المديني حددها بنحو ثلاثمائة حديث، وهذه الثلاثمائة من المسند من حديثه أو المشتهر^(٣)، وكانت هذه الأحاديث مكتوبة عند الليث بن سعد الذي عرضها عليه فاستنكر كثرتها فقبل له: «تركه يعرض عليك فما عرفت أجزته وما لم تعرفه رده فعرفه كله»^(٤).

* هشام بن عروة بن الزبير ت ١٤٨، الإمام الثقة شيخ الإسلام، أحد الأئمة الأعلام^(٥)، حجة حافظ ابن حافظ، فغالب مروياته عن أبيه عروة؛ أحد الفقهاء السبعة في زمانه، تحول من المدينة إلى العراق، وصحب أمير المؤمنين المنصور^(٦)، كثير الحديث. بلغ المسند من حديثه أربعمائة^(٧)، أما جميع حديثه فيبلغ الألف حديث^(٨) وقد اتهمه بالتغير والاختلاط الحافظ الحسن بن

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مخطوط المكتبة القطرية بمكة ١٨/١٢٥.

(٢) المزني، تهذيب الكمال ٣/١٥٠١، الذهبي، السير ٥/٤٧٥.

(٣) الذهبي، السير ٥/٤٧٥.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مخطوط ١٨/١٢٤.

(٥) الذهبي، السير ٦/٣٤، ميزان الاعتدال ٤/٣٠١.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد ١٤/٤١.

(٧) المزني، تهذيب الكمال ٣/١٤٤٥.

(٨) الذهبي، السير ٦/٤٧.

القطان، وعلق الذهبي على ذلك بأن: «الرجل حجة مطلقاً ولا عبرة بهذه التهمة فإنه لم يختلط قط وهذا أمر مقطوع به»^(١)، لكن في الكبر تناقص حفظه^(٢)، وقد ترك هشام كتاب العوالي من نحو أربعمئة حديث^(٣).

ولم أر أحد من العلماء اعتبره من الضعفاء سوى الرافضي هاشم الحسيني الذي قال: «إنه ناصبي شديد العدا لعلى وولده»^(٤)، «وأنه يأتي بأحاديث ينكرها أهل بلده»^(٥)، وهذه تهم مردودة على هذا الرافضي بعد توثيق أهل العلم لهذا الإمام.

* إبراهيم بن سعد (١٠٩ - ١٨٣) الإمام الحافظ المحدث الكبير^(١)، ابن الإمام الحجة الفقيه سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف؛ الذي كان من كبار العلماء حتى كان يقرن مع الزهري ويحيى بن سعيد^(٢)، فلا غرابة أن يبرز ابنه ويصل هذه المكانة العالية حتى أنه كان هو وهشيم شيخي الحديث في عصرهما ببغداد^(٣)، وقد جمع كثيراً من الحديث والمغازي وغيرها.

(١) المصدر السابق ٦ / ٣٥.

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٠١.

(٣) الزركلي، الأعلام ٨ / ٨٧، سزكين، تاريخ التراث ١ / ١٦٢.

(٤) دراسات في الحديث والمحدثين ص ١٧١.

(٥) المرجع السابق ص ١٨٨.

(٦) الذهبي، السير ٨ / ٣٠٤.

(٧) المصدر السابق ٥ / ٤١٨.

(٨) المصدر السابق ٨ / ٣٠٧.

قال إبراهيم بن حمزة: «كان عند إبراهيم عن محمد بن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي»، ووصفه البخاري بأنه «أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه»^(١). وقد اشتهر عن إبراهيم إباحته للغناء وأنه حلف ألا يحدث حتى يغنى^(٢).

ولكن هذا غير صحيح ولا يليق بعالم من كبار علماء الحديث في عصره أن يفعل هذا، وقد ضعف الذهبي القصة التي وردت بأنه حلف ألا يحدث حتى يغنى^(٣).

وقد ترك إبراهيم بن سعد عدداً من الأحاديث المكتوبة بلغت ٢٠ صفحة تدعى «بنسخة إبراهيم» وهي مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة^(٤).

* إبراهيم بن محمد بن يحيى الأسلمي ١٠٠-١٨٤، الشيخ العالم المحدث أحد الأعلام المشاهير^(٥)، اتفق على تضعيفه وتركه إلا أن ابن عدى في الكامل^(٦)، حاول توثيقه فقال: «وثقه الشافعي وابن عقدة الأصبهاني ثم قال: «ولم أجد لإبراهيم حديثاً منكراً إلا عن شيوخ يمتثلون».

(١) المزني، تهذيب الكمال المطبوع ٩٢/٢.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٨٤/٦، الذهبي، السير ٣٠٩، ٣٠٦، الزركلي، الأعلام ٤٠/١، وقال: موسيقار!!

(٣) الذهبي، السير ٣٠٦-٣٠٧.

(٤) الزركلي، الأعلام ٤٠/١، سزكين، تاريخ التراث ١٧٦/١.

(٥) الذهبي، السير ٤٥٠/٨.

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال ٢٢٦، ٢٢٢.

وقد حدث عنه ابن جريج والثوري والكبار، ولكن الذهبي عقب على ذلك بقوله: «بأن الجرح مقدم على التعديل»^(١).

وسبب تركه وضعفه أنه كان قدرياً، معتزلياً، رافضياً، جهمياً، كذاباً^(٢)، وقد صنف إبراهيم بن محمد كتاب "الموطأ" وهو كبير أضعاف موطأ الإمام مالك وصنف نسخا كثيرة^(٣).

وقد اخترت هؤلاء المحدثين من بين عدد كبير جداً من محدثي المدينة النبوية في هذه الفترة وقد اجتهدت في أن يكون اختيارهم على فترات البحث وهناك من الكبار الذين لا ارتضى تركهم وتجاوزهم أمثال:

الخليفة عمر بن عبدالعزيز ت ١٠١، الذي أصدر أمراً بتدوين السنّة بشكل رسمي وجمعها من الناس في المدينة^(٤) وغيرها، وسالم بن عبدالله بن عمر ت ١٠٦، الذي يعتبر إسناده من أصح الأسانيد^(٥)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ت ١٠٦، الذي كان من أعلم الناس بالسنّة^(٦)، وعبدالرحمن بن هرمز ت ١١٧^(٧)،

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٥٩.

(٢) العجلي، تاريخ الثقات ص ٥٥، الذهبي، السير ٨/ ٤٥١-٤٥٢.

(٣) ابن عدي، الكامل ١/ ٢٢٦، الذهبي، السير ٨/ ٤٥٠.

(٤) الدارمي، السنن ١/ ١٠٤.

(٥) الذهبي، المعين ص ٣٨، ابن كثير، الباعث الحثيث ص ٢٢، السيوطي، طبقات الحفاظ ص ٣٣.

(٦) الذهبي، المعين ص ٤١، السيوطي، طبقات الحفاظ ص ٣٨.

(٧) الذهبي، المعين ص ٤٠.

وصفوان بن سليم ت ١٣٢^(١)، وزيد بن أسلم ت ١٣٦^(٢)، وربيعة بن عبدالرحمن ت ١٣٦ الذي كان من أحفظ الناس للسنن^(٣)، وعبيد الله بن عمر العمري ت ١٤٧^(٤)، ومحمد بن إسحاق ت ١٥١ الإمام الحافظ صاحب التصانيف منها "كتاب السنن"^(٥)، ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب ت ١٥٨ صاحب "كتاب السنن"^(٦)، وأبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة ت ١٦٢، الذي كتب لابن جريج عالم الحديث المكي ألف حديث من أحاديثه الجياد^(٧).

والإمام مالك بن أنس ت ١٧٩، إمام دار الهجرة صاحب الموطأ أول مدون في الحديث رتب على أبواب الفقه وأجل كتب الحديث في عصره قبل تدوين الإمامين البخاري ومسلم لكتائيهما^(٨)، وأنس بن عياض ت ٢٠٠ محدث المدينة النبوية^(٩).

(١) المصدر السابق ص ٤٦.

(٢) الذهبي، المعين ص ٤٥.

(٣) الذهبي، المعين ص ٥٣، السيوطي، طبقات الحفاظ ص ٦٩.

(٤) الذهبي، المعين ص ٥٥، السيوطي، طبقات الحفاظ ص ٧٠.

(٥) الذهبي، المعين ص ٥٦، ابن كثير، الباعث الحثيث ص ٣٠.

(٦) النديم، الفهرست ص ٢٨١.

(٧) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٥٩.

(٨) ابن كثير، الباعث الحثيث ص ٣٠.

(٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/٣٢٣.

د - نقد الحديث

النقد عند المحدثين: «هو تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، والحكم على الرواة توثيقاً وتجريحاً»^(١).

وقد بدأ هذا العلم في عهد النبي ﷺ ولكن على نطاق ضيق جداً، وكان أبو بكر ﷺ يحتاط في قبول الأخبار^(٢).

أما عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب فقد فتشا عن الرجال في الروايات التي ترد عليهما^(٣).

ولم يتوسع فيه الصحابة، وكبار التابعين، لأنَّ الصحابة ﷺ لم يكونوا يكذبون، قال البراء: ما كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، منه ما سمعناه منه، ومنه ما حدثنا أصحابنا ونحن لا نكذب^(٤)، وعندما ذكر أنس بن مالك ﷺ حديثاً، قال له رجل: «أنت سمعت عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، أو حدثني من لا يكذب، والله ما كنا نكذب ولا ندرى ما الكذب»^(٥).

وكان من أهم دواعي ظهور أحد جانبي النقد؛ أي نقد السند؛ هو ظهور

(١) د. محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين ص ٥.

(٢) الحاكم (أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري ت ٤٠٥) المدخل في أصول الحديث، مكتبة المعارف، الطائف، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في الحديث ص ١١٣.

(٣) د. الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين ص ١١.

(٤) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١ / ١٦٤.

(٥) المصدر السابق ١ / ١٦٦.

الوضع في الحديث، وهذا الأمر لم يكن على عهد الصحابة ولا في عهد كبار التابعين؛ بل ظهر متأخراً على يد الشيعة.

وقد حدد بعض الباحثين بداية الوضع في الثلث الأخير من القرن الأوّل الهجري^(١).

أما الأستاذ قاسم على سعد فيحدده بشكل أدق، بزمن المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب؛ الذي كان يعطي الكذابين العطاء ليرووا في تقوية أمره^(٢). قال خيثمة بن عبد الرحمن: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى كان زمن المختار فاتهمه الناس»^(٣).

وقال الجوزجاني: «كان المختار يعطي الرجل الألف دينار والألفين على أن يروي له في تقوية أمره حديثاً»^(٤).

وأما قول ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فننظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»^(٥).

فلا يدل على أن الكذب حدث بوقوع الفتنة أي مقتل عثمان رضي الله عنه بل غايته

(١) د. عمر حسن فلاته، الوضع في الحديث، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٤٠١، ١/٢٠٢.

(٢) مباحث في علم الجرح والتعديل، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/١، ١٤٠٨، ص ١٣.

(٣) الخطيب، الجامع ١/١٣٠.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب ٢٥٩، معرفة الرجال، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٥، ص ٤٠.

(٥) صحيح مسلم، المقدمة ١/١٥.

احتياط أئمة الحديث في الرواية وتشددهم في قبولها، جعلهم يردون رواية المبتدع؛ إما تنكيلاً وتقريعاً على سلوكه طريقاً خالف الرعيل الأول، فأثر ابن سيرين لا يدلُّ على أنَّ الكذب وقع ببداية الفتنة، بل يدلُّ على أن أئمة الحديث كانوا أكثر يقظة وأشدَّ حيطة^(١).

قال العلامة المعلمي رحمه الله: «وأما التابعون فكلامهم في التعديل كثير، ولا يروى عنهم في الجرح إلا قليل؛ وذلك لقرب العهد بالسراج المنير عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، فلم يكن أحد من المسلمين يجترئ على الكذب على الله ورسوله وعامة المُصَغِّفِينَ من التابعين إنما ضعفوا للمذهب، كالخوارج، أو لسوء الحفظ، أو للجهالة، ثم جاء عصر أتباع التابعين فما بعده، فكثر الضعفاء والمغفلون والكذابون والزنادقة، فنهض الأئمة لتبيين أحوال الرواة، وتزييف ما لا يثبت»^(٢).

وكانت بداية الوضع في العراق وخاصة الكوفة التي أقام بها عدد كبير من

(١) د. عمر فلاته، الوضع في الحديث ١/ ٢١٥، قال أحمد أمين: يظهر أن الوضع حدث في عهد الرسول ﷺ فحديث «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، يغلب على الظن أنه قيل لحادثة زور فيها على الرسول ﷺ، فجر الإسلام ص ٢٥٨، وقد رد عليه الدكتور مصطفى السباعي قائلاً: وهذا الذي استظهره لا سند له في التاريخ ثابت، ولا في سبب الحديث المذكور كما جاء في الكتب المعتمدة، واتفقت كتب الحديث على أنه قال: هذا القول عندما أمر صحابته بتبليغ حديثه إلى من بعدهم، ثم أنه ﷺ كان يعلم أن الإسلام سياتشر ويدخل فيه أقوام كثيرون، فكان يحذر مما سيقع. انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) علم الرجال وأهميته، دار البصائر، دمشق ط/ ٢، ١٤٠١، ص ١١.

الشيعة أول من كذب على رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب الزهري: «إن الحديث ليخرج من عندنا شبراً فيرجع من عندهم ذراعاً»، قال الصوفي: «من العراق». وسأل الزهري: «عمن حدثني حديث الجنب اغتسل فمات؟ قلت: عن رجل من أهل الكوفة، قال: أفسدت في حديث أهل الكوفة دغل^(١) كثير^(٢)». وكان الإمام مالك يسمي العراق دار الضرب^(٣). (أي تشبيها لها بضرب النقود، لكثرة الكذب في الحديث).

وقد ادعى المستشرق المجرى أجناس جول زيهر في كتابه "دراسات إسلامية العقيدة والشريعة في الإسلام"، أن علماء المدينة هم الذين بدأوا حركة الوضع بسبب الخلافات بينهم وبين الأمويين، ولم يدل على ذلك بوضوح واحد من هؤلاء العلماء الأتقياء كما ساهم!! وكيف يسمى تقياً من يضع الحديث على رسول الله، إنها دعوى تافهة متهافة ولا أدل على ذلك إلا شهادة علماء الأمصار الإسلامية وخلفاء الدولة من بنى أمية وبنى العباس بأن أهل المدينة هم أصحاب الأسانيد القوية العالية، وهم أهل الفن في هذا العلم الشريف^(٤).

(١) دغل: فساد، الرازي، مختار الصحاح ٤٦٩.

(٢) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ٧٠ / ١، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس في فرق الأمة أكثر كذباً واختلاقاً من الرافضة. الفتاوى، ط/ كردستان ١ / ٣٣٣.

(٣) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل ٢ / ٢٢.

(٤) الذهبي، السير ٨ / ١٠٢، انظر د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

ومن نقاد الحديث في القرن الثاني الهجري:

* محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ١٢٤، الذي أعطى لهذا العلم دفعة كبيرة بتدوينه الحديث بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله. وقال الزهري عن سبب ذلك التدوين: «لولا أحاديث سألت علينا من المشرق ننكرها ولا نعرفها، ما كتبت حديثاً ولا أذنت في كتابته»^(١). وقوله هذا يؤكد ما سبق قوله من أن العراق كان نقطة انطلاق للوُضاعين، وقد أهتم الإمام الزهري بالإسناد أي سلسلة الرواة للحديث أو الأثر إلى أن يصل إلى قائله سواء كان النبي ﷺ أو أحد الصحابة أو التابعين. وهذا الإسناد يعتبر من خصائص الأمة الإسلامية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة»^(٢).

وبسبب تشدد الزهري واهتمامه بالإسناد تجوز بعضهم في أنه أول من أسند الحديث ومن أطلق ذلك اللقب. أحد أئمة نقاد الحديث الإمام مالك ومع هذا فلا يُسلم قول الإمام مالك، إنما يخرج بأنه أول من تمسك به تمسكاً تاماً وتشدد في طلبه كثيراً في عهده أو أنه أول من أسند بالشام^(٣)، حيث روى

(١) ابن سعد، الطبقات ١٦٦، الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٣٧.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، نشر جامعة الإمام، ٧/٣٧.

(٣) د. حارث الضاري، الإمام الزهري ص ٣١٨.

عنه أنه قال: «يا أهل الشام مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم»^(١).
ولذلك عندما قال ابن عيينة: حدث الزهري يوماً بحديث بإسناده
كعادته. قال ابن عيينة: «هاته بلا إسناد. قال الزهري: أترقى السطح بلا
سلم»^(٢)؟

وقال لإسحاق بن أبي فروة عندما سمعه يقول: «قال رسول الله قال
رسول الله ﷺ: قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجرأك على الله، لا تسند حديثك؟
تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة»^(٣).

ومع اهتمام الزهري بنقد الأسانيد وتوثيق الرجال وتضعيفهم والتأكيد
على الإسناد، اهتمَّ في نفس الوقت بالجانب الآخر لعلم مصطلح الحديث وهو
نقد المتن، فقال رحمه الله: أعياء الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث
رسول الله من منسوخه^(٤).

وقد بين العلائي مكانة الزهري في ذلك فقال: هو أول من رسخ الكلام في
الجرح والتعديل واتصال الأسانيد وانقطاعها، ونقب عن دقائق علم العلل،
وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم^(٥)، وعدَّ الزهري واضع أساس علم

(١) الذهبي، السير ٥/٣٣٤.

(٢) الذهبي، السير ٥/٣٤٧.

(٣) الحاكم، معرفة علوم الحديث ص ٦، الخطيب، الكفاية ص ٥٥٦.

(٤) الذهبي، السير ٥/٣٤٦.

(٥) جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ١٢٦، نقلا عن د. حارث الضاري ص ٤١٦.

مصطلح الحديث^(١).

* الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، كان إماماً في نقد الرجال مع الحفظ والإتقان والإجادة^(٢).

وكان من أئمة الحديث والفقه، وقد توثق في نقد الرجال وانتقى فلم يحدث عن كل أحد.

قال رحمه الله: «أدركت بهذه البلدة رجالاً بنى المائة ونحو ذلك يحدثون الأحاديث لا يؤخذ منهم، ليسوا بأئمة»^(٣).

وقال: «أدركت في مسجدنا هذا ستين أو سبعين من التابعين، لم أكتب إلا عن من يعرف حلال الحديث وحرامه وزيادته ونقصانه»^(٤).

وكان يعتبر الحديث بمنزلة اللحم والدم. فقال: «إن هذا العلم هو لحمك ودمك، وعنه تسأل يوم القيامة، فانظر عمن تأخذه»^(٥).

وكان يوصي تلاميذه بالتشدد في الحديث وأن لا يأخذه إلا من عند أهله، قال لخالد بن خراش عندما ودعه: «عليك بتقوى الله وطلب هذا الأمر

(١) حماد بن محمد الأنصاري، يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر، دار العدوى، ط/١، ١٤٠٥، ص ٧، د.

محمد لقمان السلفي، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً وممتناً، ط/١، ١٤٠٨، ص ١٠١.

(٢) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٠١، الذهبي، السير ٨/٦٤.

(٣) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/٥٧٣.

(٤) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٠٥.

(٥) د. عمر فلاته، الوضع في الحديث ٢/١٠.

من عند أهله»^(١).

وكان علي بن المديني يقول: «كل مدني لم يحدث عنه مالك، ففي حديثه شيء، ولا أعلم مالكا ترك إنساناً إلا إنساناً في حديثه شيء»^(٢).

وقال أبو يوسف: «قد تحققت من الاستقصاء وذكر الأسامي اسماً فاسماً لأن جملة الأمر أن مالك بن أنس لم يضع في الموطأ إسناداً، وأظهر اسماً يحدث عنه إلا وهو ثقة خلا عبدالكريم بن أمية»^(٣).

واشترط هو أن لا يروى إلا عن ثقة. فقال عندما سأله بشر بن عمر الزهراني عن رجل: «هل رأيت في كتبي؟ قلت: لا. قال: لو كان ثقة رأيت في كتبي».

ولذلك قال الإمام الذهبي معلقاً على هذا القول: «فهذا يعطيك بأنه لا يروى إلا عمن هو عنده ثقة، ولا يلزم من ذلك أنه يروى عن كل الثقات، ثم لا يلزم مما قال: أن كل من روى عنه، وهو عنده ثقة، أن يكون ثقة عند باقي الحفاظ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره؛ إلا أنه بكل حال كثير التحري في نقد الرجال»^(٤).

ومن القواعد التي وضحها الإمام مالك في نقد الرجال قوله: لا يؤخذ

(١) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٠٢.

(٢) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٠٣.

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٤٢٥.

(٤) الذهبي، السير ٨/٦٤.

العلم عن أربعة وخذوا ممن سوى ذلك، لا يؤخذ عن سفيه معلن بالسفه، وإن كان أروى الناس، ولا عن صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا عن كذاب يكذب في أحاديث الناس؛ وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله، ولا عن شيخ له عبادة وفضل، إذا كان لا يعرف الحديث^(١).

ولا اهتمامه رحمه الله بنقد الحديث أهتم بالوفيات^(٢)، لأنه يكشف من يكذب في أنه التقى بفلان أو فلان، فيقال له: متى وأين؟ فإن أجاب وإلا انكشف^(٣).

ومن علماء النقد في هذه الفترة: عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي ت ١٠١^(٤)، وأبو صالح ذكوان السمان ت ١٠١^(٥)، وعبدالرحمن بن هرمز ت ١١٧^(٦)، وسعد بن إبراهيم الزهري ت ١٢٧^(٧)، وأبو الزناد عبدالله بن

(١) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٠٣، الخطيب، الكفاية في علم الرواية ص ١٨٩.

(٢) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/٢٩٠.

(٣) كما في قصة يهود خيبر الذين أظهروا كتاباً أكثر من مرة كشفه الإمام الخطيب البغدادي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم، والذي زعموا فيه أن النبي ﷺ أسقط عنهم الجزية فردها العلماء لما فيها من الألفاظ الركيكة واللحن الفاحش، وقد شهد بهذا الكتاب سعد بن معاذ، وقد توفي قبل خيبر بستين. انظر ابن كثير، البداية والنهاية ١٤/١٩.

(٤) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/٤١١.

(٥) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/٦٦.

(٦) المصدر السابق ١/٦٦.

(٧) الدارمي، السنن ١/٩٣، الإمام مسلم، الصحيح ١/١٥، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال

١/٧٠، ابن حبان، المجروحين ١/٣٩.

ذكوان ت ١٣٠^(١)، وزيد بن أسلم ت ١٣٦^(٢)، وربيعة بن أبي عبدالرحمن
ت ١٣٦^(٣)، ويحيى بن سعيد الأنصاري ت ١٤٣^(٤)، ومحمد بن عمر بن علقمة
ت ١٤٥^(٥)، وهشام بن عروة بن الزبير ت ١٤٨^(٦).

(١) الإمام مسلم، مقدمة الصحيح ١/ ١٥.

(٢) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/ ٤٤١، ابن حبان، المجروحين ١/ ٢١، الخطيب، الكفاية ص ١٨٨.

(٣) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٧٣.

(٤) ابن حبان، المجروحين ص ٣٩.

(٥) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٣٦.

(٦) ابن حبان، المجروحين ص ٣٩.

هـ - الفقه

الفقه في اللغة: «فهم الشيء الدقيق»^(١)، يقال رجل فقيه: «عالم، وكل عالم بشيء فهو فقيه، وفقه العرب عالم العرب»^(٢)، وكانت العرب لا تفرق بين العالم والفقيه.

وعرف اصطلاحاً: «بأنه العلم بالأحكام الشرعية العلمية المستنبطة من أدلتها التفصيلية»^(٣)، وهذا هو ما استقر عليه تعريف الفقه في عصرنا الحاضر. ولكن هل ينطبق هذا التعريف على فترة دراستنا، القرن الثاني، لقد كان مفهوم الفقه في البداية أوسع بكثير من ذلك حيث ارتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الحديث فكلما زادت حصيلة العالم من الحديث علت منزلته في الفقه، ولذلك قيل عن الزهري إنه أعلم من ابن المسيب، وعروة وعبيد الله بن عتبة، لأنه جمع علمهم إلى علمه^(٤).

ولما سبق يمكن أن يكون تعريف الفقه في هذه الفترة بأنه البصر النافذ في

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط/٣، ١٤٠٥هـ/١/١١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب مادة ث ق ف ٢/١١٢٠.

(٣) الآمدي (سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد ت ٦٣١) الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر، ١٤٠١هـ/١/٥.

(٤) الشيرازي (إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق ٣٩٣-٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، دار القلم، بيروت بدون تاريخ نشر، تصحيح خليل الميس ص ٤٧.

دين الله والفهم عن الله وعن رسوله ﷺ^(١)، وقد كان الفقه في القرن الأوّل والثاني فقهاً شاملاً للدين كله غير مختص بجانب منه، وقد كان الفقيه عندهم يُعنى بالأصول قبل الفروع، ويعنى بأعمال القلوب قبل عمل الأبدان، ولذلك سمي الإمام أبا حنيفة ورفقات وضعها في العقيدة باسم الفقه الأكبر، وبذلك يشمل الفقه علم الاعتقاد وأحكام الفروع، والأخلاق^(٢).

وقد كثر الفقهاء في هذه الفترة، وجمع كثير منهم بين القراءة والتفسير والحديث والفقه ولكن اشتهر بعضهم بالفقه دون غيره من العلوم، ومن العلماء بالفقه:

* عمر بن عبدالعزيز ت ١٠١، الخليفة الأموي العادل، والإمام المجتهد الحافظ الزاهد العابد^(٣)، الذي يعد من الخلفاء الراشدين، واجمع كثير من العلماء على أنه مجدد القرن الثاني الهجري، وأوّل من قال ذلك معاصره الإمام الزهري، ثم تبعه الإمام أحمد^(٤).

(١) انظر د. عمر سليمان الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/١، ١٤٠٢هـ ص ١٣.

(٢) انظر د. عمر الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٤-١٥.

(٣) الذهبي، السير ١١٤/٥.

(٤) مجلة البيان، لندن، تصدر عن المنتدى الإسلامي عدد ٣ ربيع الأول ١٤٠٧هـ ص ١٦، ومن العلماء الذين اعتبروا الإمام عمر مجدد القرن الثاني، الحاكم (أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري ت ٤٠٥) المستدرک، مكتبة النصر، الرياض ٥٢٣/٤، وابن الأثير، جامع الأصول ٣٢٢/١١، وابن كثير، البداية والنهاية ٢٠٧/٩، وابن حجر، في توالي التأسيس. انظر مقدمة =

واتفاق العلماء على تجديد عمر لأمر منها:

- ١ - أنه أعاد للخلافة أحد أركانها الأساسية الشورى.
- ٢ - رد المظالم المالية وألغى الضرائب ونظم الزكاة.
- ٣ - بعث العلماء ولاة على الأقاليم وفقهاء معلمين لأهلها.
- ٤ - أحيأ سنة الاجتماع^(١) لمعرفة حكم الواقعة كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم فعندما تولى إمرة المدينة جمع عشرة من الفقهاء^(٢)، وصار لا يقطع أمراً دونهم أو دون بعضهم، وعند توليه الخلافة جعل له مجلساً استشارياً^(٣) يضم عدداً من العلماء^(٤).

= فيض القدير للمناوي ١/ ١١، والسخاوي في التحفة اللطيفة ٣/ ٣٤٨، والمناوي في فيض القدير، المقدمة ١/ ١٠، وشمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود المكتبة السلفية بالمدينة النبوية ١١/ ٣٨٧.

(١) كان أبو بكر الصديق إذا أتاه الأمر بحث في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا لم يجد جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به وكذلك فعل عمر، سنن الدارمي ١/ ٥٨، ابن القيم (شمس الدين محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هـ) إعلام الموقعين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، بعناية طه عبدالرؤوف سعد ١/ ٦٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٣٣٤، الطبري، التاريخ ٦/ ٤٢٧، الذهبي، السير ٥/ ١١٨، ابن كثير، البداية والنهاية ٩/ ٧٦.

(٣) الذهبي، السير ٥/ ١٢٨، ١٣٨، القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/ ٦٧.

(٤) كان من بين هؤلاء العلماء عدد من المدنيين منهم صالح بن كيسان، وسليمان بن موسى بن عبدالله، ومحمد بن علي بن الحسين، وزيد بن أسلم. د. ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية ص ١٣٠، وكان هناك عدد من المجالس العلمية في المدن الإسلامية الأخرى، ففي الكوفة مثلاً قال فضيل بن غزوان: «كنا نجلس أنا وابن شبرمة، والحارث بن يزيد العكلي، والمغيرة بن مقسم الضبي، =

٥ - حارب المفاصد المورثة، ففضى على العصبية المقيتة، ومنع سب أحد من السالفين أو لعنه، وحارب المبدع المحدثه والآراء الضالة، كالقدرية والخوارج والمرجئة، والمعتزلة، وأنصف أهل الذمة، ووضع الجزية عمن أسلم، وعمل على تدوين السنة، وفكر في تحويل الخلافة إلى شورى من بعده^(١).

وقد ظهر نبوغ عمر منذ حداثة سنه؛ فعندما سئل ابن المسيب عن عدة أم الولد يموت عنها سيدها، قال ابن المسيب: «سل هذا الغلام»، يعنى عمر وهو أمير المدينة. فسأله فقال: «حيضه»^(٢).

ولعمر بن عبدالعزيز اجتهادات فقهية مبثوثة في مظانها من كتب الفقه، وأورد ابن سعد بعض هذه الاجتهادات^(٣).

* سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ت ١٠٧، الإمام الزاهد الحافظ، مفتى المدينة^(٤)، وأحد فقهاؤها السبعة الذين كانوا يجتمعون إذا جاءتهم المسألة فينظرون فيها ولا يقضي القاضي في أمر أشكل عليه حتى يرفع إليهم،

= والقعقاع بن يزيد بالليل تذاكر الفقه، فربما لم نعلم حتى نسمع النداء بالفجر، الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٨٤، الذهبي، السير ٦/٣٤٨.

(١) مجلة البيان، عدد ٣، ص ١٦.

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٤٩.

(٣) الطبقات ٥/٣٥٤-٣٦٩.

(٤) الذهبي، السير ٤/٤٦١.

فينظرون، ويُصدرون الحكم^(١).

وبلغ من المكانة أن قال أهل المدينة لهشام الخليفة الأموي عندما رآه فأصابه بعين، عان فقيها^(٢)، وكان رحمه الله يخالط الناس في أسواقهم ويشترى حاجته بنفسه^(٣)، فيعرف بذلك مشاكل المسلمين وواقعهم فساعده ذلك على تطبيق الفتوى على الواقع، وهذا مهم للفقهاء حيث يعرف أحوال من يفتى له. وقد عد رحمه الله من المجتهدين^(٤) المجددين^(٥) ولا غرابة في ذلك فهو ابن عالم المدينة في زمنه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجمعين.

* القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٣٥-١٠٧) الإمام القدوة الحافظ الحجة عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة، تربى في حجر عائشة رضي الله عنها وتلمذ وتفقه عليها^(٦).

وقد عدّه العلماء من المجتهدين المجددين^(٧)، كان من أعلم الفقهاء،

(١) الذهبي، السير ٤/٤٦٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٠٠، الذهبي، السير ٤/٤٦٣.

(٣) السيوطي (جلال الدين ٩١١هـ) الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، تحقيق د. محمد فؤاد عبد المنعم أحد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٥هـ ص ١٨٧-١٨٨.

(٤) العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/٣٩٥.

(٥) الذهبي، السير ٥/٥٣.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/١٨٢، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٤٠٢، العظيم آبادي، عون المعبود ١١/٣٩٥.

(٧) انظر الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/١٨٢-١٨٣.

وصارت إليه الفتوى مع أبي سلمة وسالم، وهو من الفقهاء السبعة والعشرة المأخوذ بقولهم والمرجوع إليهم^(١)، وصفه الإمام مالك بأنه: «فقيه من فقهاء الأمة»^(٢)، وقول مالك السابق يدل على منزلته الكبيرة في هذه الأمة، وأن آراءه الفقهية لها موضع الصدارة عند العلماء.

وكان ابن سيرين يأمر من يحج أن ينظر إلى هدى القاسم فيتبعه^(٣)، وهذا يدل على علمه بالمناسك؛ مع أن علماء مكة من أعلم الناس بالمناسك، وقد تبوأ هذه المكانة السامقة مع أنه كان كفيفاً^(٤).

* سليمان بن يسار (٣٤-١٠٧) الإمام الفقيه عالم المدينة ومفتيها^(٥)، وأحد المجتهدين في المدينة^(٦)، وكان العالم لا يعد فقيهاً إلا إذا كان مجتهداً، وكان رحمه الله من أوعيه العلم حتى فضله بعضهم على ابن المسيب^(٧)، الذي كان يقول لمن يستفتيه: «اذهب إلى سليمان فإنه أعلم من بقي اليوم»^(٨)، وهو من الفقهاء

(١) انظر الذهبي، السير ٥/٥٨، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٤٠٢.

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٤٢.

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٥٤٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/٣٣٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥/١٩٣، وقد جمع فقهه على عبدالله جابر في رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في العهد العالي للدعوة الإسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة.

(٥) الذهبي، السير ٤/٤٤٤.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/٩١، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/١٨٦.

(٧) انظر الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٤٣، الذهبي، السير ٤/٤٤٥.

(٨) انظر الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٤٣.

السبعة بالمدينة، وقد فاق علماء مدينة الرسول ﷺ في العلم بالطلاق^(١)، وتحدث عن فقهه والسته الباقيين من الفقهاء السبعة الأستاذ عبدالله بن صالح الرسيني في بحثه المقدم لكلية الشريعة بمكة لنيل درجة الماجستير عام ١٣٩٢، وقبله كتب أبو الزناد كتاباً سماه الفقهاء السبعة^(٢)، نقل عنه العلماء من بعده؛ كالإمام مالك^(٣)، والبيهقي^(٤) وغيرهم.

* عبدالرحمن بن القاسم بن محمد ت ١٢٦، الإمام الثبت الفقيه الحجة الورع^(٥)، كان رحمه الله مع علمه فقيه النفس وكانت له منزلة عالية لدى الناس فهو من سادات المدينة جعله ابن عيينة أفضل أهل زمانه^(٦)، وقد ورث عن أبيه الإمام القاسم العلم وخلفه في مجلسه حتى قال الإمام مالك: «إن هذا الشأن لا يورث. وإن أحداً لم يخلف أباه في مجلسه إلا عبدالرحمن بن قاسم»^(٧).

وكان هذا المجلس معروفاً مشهوراً جلس فيه القاسم وسالم ثم خلفهم عبدالرحمن بن القاسم، وعبيد الله بن عمر، ثم جلس فيه الإمام مالك بين القبر والمنبر^(٨)، وقد طلبه الخليفة الأموي الوليد بن يزيد الملقب (بالفاسق) إلى الشام

(١) انظر الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٤٣، الذهبي، السير ٤/٤٤٨.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٢٣٠، د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/١٨٧.

(٣) المدونة الكبرى ١/٢٧٤.

(٤) السنن الكبرى ٨/٤٠.

(٥) الذهبي، السير ٦/٥.

(٦) انظر الذهبي، السير ٦/٥، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٥٢٦.

(٧) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٤٩.

(٨) انظر الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/١٨٤.

في جماعة من العلماء ليستفتيهم فمات بحوران^(١).

* أبو الزناد عبد الله بن ذكوان (٦٤-١٣٠) الإمام الفقيه الحافظ المفتي^(٢)، كان من علماء الإسلام الكبار، وأحد أئمة الاجتهاد^(٣)، وقد جعله عمر بن عبدالعزيز رسوله إلى سعيد بن المسيب^(٤) ينقل إليه المسائل العلمية، والفقهية فاستفاد من ذلك كثيراً، خلف كبار التابعين مع الزهري، ويحيى بن سعيد. وكان فقيه أهل المدينة^(٥)، وقد أقبل عليه طلاب العلم ثم تركوه إلى ربيعة الرأي^(٦).

وقد رآه عبد ربه بن سعيد فقال: «دخل أبو الزناد المسجد ومعه من الأتباع مثل ما مع السلطان، فمن سائل عن فريضة، ومن سائل عن الحساب، ومن سائل عن الشعر، ومن سائل عن الحديث، ومن سائل عن معضلة». وقد قدر الليث بن سعد أتباعه بثلاثمائة رجل^(٧)، وقد أختص بحلقة على حدة جلس إليه فيها عبد الله بن حسن، وداود بن حسن^(٨).

(١) الذهبي، السير ٥/٦. وهوران: قرية من نواحي دمشق. انظر آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن

محمد القزويني ص ١٨٥.

(٢) الذهبي، السير ٥/٤٤٥.

(٣) الذهبي، السير ٥/٤٤٥.

(٤) الذهبي، السير ٥/٤٤٨.

(٥) الذهبي، السير ٥/٤٤٦-٤٤٧.

(٦) المصدر السابق ٥/٤٤٧.

(٧) الذهبي، السير ٥/٤٤٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٣١٧.

(٨) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣١٩.

وقد كان بين أبي الزناد وربيعة الرأي خصومة شديدة مما يقع بين الأقران، حتى وصل الأمر إلى أن نال كل منهما من صاحبه لدى أمير المدينة، فجلد ربيعة، ثم تولى والٍ من بنى تيم؛ الذي ينتسب إليهم ربيعة فطين على أبي الزناد بيته، فلما كاد أن يهلك تشفع فيه ربيعة فأخرج^(١). وقد حصل ذلك بينهما مع أنه كانت لهما حلقة واحدة تجمعهما في بعض الأحيان^(٢)، ولكن شقة الخلاف زادت ووصل الأمر إلى ما وصل إليه.

وعلق الإمام الذهبي على ذلك: «بأن الشحناء بين القرناء تتول إلى أعظم مما حدث»^(٣)، ومن تتبع سير العلماء وجد الإمام الذهبي مصيباً عين الصواب في ذلك في ذلك، فقد يقدر إمام في إمام آخر بالكذب والدجل كما حصل بين مالك وابن إسحاق^(٤) أو يرمى إمام بالتشيع؛ كما حصل للإمام الطبري صاحب التاريخ^(٥).

(١) الذهبي، السير ٤٤٨/٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٢٢.

(٣) الذهبي، السير ٤٤٨/٥.

(٤) وقد ذكر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٩٦/٢-١٩٨ أمثلة كثيرة لذلك مما حصل بين الشافعي، وابن معين، وابن أبي ذئب، ومالك، وبين كل من سعد بن إبراهيم، وعبد العزيز بن أبي سلمة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن أبي يحيى، وابن أبي الزناد، والإمام مالك رحمهم الله جميعاً. وقد يكون الدافع إلى ذلك الحسد. كما قال الكوفي عن سعد بن أبي وقاص: أنه لا يعدل في الرعية، ولا يغزوا في السرية، ولا يقسم بالسوية !!

(٥) رماه بالتشيع أحمد بن علي السليمانى. وقال الذهبي: «ولعل السليمانى يقصد محمد بن جرير بن رستم الرافضى» ميزان الاعتدال ٤٩٩/٣، وقال في السير: «وشنع عليه بيسير تشيع» ٢٧٧/١٤ =

ويذكر ابن حبان أن أبا الزناد: «كان صاحب كتاب»^(١)، ويضيف الذهبي: «وحساب»^(٢). واشتهر عن أبي الزناد كتاب الفقهاء السبعة^(٣). وله من الكتب أيضاً كتاب الفرائض^(٤).

* ربيعة بن أبي عبدالرحمن مولى آل المنكدر التميمي المعروف بريعة الرأي (٦٥-١٣٦) مفتي أهل المدينة وشيخهم وإمامهم.^(٥) كان من أئمة الاجتهاد^(٦). عرف بالرأي ولكنه لم يكن يتوسع كأهل العراق، ومما يدل على عدم توسعه في الرأي أن الإمام الزهري عندما قدم المدينة - وكان مشهوراً بشدته على أصحاب الرأي^(٧) - مدح ربيعة الرأي، واجتمع به مدة طويلة. وقال عنه: «ما ظننت بالمدينة مثله»^(٨). وعندما قدح فيه رجل عنده. قال: «لا تقل هذا

= وفي البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٤٦، ونسبه (بعض عوام الخنابلة) إلى الرفض.

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/٢٠٣.

(٢) الذهبي، السير ٥/٤٤٧.

(٣) الإمام مالك، المدونة الكبرى ١/٢٧٤، الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٢٣٠، البيهقي، السنن الكبرى

٨/٤٠، د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/١٨٧.

(٤) د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/١٨٧.

(٥) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٥٧.

(٦) الذهبي، السير ٦/٨٩.

(٧) قال الزهري: «دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي»، وقال: «إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا

من العلم الذي كان بأيديهم حين اشتقوا الرأي وأخذوا فيه» ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله

٢/١٦٨، ابن القيم، أعلام الموقعين ١/٧٧، ٨٤.

(٨) الذهبي، السير ٦/٩٥، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٥٧.

لربيعه فإنه خير هذه الأمة»^(١). وربيعه الرأي من أوعية العلم. قال الخطيب: «كان حافظاً للفقهِ والحديث»^(٢). وكان شيخه القاسم إذا سئل عن شيء قال «سلوه»^(٣). مما يدل على تبحره في العلم. وكان يحيى بن سعيد الأنصاري المحدث، المجتهد يجالسه فإذا غاب حل محله فإن حضر كف إجلالاً له مع أن ربيعة لم يكن أسن منه^(٤).

وكانت له حلقة بالمسجد النبوي جلس فيها وجوه الناس وأُحصى المعتمون فبلغوا أربعين^(٥). واشترك في هذه الحلقة أبو الزناد، ثم أقبل الناس على أبي الزناد وتُرك ربيعة، وبعد فترة من الزمن صارت الخطوة عند الناس لربيعه حتى قال أبو الزناد: «شبر من خطوة علم خيرٌ من باع علم»^(٦). وقد قدر العلماء ربيعة الرأي لعلمه وحفظه للسنة، قال عنه عبيدالله بن عمر: «هو صاحب معضلاتنا وعالمنا وأفضلنا»^(٧) ورثاه تلميذه الإمام مالك بقوله:

(١) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٣٧، وقال عبدالعزيز بن أبي سلمة: «لما جئت العراق، قالوا: حدثنا عن ربيعة الرأي. فقلت: يا أهل العراق تقولون ربيعة الرأي، والله ما رأيت أحفظ لسنة منه».

الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٧٢، الذهبي، السير ٦/٩٢.

(٢) تاريخ بغداد ٨/٤٢١.

(٣) الذهبي، السير ٦/٩٢، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٥٧.

(٤) انظر الذهبي، السير ٦/٩٢.

(٥) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٥٠، الذهبي، السير ٦/٩١. المعتمون: لابسوا العمام، كناية عن طلبة العلم.

(٦) الذهبي، السير ٥/٤٤٧.

(٧) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٦٨، الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٥٠، الذهبي، السير ٦/٩١.

«ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة»^(١).

وعبر السخاوي عن عظم مكانته وأن ترجمته الحافلة بالأحداث والعلم
تصل إلى عدة كراريس^(٢)، ومن آثاره:

١- كتابه إلى الليث بن سعد.

٢- كتابه إلى مالك بن أنس.

٣- كتابه إلى سليمان بن بلال^(٣).

* محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ٨٠-١٥٩
الإمام الفقيه شيخ الإسلام العالم العامل. كان ثقة فاضلاً قوالاً بالحق مهيباً^(٤)
ورعاً عابداً^(٥).

قال عنه الإمام أحمد: «كان يشبه بسعيد بن المسيب^(٦)، في قوته في الحق،
وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر» حتى وصل الأمر إلى مجاهرته بأن أمير
المدينة عبدالصمد^(٧) ظالم، وفي إحدى حجاته قابل الخليفة أبا جعفر المنصور

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٢١، الذهبي، السير ٦/ ٩١.

(٢) التحفة اللطيفة ٢/ ٥٧.

(٣) د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/ ١٧٧.

(٤) الذهبي، السير ٧/ ١٣٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٢٠.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٦٣٥.

(٧) عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، ولي المدينة ثم البصرة ت ١٨٥ هـ،
بغداد، تاريخ بغداد ٢/ ٢٩٩، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٢٠.

أحد خلفاء بني العباس الأوائل، والمعروف بالشدة، والظلم. فجادله من أجل التوسيع على المسلمين. فقال أبو جعفر: «ويلك لولا ما سددت من الثغور، وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح» فقال ابن أبي ذئب: «فقد سد الثغور، وجيش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك. قال ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب»^(١).

وبلغت الجرأة في إنكار المنكر بابن أبي ذئب أن قال للمنصور في مكة أمام الكعبة «ورب هذه البنية إنك لجائر»^(٢).

وكان ابن أبي ذئب من المفتين بالمدينة^(٣). وقد سأل أبو جعفر المنصور مالكا: من بقى بالمدينة من المشيخة؟ فقال: يا أمير المؤمنين ابن أبي ذئب، وابن أبي سلمة، وابن أبي سبرة^(٤). ولم يكن ابن أبي ذئب على وفاق مع الإمام مالك رحمهما الله^(٥).

وقد ألف كتاباً سماه الموطأ. ذكره الدار قطني ولكنه لم يشتهر^(٦). وقيل ألف كتاباً كبيراً في السنن^(٧)، يحتوي على عدد من أبواب الفقه

(١) الخطيب، تاريخ بغداد ٢/٢٩٨-٢٩٩.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٢٠.

(٤) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٥٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٢١.

(٦) الذهبي، السير ٧/١٤٧.

(٧) الذهبي، السير ٧/١٤٩.

كالطهارة، والصلاة، والزكاة. وما ذكر يدل على أنه كتاب واحد ألفه قبل موطأ مالك^(١). ومع ذلك قال عنه الواقدي: «لم يكن له كتاب» واعتمد في ذلك على سؤال أم ولد ابن أبي ذئب: أله كتب؟ فقالت: «لا ماله كتاب واحد»^(٢) كما ذكر أن أحاديثه مكتوبة عند روح بن عباد وغيره من تلاميذه^(٣).

* عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون ت ١٦٤، من أئمة علماء المدينة الفقهاء المفتين مع الفصاحة وعظم الشأن^(٤). عاصر الإمام مالكا وكان مقاربا له في العلم.

كان أشهب يرى أنه أعلم من مالك^(٥). وذكر ابن وهب: «أنه حج سنة ثمان وأربعين ومائة، فسمع صائحا يعلن: لا يفتي إلا مالك وعبدالعزيز بن أبي سلمة»^(٦). وهو من مشيخة المدينة. وكان في فقهه متابعا لمذاهب أهل الحرمين، مفرعا على أصولهم، ذابا عنهم^(٧).

وذكرت له بعض المؤلفات في الأحكام رواها عنه ابن وهب، وعبدالله بن

(١) د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/٢٠٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤١٤.

(٣) د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/٢٠٦.

(٤) ابن حبان، الثقات ٧/١١١، الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤٣٦، المزي، تهذيب الكمال ٢/٨٣٨،

الذهبي، السير ٧/٣٠٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٣٤٣.

(٥) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٢٩.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤٣٧، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٢٨.

(٧) ابن حبان، الثقات ٧/١١١.

صالح وغيرهما^(١)، كرسالته في الرد على الجهمية، وكتاب الموطأ. ويفهم من كلام السيوطي أن الإمام مالكا استفاد منه في تأليف الموطأ^(٢).

* عبدالرحمن بن أبي الزناد ١٠٠-١٧٤، الإمام الفقيه الحافظ^(٣)، من كبار علماء المدينة^(٤)، كان من أوعية العلم، واشتهر بالعلم، والفقہ في عهد الإمام مالك، قال موسى بن سلمة: «قدمت المدينة فأتيت مالكا. فقلت له: إني قدمت المدينة لأسمع العلم، فمن تأمرني به؟ فقال: عليك بابن أبي الزناد»^(٥). وهو من المفتين بالمدينة^(٦).

وقد جمع إلى تلقيه العلم عن علماء المدينة التلقي عن فقهاء بغداد^(٧)، وقد روى كتاب السبعة الفقهاء عن أبيه. وشكك مالك في ذلك، لأن مالكا أحد تلاميذ أبي الزناد. ولعل السبب في هذه الدعوى من مالك أن ابن أبي الزناد كان يذم مذهب الإمام مالك^(٨).

(١) الخطيب، تاريخ بغداد ٤٣٩/١٠، الذهبي، السير ٣٠٩/٧، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢٩/٣.

(٢) د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/٢٨٠.

(٣) الذهبي، السير ١٦٧/٨.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال ٥٧٥/٢.

(٥) ابن عدى، الكامل ١٥٨٥/٤، السخاوي، التحفة اللطيفة ٤٨٧/٢.

(٦) الذهبي، السير ١٦٨/٨، الذهبي، ميزان الاعتدال ٥٧٦/٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٧٣/٦،

السخاوي، التحفة اللطيفة ٤٧٧/٢.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد ٢٢٩/١٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٧٢/٦.

(٨) الخطيب، تاريخ بغداد ٢٣٠/١٠، الذهبي، السير ١٦٩/٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٧٣/٦،

السخاوي، التحفة اللطيفة ٤٨٨/٢.

وقد وصف الذهبي ابن أبي الزناد بأنه حسن الحديث^(١). وقد تولى عبدالرحمن خراج المدينة فأحسن السيرة بتولية أهل الخير والورع^(٢). وذكر له من المؤلفات كتاب الفرائض، وكتاب الفقهاء السبعة الذي رواه عن أبيه^(٣).

* الإمام مالك بن أنس الأصبحي ٩٣-١٧٩، أحد الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب المتبع المعروف، شيخ الإسلام، وحجة الأمة، إمام دار الهجرة^(٤)، نجم السنن^(٥)، وهو إمام في الفقه، والحديث، والتفسير، والتوحيد. وقد شهد له بذلك عدد من الأئمة منهم: سفيان بن عيينة إمام أهل مكة في عصر مالك، والأوزاعي، والشافعي تلميذ الإمام مالك، وأحمد بن حنبل، وعبدالرحمن بن مهدي، ویتيم عروة، وابن حبان وغيرهم.

ويشهد له بالجمع بين هذه العلوم والإمامة فيها كتاب الموطأ الذي جمع بين الحديث، والفقه، والتفسير والتاريخ، وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الذين سبقوه^(٦).

والإمام مالك يعد من كبار المجتهدين في المدينة وفي العالم الإسلامي في

(١) الذهبي، السير ٨/١٧٠.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/١٧٣، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٤٨٨.

(٣) النديم، الفهرست ص ٢٨٢، د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/٢٧٦.

(٤) الذهبي، السير ٨/٤٣.

(٥) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٤٤٢.

(٦) انظر عمر الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي ص ٩٩.

عصره. وكتابه الموطأ يعتبر مفتاحاً للمجتهد^(١).

وفقه الإمام مالك وفتاواه مدعمة غالباً بالأحاديث الصحيحة، وأقوال الصحابة، والتابعين وغيرهم من الأئمة المجتهدين، وقد أبعده ذلك عن الرأي الفاسد الذي لا يعتمد هذه المصادر^(٢).

وكان رحمه الله لا يعتد برأيه، ويدعوا إلى عرضه على الكتاب والسنة فإن وافقها وإلا رد. قال لمعن ابن عيسى: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب. فانظروا في رأيي فما وافق السنة فخذوا به»^(٣). وقد جلس للفتيا وعمره إحدى وعشرون سنة، ولم يفت حتى استشار شيخه ربيعة ويحيى بن سعيد في أهليته للفتوى^(٤)، وقد عبر عن ذلك بقوله: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك»^(٥).

وهو أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة^(٦). وصارت له حلقة في حياة الإمام نافع الذي توفي عام ١١٧. وفي زمن شيخه ربيعة تكونت له حلقة كبيرة إن لم تفق حلقة شيخه فهي تساويها^(٧). وأفتى مع شيخه ربيعة، ويحيى

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) انظر ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ص ١٤٠.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/١٠.

(٤) أبو نعيم، الحلية ٦/٣١٧، الذهبي، السير ٨/٩٢.

(٥) أبو نعيم، الحلية ٦/٣١٦، ابن فرحون المالكي (إبراهيم بن علي ت ٧٩٩) الديباج المذهب، تحقيق د. محمد الأحدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢ م ١/١٠٢، الذهبي، السير ٨/٩٦.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٤٤٢.

(٧) الذهبي، السير ٨/٧٤.

بن سعيد^(١). وبلغ الإمام مالك منزلة عظيمة في الفتوى حتى ضرب به المثل فقيل: «لا يفتى ومالك بالمدينة»^(٢) بل قد عدّه بعض العلماء هو المعنى بحديث رسول الله ﷺ: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة»^(٣).

قال سفيان بن عيينة، وعبدالرزاق أنه مالك^(٤)، وقاله ابن جريج^(٥)، والأوزاعي، وعبدالرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح^(٦).

قال الإمام الذهبي: «ولم يكن بالمدينة من بعد التابعين من يشبه مالكا في العلم، والفقه، والجلالة، والحفظ»^(٧) ولفقه مالك لدى العلماء مكانة عالية رفيعة فعامة أرائه مسددة، ولو لم يكن له إلا حسم مادة الحيل ومراعاة المقاصد لكفاه^(٨). وقد فضله الإمام الشافعي في محاورته المشهورة مع محمد بن الحسن على أبي حنيفة لعلمه بالقرآن والسنة وأقاويل الصحابة^(٩)، وهي عماد الشريعة.

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب ١/١٠١.

(٢) انظر الحاج مالك سى، مقال الإمام مالك فقيها ومحدثا، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف المغربية، فاس ١٤٠٠هـ جمادى الثانية، ١/٢٠٧.

(٣) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن، والنسائي، والحاكم، وابن حبان في صحيحه، السيوطي، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ص ٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/١٧٤.

(٥) السيوطي، تزيين الممالك ص ٥-٦.

(٦) الزواوي (عيسى بن مسعود) مناقب الإمام مالك، بهامش تزيين الممالك للسيوطي ص ٨-٩.

(٧) الذهبي، السير ٨/٥٨.

(٨) الذهبي، السير ٨/٩٠.

(٩) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل ١/١٣، الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٥٤.

ولو لم يكن في المدينة إلا مالك في هذا القرن لكفاها فخراً على بقية المدن الإسلامية. والقارئ في كتب التراجم يجد كثيراً من الأئمة البحور ممن يقاربون مالكا، والزهري وكثرتهم تحير من يكتب وخاصة عند محاولة وضع أحدهم في تخصص أو علم معين. وقد وضعت الإمام مالكا مع الفقهاء مع اقتناعي بأنه أهل للذكر في معظم العلوم الإسلامية الشرعية لإمامته وريادته فيها. ومن يبحث عن آراء مالك يجدها في الموطأ، والمدونة، والواضحة^(١)، وغيرها من كتب الفقه.

ومن القضايا التي تميز بها فقه الإمام مالك عن غيره من الفقهاء هو جعله عمل أهل المدينة دليلاً لا يقل عن غيره من الأدلة الشرعية الأخرى. وهذا لم يقل به أحد من العلماء في أي مدينة من المدن الإسلامية المشهورة^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب إتباعها غير المدينة لا في تلك الأعصار ولا فيما بعدها لا إجماع أهل مكة، ولا الشام، ولا العراق، ولا غير ذلك من أمصار المسلمين.

ومن حكى عن أبي حنيفة أو أحد من أصحابه أن إجماع أهل الكوفة حجة يجب إتباعها على كل مسلم فقد غلط على أبي حنيفة وأصحابه في ذلك، وأما المدينة فقد تكلم الناس في إجماع أهلها، واشتهر عن مالك وأصحابه أن إجماع

(١) الذهبي، السير ٨/ ٩٠.

(٢) انظر ابن تيمية، صحة أصول مذهب أهل المدينة، دار الندوة، بيروت ص ٢٢، الفتاوى ٢٠/ ٢٩٩.

أهلها حجة، وإن كان بقية العلماء ينازعونهم في ذلك»^(١).
وقد بين ابن تيمية الحكم في هذه المسألة حيث قال: «أهل المدينة أصح أهل
المدائن رواية ورأيا، وأنه (أي عمل أهل المدينة) يكون حجة قاطعة، وتارة
يكون حجة قوية، وتارة مرجحا للدليل»^(٢).

وللإمام مالك عدد من المؤلفات هي:

١- الموطأ: وهو من أجل كتبه، قال ولي الله الدهلوي: «ومن اليقين أنه
ليس بيد أحد اليوم كتاب من كتب الفقه أقوى من الموطأ، لأنه جمع الفضل
لعدة اعتبارات، اعتبار المؤلف، والتزام الصحة، والشهرة، والقبول، وحسن
الترتيب، واستيعاب المقاصد»^(٣).

٢- رسالة في القدر.

٣- رسالة في النجوم ومنازل القمر.

٤- رسالة في الأقضية مجلد.

٥- رسالة إلى أبي غسان بن مطرف.

٦- تفسير.

٧- كتاب السر.

(١) ابن تيمية، صحة أصول مذهب أهل المدينة ص ٢٢، الفتاوى ٢٠/٢٩٩-٣٠٠.

(٢) ابن تيمية، صحة أصول مذهب أهل المدينة ص ٣٣، الفتاوى ٢٠/٣١١.

(٣) الكاندهلوي (محمد زكريا) أوجز المسالك إلى موطأ مالك، دار الفكر، بيروت، ط/٣، ١٣٩٣هـ

٨- رسالة إلى الليث^(١).

٩- كتاب المسائل مخطوط.

١٠- رسالة في الوعظ^(٢).

وله مسائل وفوائد مبثوثة في المدونة والواضحة^(٣)، قال الإمام مالك: «كتبت بيدي مائة ألف حديث»^(٤). وقال ابنه: «لما دفنا مالكاً دخلنا منزله فأخرجنا كتبه فإذا سبعة فناديق من حديث ابن شهاب، ظهورها وبطونها مملأى، وعنده فناديق أو صناديق من حديث أهل المدينة فجعل الناس يقرؤون ويدعون ويقولون: رحمك الله يا أبا عبدالله. لقد جالسناك طويلاً فما رأيناك ذاكرتنا بشيء مما قرأناه وترك رحمه الله صندوقي كتب مقفولين»^(٥).

وبلغ عدد الأحاديث والآثار في موطأ الإمام مالك (١٨٥٢) حديث وأثر^(٦).

أما هذه الكتب التي وجدت في داره فقد تكون عبارة عن مراجع خاصة لا يحدث بها لسبب من الأسباب.

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/ ٢٠٤، الذهبي، السير ٨/ ٨٨-٨٩، السيوطي، تزيين الممالك ص ٤٠-٤١.

(٢) الزركلي، الأعلام ٥/ ٢٥٧.

(٣) الذهبي، السير ٨/ ٩٠.

(٤) ابن فرحون، الديباج ١/ ١٠٠.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/ ١٤٩، ابن فرحون، الديباج المذهب ١/ ١١٣.

(٦) د. عمر الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي ص ٩٩.

* عبدالعزيز بن أبي حازم، سلمة بن دينار ت ١٨٤، الإمام الفقيه، كان من أئمة العلم بالمدينة^(١)، كان من الطبقة الأولى من أصحاب مالك. وأكد مالك على حسن تفقهه^(٢)، وقال الإمام أحمد: «لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه»^(٣). وكان ممن يفتون في آخر زمان مالك وبعده^(٤). وقد سمع من سليمان بن بلال الذي أوصى بكتبه إليه عند وفاته^(٥).

* عبدالله بن نافع الصائغ ١٢٥-٢٠٦، من كبار فقهاء المدينة^(٦)، المفتين بها^(٧). حفظ فقه مالك لشدة ملازمته له وطول هذه المدة التي بلغت أربعين عاماً^(٨).

وقد سئل الإمام مالك مرة: «من لهذا الأمر بعدك» فأشار إلى ابن نافع^(٩). وقال الذهبي: «كان بارعا في الفقه»^(١٠) ومع كل هذه المكانة في علم الفقه إلا

(١) الذهبي، السير ٨/٣٦٣.

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ١٥٢.

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٤٢٩، الذهبي، السير ٨/٣٦٣.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٢٦.

(٥) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٤٢٩، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٢٥.

(٦) الذهبي، السير ١٠/٣٧١.

(٧) ابن عبد البر، الانتقاء ص ٥٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٤٢٩.

(٨) ابن سعد، الطبقات ٥/٤٣٨، الشيرازي، طبقات الفقهاء رقم الصفحة ١٥٢، القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/٣٥٦، وقال أشهب: «ما حضرت لملك مجلساً إلا وابن نافع حاضر».

(٩) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/٣٥٦.

(١٠) الذهبي، السير ١٠/٣٧١.

أنه كان أصم أمياً لا يكتب^(١). وكان أشهب يكتب له ولنفسه^(٢)، وقد تتلمذ عليه سحنون، ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهما^(٣). وهذا القرن غنى بفقهاءه الذين كانت تعج بهم مدينة المصطفى ﷺ ومنهم غير من ذكرت:

أبان بن عثمان (ت ١٠٥)^(٤)، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١١٣) وهو ممن جمع بين العلم والعمل ومع فقه واعتبار الذهبي وغيره من العلماء أنه من المجتهدين المجددين^(٥)، إلا أنه قال: «ولا يبلغ درجة أبي الزناد، وربيعة في الفقه»^(٦)، ومحمد بن يحيى بن حبان (ت ١٢١) الإمام الفقيه الحجة، كان له حلقة يفتى بها وهو من أعيان شيوخ مالك^(٧)، ومحمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري ٥٠-١٢٤، الإمام عالم الحجاز والشام، كان من أعلم أهل زمانه بالحلال والحرام^(٨)، وقد جمع علم ابن

(١) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ١٥٢، والمقصود بالصمم هنا ثقل السمع. ابن منظور، لسان العرب ٣٤٢/١٢.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب ١/٤١٠.

(٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/٣٥٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٤٢٩.

(٤) الذهبي، السير ٤/٣٥١، عده يحيى بن القطان من فقهاء المدينة العشرة.

(٥) الذهبي، السير ٤/٤٠١-٤٠٣، العظيم آبادي، عون المعبود ١١/٣٩٥، بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، دار الدعوة، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ٤٠.

(٦) الذهبي، السير ٤/٤٠١-٤٠٣، وقد عده النسائي وغيره من فقهاء التابعين.

(٧) الذهبي، السير ٥/١٨٦.

(٨) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٤٨.

المسيب، وعروة، وعبيدالله بن عبدالله، وهو أحد أئمة الإفتاء في عهده^(١). ومن المجتهدين المجددين^(٢). وقد جمعت فتاواه في ثلاثة أسفار ضخمة مرتبة على أبواب الفقه^(٣). وزيد بن أسلم (ت ١٣٦) الإمام الحجة الفقيه المفسر، كان له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، قال أبو حازم الأعرج: «لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها»^(٤)، ويحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣) الإمام العلامة المجود، عالم المدينة في زمانه، وشيخ الإمام مالك، وتلميذ الفقهاء السبعة^(٥)، اعتبره العلماء أفقه أهل المدينة^(٦). وأبوبكر عبدالله بن يزيد بن هرمز الأعرج (ت ١٤٨) شيخ الإمام مالك، وكان مالك يجب أن يقتدي به، وكان أهل المدينة يلجئون إليه^(٧)، وأبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة

(١) الذهبي، السير ٣٣٦/٥.

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود ١١/٣٩٥، بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين ص ٤٠.

(٣) جمعها محمد بن أحمد مفرج، ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام ٥/٦٦٩. ويعمل الطالب آدم سنكري على جمع فقهه في رسالة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة، ملحق التراث بجريدة المدينة، عدد ٧٨١٠ في ١١ صفر/١٤٠٩ هـ، ص ٤.

(٤) الذهبي، السير ٣١٦/٥.

(٥) الذهبي، السير ٤٦٨/٥.

(٦) ابن عبدالبر، الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء ص ٢٧، والقاتل هو حماد بن زيد، والشيرازي، طبقات الفقهاء ص ٥١، والقاتل هو أيوب السختياني. ويعمل سليم بن سالم السحيمي على جمع فقه الإمام يحيى بن سعيد في رسالة لنيل درجة الدكتوراه. جريدة المدينة عدد ٧٨١٠ في ١١ صفر ١٤٠٩ هـ ملحق التراث ص ٤.

(٧) الذهبي، السير ٢٧٩/٦.

(١٦٢) الفقيه الكبير، قاضي العراق، ومفتى أهل المدينة^(١)، وكان عنده سبعون ألف حديث في الحلال والحرام^(٢)، ومعن بن عيسى أبو يحيى القزاز (١٣٠ - ١٩٨) تربي عند الإمام مالك ولازمه وكان لديه أربعون ألف مسألة سمعها من مالك^(٣).

وهناك عدد آخر من الفقهاء غير الذين ذكرت، أعرضت عن ذكرهم تجنباً للإطالة.

الفرق بين فقه أهل المدينة (الأثر) وفقه أهل العراق (الرأي):

وهنا موضوع مهم أحببت أن أبين الحق فيه وهو موضوع الفرق بين فقه أهل المدينة، وفقه العراقيين، أو فقه الأثر وفقه الرأي وهي مسألة مكثت فيها زمناً طويلاً ابحت حتى ظهر لي الرأي الذي أميل إليه وأرى أنه الحق، معنى الرأي هو: لغة النظر بالعين والقلب، أو الاعتقاد، وهو هنا: العلم والفهم^(٤).

وقسم ابن القيم الرأي إلى ثلاثة أقسام:

رأى باطل بلا ريب، ورأى صحيح، ورأى هو موضع الاشتباه^(٥).

(١) الذهبي، السير ٧ / ٣٣٠.

(٢) الذهبي، السير ٧ / ٣٣٠.

(٣) الشيرازي، طبقات الفقهاء ص ١٥٤.

(٤) أبو بكر إسماعيل محمد ميقا، الرأي وأثره في مدرسة المدينة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ص ٣١، ٣٤، ٣٨. والكتاب رسالة دكتوراه من جامعة الإمام بالرياض.

(٥) إعلام الموقعين ١ / ٦٧.

فالرأي الباطل يقسم إلى عدة أقسام:

الأول: الرأي المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء، وهذا قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيها الناس اهتموا الرأي في الدين فلقد رأيتني وإني لأرد أمر الرسول الله صلى الله عليه وسلم برأي فأجتهد ولا ألو»^(١).

الثاني: الكلام في الدين بالحرص والظن، مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها.

الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم^(٢)، حيث استعمل أهلهم قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة.

الرابع: القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ العضلات والاعلوطات ورد الفروع بعضها على بعض قياساً، دون ردها على أصولها والنظر في عللها واعتبارها، وهذا ما ورد في النص عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين بدمه.

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين ١/ ٥٥.

(٢) قال أبو بكر ميقاً، الرأي وأثره في مدرسة المدينة ص ١٢٠: "وقد يكون رأياً إعتقادياً كراي جهم، ويمكن دخول الرأي في: (أ) العقائد، (ب) تفسير القرآن. (ج) الفقه".

أما الرأي المحمود فيقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: رأي أئمة الأمة، أبر الأمة قلوباً، وأعمقهم، وأقلهم تكلفاً، وأصحهم قصوداً، وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم أذهاناً، الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل وفهموا مقاصد الرسول ﷺ.

الثاني: الرأي الذي يفسر النصوص ويبين وجه الدلالة منها، ويقررها، ويوضح محاسنها، ويسهل طريق الاستنباط منها كما قال ابن المبارك: «ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث»^(١).

الثالث: الذي تواطأت عليه الأمة وتلقاه خلفهم عن سلفهم، فإن ما تواطؤا عليه من الرأي لا يكون إلا صواباً.

الرابع: أن يكون بعد طلب الواقعة من القرآن، فإن لم يجدها ففي السنة فإن لم يجدها فيما قضى به الخلفاء الراشدون، أو اثنان منهم أو واحد، فإن لم يجد فيما قاله واحد من الصحابة رضي الله عنهم، فإن لم يجد اجتهد رأيه ونظر إلى أقرب ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقضية أصحابه، فهذا هو الرأي الذي سوغه الصحابة واستعملوه، وأقر بعضهم بعضاً عليه^(٢).

ومن عمل بهذا مجتهداً رأيه ومقاييساً على الأصول سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله، وابن شهاب، وأبو

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ١٧٩/٢.

(٢) انظر ابن القيم، إعلام الموقعين ١/٨٣، ٨٥.

الزناد، وربيعة، ومالك وأصحابه، وعبدالعزیز بن أبي سلمة، وابن أبي ذئب^(١).
وقد يقسم الرأي إلى رأيين فقط:

- رأي مستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده أو من نص آخر معه، فهذا من أطف فهم النصوص وأدقه.

- ورأي مجرد لا دليل عليه، بل هو خرص وتخمين، فهذا هو الرأي المذموم^(٢). ويمكن أن نقول عن الرأي المذموم أنه محاولة إيجاد حلول لمشاكل مفتعلة، أو مشاكل لم تقع بعد، وهذه مما نهى الله عنها بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقال فيها ﷺ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفى عن أشياء رحمة لكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنه»^(٣).

وقال الإمام مالك: «أدركت أهل هذه البلاد وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي في الناس اليوم». قال ابن وهب: «يريد المسائل»^(٤) وقال مالك: «لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل»^(٥).

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ٧٦/٢.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين ٨٣/١.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ١٦٦/٢. والحديث منقطع. انظر مشكاة المصابيح، للتبريزي ٦٩/١.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ١٧٥/٢.

(٥) الشاطبي، الاعتصام ٣٣٢/٢.

وكان أصحاب الرأي المذموم يتمركزون في العراق حتى قال الشعبي: «والله لقد بغض هؤلاء القوم إلي المسجد، حتى هو أبغض إلي من كناسة داري، قال له رجل: من هم؟ قال: الأريون». ويخصص أصحاب أبي حنيفة من أهل العراق^(١). قال ابن عبد البر عن أبي حنيفة: «إنه أغرق وأفرط في تنزيل النوازل هو وأصحابه والجواب فيها برأيهم واستحسانهم»^(٢).

وفي توضيح أكثر قال أبو بكر ميقا: «ويستفاد من تسمية أهل الكوفة، أو قل مدرسة العراق بأصحاب الرأي إلى إدخالهم الرأي والقياس على الآثار، وإفراطهم في القياس وطلب العلل والحكم التي شرعت الأحكام لأجلها دون البحث عن الآثار»^(٣).

وكان لعلماء المدينة نصيب كبير في الرأي ولكنه الرأي المحمود ودليل ذلك مشاركة الفقهاء السبعة المجتهدين، ومشاركة مالك، وأبي الزناد، وربيعه بإبداء آرائهم فيما يعرض عليهم من أحداث.

إن عدم التمييز بين الرأي المذموم والمحمود، أوقع بعض العلماء في إشكال^(٤)، وهذا الإشكال هو التناقض الواضح في النصوص الواردة. فبينما

(١) الشهرستاني، الملل والنحل ١/٣٦٥.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ٢/١٨١.

(٣) الرأي وأثره في مدرسة المدينة ص ٢١٩.

(٤) من العلماء محمد أبو زهرة الذي قال: «سنرى أن مالكا لم يكن في اعتياده على الرأي مقلداً، كما توهم عبارات الذين كتبوا في تاريخ الفقه الإسلامي، حتى أنهم ليقسمون الفقه إلى فقه مالك، وفقه رأي وهو فقه أبي حنيفة، وهذه القضية تلوح لنا غير صادقة بالنسبة لمالك، الإمام مالك، دار الفكر =

تجد التنديد، والتحذير الشديد من الرأي، وأهله من قبل علماء أهل المدينة؛ تجد نصوصاً أخرى تدلل على قولهم بالرأي. مثل وصفهم لربيعة بريعة الرأي، وعندما سئل ربيعة من للرأي بعده بالمدينة؟ قال: الغلام الأصبحي^(١)، أي مالك. وقد روى عن مالك مسائل الرأي^(٢). وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا لم يكن في الواقعة إلا الرأي فرأي مالك»^(٣). وقد عد ابن قتيبة الإمام مالك ضمن فقهاء الرأي^(٤).

ومما يفسر تعارض النصوص تقسيم الرأي إلى الأقسام السابقة الذي يفسر أن أهل المدينة، ومن سار على دربهم من أهل الأمصار كالشعبي الكوفي، والأوزاعي الشامي، وأحمد بن حنبل العراقي كانوا ممن يقول بالرأي الحسن مع الاهتمام بالحديث، والآثار أولاً.

وقد بين ذلك ابن أبي الزناد عن أبيه حين قال: «وأيم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه، والثقة شبيها بتعلمنا آي القرآن. وكان أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي

= العربي، ط/٢، ١٩٦٤، ص ٢٩٧ بتصرف، والدكتور حسن أحمد مرعي الذي يقول: «مع أن مالكا آلت إليه زعامة أهل الحديث في المدينة؛ إلا أنه لا ينكر الرأي بل كان يعتمد عليه، بحث الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، نشر جامعة الإمام بالرياض، ١٤٠١هـ - ص ١٠١.

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/١٢٩، الذهبي، السير ٨/٧٤.

(٢) ابن عبد البر، الانتقاء ص ١٥.

(٣) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل ١/١٦.

(٤) المعارف ص ٤٩٨.

وينهون عن لقائهم، ومجالستهم، ويحذرون من مقاربتهم أشد التحذير»^(١).
 أما أهل الرأي المائل إلى الهوى فيعبر عنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: «إن أصحاب الرأي أعيتهم السنن أن يحفظوها، وتفلت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم»^(٢).

وقد كان متعارفاً لدى أهل المدينة أنه: «لا يكون إماماً في الفقه من لم يكن إماماً في القرآن والآثار، ولا يكون إماماً في الآثار من لم يكن إماماً في الفقه»^(٣)،
 وَوَصَفَ رُبَيْعَةَ الرَّأْيِ بِأَنَّهُ مِنْ أَحْفَظِ الْعُلَمَاءِ لِلسَّنَةِ^(٤).

"والخطأ الذي وقع فيه المعالجون لهذا الأمر أنهم ظنوا أن بيان منهج أهل الرأي هو ذم لهم وتوبيخ، ولذلك بدءوا يتلمسون النصوص التي احتج بها أهل الرأي، ليدللوا على أنهم يعتمدون الحديث، كما ذهبوا يتلمسون مواطن استعمل فيها أهل الحديث الرأي والاستنباط فقالوا وهؤلاء أيضاً استخدموا الرأي ولم يفرقوا بين المنهج وبين وقوعه في جزئيات بسيطة إذا احتج إليه ولم يكن في المسألة نص أو أثر، ولذلك بين ابن تيمية صحة أصول مذهب أهل المدينة في فتاواه في مواطن كثيرة منها، صحة أصولهم في البيوع والأطعمة ونحوها.

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٦٤.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٨.

(٤) الذهبي، السير ٦/ ٩٢.

ولكن يجب أن نفرق في هذا الأمر بين أمرين:

الأول: أن تقرير أصول أهل الحديث في الاستنباط وبيان صحة أصولهم ليس القصد منه ذم الجهة المقابلة، بل هو تتبع لمناهج قامت واجتهادات وجدت، وتقويم لذلك في ضوء النصوص التي سبق بيانها والتي تظهر طرفاً من هذا الموضوع الذي يحتاج إلى زيادة بسط وإيضاح ليس هذا مجاله.

الثاني: أن من سلك هذا المسلك الآخر وهو التوسع في الرأي وفرض الصور العقلية، ومحاولة إيجاد حلول لها ليس هدف أصحابه هدم الشريعة أو معارضة أمر رسول الله ﷺ لأن ذلك لا يظن بهم إذ هم أئمة أجلاء، ولكن المسلك الذي سلكوه عن اجتهاد منهم وهو مرجوح عند الفريق الآخر ظاهر لهم وجه خطئه، ولذلك كثر نقدهم له، والتحذير ممن ينتمي إليه، ويفكر على طريقته فليعلم هذا حتى يزول الإشكال.

ولعل ما ذكرنا يبين لنا حالة الفقه وعلمائه في هذا القرن من جد واجتهاد، وحفظ للسنة وابتعاد عن الآراء المتعسفة الباطلة، ومحاولة لإيجاد الحلول الشرعية للوقائع العملية^(١).

(١) هذا مما أفادني به صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور ستر الجعيد حفظه الله حول هذا الموضوع بعد مذاكرة جرت معه.

و - أصول الفقه

هو إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية على وجه التَّحْقِيق^(١)، أو يقال معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد^(٢).

وقد بدأت بذور هذا العلم في مدينة رسول الله ﷺ على يد كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، ثم عبدالله بن عمر. وسار التابعون على نهج الصحابة وكان من أبرز أصحاب الأصول بالمدينة سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وكان المدنيون في غالب اجتهاداتهم يراعون المصلحة فيما استجد بها أدركوه من مقاصد الشرع، ولا يلجأون إلى القياس إلا عند الضرورة^(٣).

ومن نبغ من علماء الأصول في فترة البحث:

* عمر بن عبدالعزيز (٦٠-١٠١) الخليفة الأموي العالم العامل، كان

(١) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار المعرفة، بيروت، ص ١٠.

(٢) د. شعبان محمد إسماعيل، أصول الفقه تاريخه ورجاله، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١هـ ص ١١.

(٣) د. جلال الدين، القاضي البيضاوي وأثره في أصول الفقه، دار الكتاب الجامعي، مصر، ط ١، ١٤٠١هـ ص ٢٧٥.

إماماً عادلاً فقيهاً مجتهداً مجدداً، حافظاً للحديث، حجة ثبوتاً^(١). ومعلوم أن كل مجتهد لا بد أن يبنى اجتهاده على أصول معتبرة، ومسوغ ذكره هنا أن المراغي ذكره في طبقات الأصوليين.

* محمد بن شهاب الزهري (٥٠-١٢٤) الحافظ الفقيه المفتي المجتهد المجدد، دون الأحاديث النبوية، ودون معها فقه الصحابة رضي الله عنهم^(٢).

* مالك بن أنس (ت ١٧٩) أحد الأئمة الأربعة المقتدى بهم في الفقه، كان مما زاد به على الأمصار الأخرى في هذا العلم هو عمل أهل المدينة، وكان يقول بالمصالح المرسلّة: وهي الأمور التي لم يشهد لها من الشرع دليل يبطلان أو باعتبار^(٣).

وهناك قضية قال بها الدكتور جلال الدين وهي نسبه الفقه الإمامي إلى الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي رحمه الله (ت ١١٥)^(٤) وهذا غير صحيح. لأن الإمام الباقر بريء من الشيعة الإمامية، وهو من أئمة السنة، وما يلفقه الشيعة الاثنا عشرية الإمامية عليه وعلى ابنه جعفر من أكاذيب ما هو إلا

(١) عبدالله مصطفى المراغي، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، نشر محمد أمين دمج، بيروت، ط/١٣٩٤هـ، ٢/١١.

(٢) الموسوعة الفقهية ١/٣٥٣، المراغي، الفتح المبين ١/٩٧.

(٣) المراغي، الفتح المبين ١/١١٢، د. شعبان، أصول الفقه ص ٤٨، د. جلال الدين، القاضي البيضاوي ص ٢٧٨.

(٤) القاضي البيضاوي وأثره في أصول الفقه ص ٢٧٩.

محاولة منهم لإيجاد شرعية لكذبهم وباطلهم^(١). والعجيب أن تمر هذه الخرافات على أستاذ وفي رسالة دكتوراه نال بها مرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طبعها وتداولها بين الجامعات!!

وكان للعلماء والأئمة قبل بداية التدوين في هذا العلم - والذي دون أول كتاب في هذا العلم هو الإمام الشافعي في كتابه الرسالة - لهم قواعد يعتمدونها في اجتهادهم، ويعولون عليها في استنباطهم الأحكام الشرعية غير أن هذه القواعد لم تجمع في مؤلف واحد وإنما كانت مبعثرة في ثنايا كتب الفقه، وفي المناظرات التي كانت تجري بين العلماء^(٢).

وكان للمجتهدين من عهد الصحابة إلى عهد تدوين أصول الفقه قواعد ثابتة يلتزمون بها وإن اختلف الرأي بينهم في بعض القواعد، فكان كل منهم مجتهداً متحرراً للحق، وابتعد العلماء عن تحكيم الهوى والقول بالتشهي في الأحكام الشرعية، ولم تكن هذه القواعد مدونة، ولكنها كانت ملتزمة، كشأن علم النحو مثلاً فقد كان العرب قبل تدوينه يلتزمون رفع الفاعل ونصب المفعول من غير أن يلتزموا تلك المصطلحات العلمية^(٣).

وبهذا نتبين أن علم الأصول كان موجوداً بين العلماء، ومعروفاً لديهم وإن لم يدون إلا في عصر متأخر.

(١) ابن تيمية، منهاج السنة ٢/١٢٥، ابن كثير، البداية والنهاية ٩/٣٠٩، وقال: ولم يكن الرجل على طريقهم، ولا على منوالهم، ولا يدين بها وقع في أذهانهم، وأوهامهم، وخيالهم.

(٢) انظر د. صالح بن عبدالعزيز المنصور، أصول الفقه عند ابن تيمية، ط/١، ١٤٠٠هـ، ١/٢٧.

(٣) انظر الموسوعة الفقهية، ١/٣٣.

الفصل الثالث

علوم اللغة العربية

ا. الأدب:

الشعر.

الخطابة.

القصص.

الكتابة.

ب. اللغة:

النحو الصرف.

رواية اللغة.

أ - الأدب

.الشعر:

حفلت المدينة بكثير من الشعراء في العصر الجاهلي، وعندما جاء الإسلام حثَّ الشعراء على قرص الشعر في فنون خاصة تتفق مع تعاليم الإسلام وكان للشعر مكانة كبيرة؛ حتى قال أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: «قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر^(١)، وشعر أهل المدينة رصين وكان الوسيلة الإعلامية في ذلك الوقت، وله مكانة كبيرة لدى المدنيين وقد بلغت المدينة شأواً كبيراً في إجادة الشعر، حتى قال ابن سلام: «المدينة أشعر القرى العربية»^(٢).

والشعر عند العرب في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم يحملونه ويفتخرون به ويتناشدونه وتفخر القبيلة بمولد شاعر لها^(٣). وعندما بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم تحول اهتمام الأمة إلى ما هو أجدر وأهم فاشتغلوا ببناء الأنفس والأرواح. وانشغلوا عن توافه موضوعات الشعر من الهجاء والغزل. وصار هم المسلمين نشر الدين في بقاع المعمورة، ولذلك قل

(١) د. سامي مكي العاني، شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧١م، ص ٨.

(٢) ابن سلام (محمد بن سلام الجمحي ت ٢٣١)، طبقات فحول الشعراء، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، تحقيق محمود شاكر ١/ ٢١٥.

(٣) انظر المصدر السابق ١/ ٢٤.

الاهتمام بالشعر. وعندما هدأت حركة الفتوح واستقر المسلمون بالمدن والأمصار عادوا إلى الشعر^(١).

ومحاولة حصر الشعراء في صدر الإسلام أمر عسير غير ميسر للباحثين، يقول ابن قتيبة: «والشعراء المعروفون بالشعر في عشائهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط، أو أن يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال، ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يقف من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه، ولا قصيدة إلا رواها»^(٢). ومع ذلك فقد حاولت حصر شعراء القرن الثاني من المدينين في قائمة مستخلصة من كتب التاريخ والأدب، واخترت نماذج تمثل الحياة الشعرية وأغراضها.

وهي تتراوح بين الغزل والمديح والهجاء والوصف والرثاء وغيرها، وكان بالمدينة عدد من الشعراء الذين استشهد النحويون وأصحاب المعاجم والقواميس بشعرهم لجزالته وقوته.

ومن شعراء القرن الثاني بالمدينة:

* عبدالرحمن بن حسان بن ثابت ت ١٠٤:

الشاعر ابن الشاعر ووالد الشاعر سعيد، ولد بالمدينة، وعاش وتربى بها، وكان ابن أمة سوداء، وقد ظهرت موهبته الشعرية منذ صغره وشهد له أبوه

(١) انظر المصدر السابق ٢٥/١.

(٢) الشعر والشعراء ٦٠/١.

حسان بها حيث أتاه ذات يوم واصفاً لسعة زنبور فقال: كأنه ملتف في بردى حبرة، فقال حسان: قال ابني الشعر وربَّ الكعبة^(١).

وأسرة عبدالرحمن توارثت الشعر أبا عن جد، قال المبرد: «وأعرق قوم في الشعر آل حسان، فإنهم كانوا يعتدون في نسق كلهم شاعر، وهم سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام»^(٢).

وكان لعبدالرحمن صولات وجولات مع النجاشي^(٣)، أحد شعراء المدينة ووصل السفه بالشاعرين عبدالرحمن بن حسان والنجاشي، أن هجا كل منهما قوم الآخر، فهجا عبدالرحمن قريشاً، وهجا النجاشي الأنصار، وصار كل منهما يتغزل بنساء الحبيّ الآخر، وقد استاء أهل المدينة من هذه المواقف؛ التي كان لها أثر في بعض شباب المدينة وسفهاها^(٤).

وقد أهتم العلماء بعبدالرحمن بن حسان فجمع الأصمعي له ديواناً، وكذلك فعل أبو عمرو بن العلاء، وجمع أبو حسان الحسن بن عثمان الزياتي

(١) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥)، الحيوان، مصطفى الباي الحلبي، تحقيق عبدالسلام هارون، مصر، ط/٢، ١٣٨٥هـ، ٣/٦٥.

(٢) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق زكي مبارك، نشر مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط/١، ١٣٥٦هـ، ١/٢٢٥، د. سامي العاني، شعر عبدالرحمن بن حسان ص ٧.

(٣) النجاشي: هو قيس بن عمرو شاعر مخضرم أصله من نجران، انتقل إلى الحجاز، ت ٤٠هـ، قال عنه حسان بن ثابت: أشعر العرب.

(٤) الزبير بن بكار، الأخبار الموقفيات ص ٢٣٤، قال الزبير عن عبدالرحمن: كان شريراً هجاء للناس مبتدئاً.

أخباره في الهجاء مع النجاشي، وأما الزبير بن بكار فقد ألف كتاباً سماه "أخبار
عبدالرحمن بن حسان"^(١).

وكان شعر عبدالرحمن قوياً قال حسان:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت^(٢)
ومن شعر عبدالرحمن قوله:

ألا من رسول أصلح الله بأله
يبلغ أمير المؤمنين رسالةً
فيخبرُ فيها أن بيني وبينه
وأن يزيداً ليس يطلب عندينا
وأن يزيداً كان في متنزه
رجال أصحاب الجلود من الخنا
وأنى مما أخذ الحرب تارة

وأعطى من الحاجات ما كان يطلب
تنحلها مملٍ وآخر يكتب
أواصرُ لا تُرعى ولا هي تقرب
كتاباً ولا حقاً وذو الحق يطلب
وفي معزلٍ عتاتزاول تغلب
والسنة معروفة أين تذهب
وأحمل أحياناً عليها فأركب^(٣)

* كثير عزة:

هو كثير بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر ت ١٠٥،
عرف واشتهر بكثير عزة التي تُيمم بحبها وهو شاعر أهل الحجاز. قدمه بعضهم

(١) انظر الفهرست للنديم ص ١١١، ١١٠، ١٥٨، د. سامي العاني، شعر عبدالرحمن بن حسان ص ١٢،

حمد الجاسر، مجلة المنهل ٦-١٥١، مقال بعنوان الزبير بن بكار.

(٢) الزركلي، الإعلام ٣/٣٠٣.

(٣) د. سامي العاني، شعر عبدالرحمن بن حسان ص ١٤.

على الفرزدق وكبار شعراء طبقته^(١). وكان أبو عبيدة يعده أشعر أهل الإسلام^(٢). ومكانته لدى الحجازيين أعلى منها لدى غيرهم، وبخاصة أهل العراق. وهو مقدم في المدح. وكان فيه خطل وعجب^(٣)، مع فرط في القصر والدمامة. وقرب كثير من عبدالعزيز بن مروان والي مصر، حتى كانت أكثر إقامته بمصر. وكان كثير شيعياً يقول بتناسخ الأرواح^(٤).

قال عمر بن عبدالعزيز: «إني لأعرف صلاح بنى هاشم وفسادهم بحب كثير. فمن أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه منهم فهو صالح، لأنه كان خشبياً يؤمن بالرجعة»^(٥).

وقد جمع الزبير بن بكار معلومات حول كثير في مؤلف سماه: "أخبار كثير"^(٦). وجمع د. إحسان عباس شعره من مختلف الكتب.

(١) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٤٠.

(٢) ديوان كثير عزة، جمع د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١ هـ ص ٥٧.

(٣) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٤٠.

(٤) الذهبي، السير ٥/ ١٥٢، والقائل هو الزبير بن بكار. وقال ابن كثير: كان فيه تشيع، وربما نسبه بعضهم إلى مذهب التناسخية، وكان يحتج على ذلك من جهله وقلة عقله إن صح النقل عنه في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] البداية والنهاية ٩/ ٢٥٠.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ٤/ ١٨٨، والخشبية: فرقة من الشيعة استخدمت الخشب في إحدى المعارك وكانت تقول لا نستعمل السلاح حتى يأتي المهدي.

(٦) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٢٩٧، النديم، الفهرست ص ٣٣. حمد الجاسر، مقال بعنوان الزبير بن بكار، مجلة المنهل ٦- ٥٢٢.

ومن شعره يمدح عمر بن عبدالعزيز:

فكم من يتامى بوس قد جبرتها وألبستها من بعد عرى ثيابها
وأرملة هلكى ضعاف وصلتها وأسرى عناة قد فككت رقابها
فتى ساد بالمعروف غير مدافع كهول قريش كلها وشبابها
أراهم منارات الهدى مستنيرة ووافق منها رشدًا وصوابها
وراض برفق ما أراد ولم تزل رياضته حتى أذل صعابها^(١)
وقال في الغزل:

ولقد لقيت على الدريجة ليلة كانت عليك أيامنا وسعودًا
لا تغدرن بوصل عزة بعدما أخذت عليك موائقًا وعهودًا
إن المحب إذا أحب حبيبه صدق الصفاء وأنجز الموعدًا
الله يعلم لو أردت زيادة في حب عزة ما وجدت مزيدًا
رهبان مدين والذين عهدتهم سيكون من حذر العذاب قعودًا^(٢)
* الأحوص الأنصاري:

عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ت ١٠٥. جده عاصم بن ثابت الذي قتله المشركون يوم الرجيع وأرادوا حمل رأسه إلى مكة فحتمته الدبر، ثم جاء السيل تلك الليلة وأخفاه عن الأعين^(٣). وافتخر بذلك

(١) ديوان كثير ص ٣٣٨.

(٢) ديوان كثير ص ٤٤١-٤٤٢، الدريجة: موضع بنجد، مدين: بلدة مشهورة بساحل الطور.

(٣) انظر ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١١)، السيرة النبوية، دار التراث العربي، القاهرة

الأحوص فقال:

وأنا لبن للذي حمت لحمه للدَّب رُقْتِيل اللحيان يوم الرَّجِيع
وكان مطبوعاً على الشر، شكس الخليقة^(١)، قليل المروءة، هجاء للناس،
سريع الوقوع في أعراضهم، شديداً في خصومته^(٢)، وقد بلغ به الخطل والجرأة
أن فاخر بجده على رسول الله ﷺ عندما ذكرت سكينه بنت الحسين النبي ﷺ
وافتخرت به فافتخر هو بجده وخاله غسيل الملائكة^(٣).

تقرب الأحوص من خلفاء بنى أمية ومدحهم. وقد كرهه أهل المدينة
ورفعوا أمره أكثر من مرة إلى الخلفاء، ولعله أراد بمدحه الخلفاء أن يبطل
شكاوى الشاكين، ولكن في عهد سليمان بن عبد الملك؛ ضربه والى المدينة أبي
بكر بن حزم وعذبه، ونُفي إلى دهلك في عهد عمر بن عبدالعزيز^(٤). ويقال أنه
وفد على عمر بن عبدالعزيز فلم يدخله لما شاع عنه من الفسق والمجون^(٥).
وأعيد من منفاه في عهد يزيد بن عبد الملك^(٦).

ومن أغراض شعره المدح والهجاء المقذع، والتشبيب، والغزل^(٧).

(١) شكس الخليقة: أي صعب الخلق عسره، الرازي، مختار الصحاح ص ٢٦٣.

(٢) عادل سليمان جمال، شعر الأحوص، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠ هـ ص ٤٨.

(٣) عادل جمال، شعر الأحوص ص ٣٩.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ٩١/٤.

(٥) عادل جمال، شعر الأحوص ص ٣٩.

(٦) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ٦٥٥/٢، الذهبي، تاريخ الإسلام ٩١/٤.

(٧) عادل جمال، شعر الأحوص ص ٥٦.

ومن هجائه قوله في ابن حزم:

فركوبه فوق المناير أعجب
سبحان من جعل ابن حزم يُجَبُّ^(١)

أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
وعجبت أن جعل ابن حزم حاجبا
واستحسن ابن قتيبة من شعره:

فقد غلب المحزون أن يتجلدا
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا
ومن شاء واسى في البكاء وأسعدا
لأعلم أني لست في الحب أوحدا
فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً^(٢)

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا
وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي
بكيت الصبا جهداً فمن شاء لامني
وإني وإن عُيرتُ في طلب الصبا
إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا

ومن شعره:

فليدعني ممن يلبسوم
حين تمشي وتقوم
منطق منها رخيماً
وهي للجبيل صروم
مستكن لا يبريم^(٣)

إنما الذلفاء همي
أحسن الناس جميعا
حبب الذلفاء عندي
أصل الجبل لترضى
جهبا في القلب داء

(١) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١/١٣٧، عادل جمال، شعر الأحوص ص ٧٦، محمد علي سعد، الأحوص

بن محمد الأنصاري، حياته وشعره، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط ١/١٤٠٢، ص ١٦٨.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/٥١٩-٥٢٠، ومعنى عزهاة: عازف عن اللهو والنساء.

(٣) عادل جمال، شعر الأحوص ص ١٩١، محمد علي سعد، الأحوص ص ١٣٤.

* ابن ميادة:

هو الرماح بن أبرد المرى ت ١٤٩، وميادة اسم أمه، وهي بربرية. وهو شاعر فحل عاصر الدولتين الأموية والعباسية^(١). والتقى بعبد الواحد بن سليمان النصري والى المدينة في عهد هشام بن عبد الملك (١٢٧-١٣٠). وفي العهد العباسي رثى رياح بن عثمان المرى والى المدينة لأبي جعفر المنصور، الذي قُتل في فتنة محمد بن عبدالله النفس الزكية عام ١٤٥. وابن ميادة ممن استشهد بشعره علماء اللغة في كتبهم ومعاجمهم.

قال د. حنا جميل حداد: وهذه الكثرة من الاستشهاد هي بلا شك شهادة من هؤلاء العلماء بأصالة شعر الرجل، واعتراف منهم بمكانته العالية بين شعراء العربية. وهو من آخر الشعراء الذين احتج العلماء بشعرهم^(٢). وقومه النقاد بأنه من الشعراء المجيدين، ولكن كثرة السقط في شعره، وسلاطة لسانه، ومعاصرتة لكثير من الأحداث السياسية؛ وميله إلى أصحابها والمعنيين بها جعلت النقاد يعرضون عن الاهتمام بشعره^(٣).

ولا أظن ناقدًا يسلم بما قاله الدكتور حنا فكثير من الشعراء مثلهم مثل أي رجل قد يشارك في الأحداث السياسية، ويميل مع أحد الأطراف، ولا يمنع

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ١٤١-١٦٠ هـ ص ٣٥١.

(٢) شعر ابن ميادة، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٢، جمع وتحقيق د. حنا جميل حداد ص ٥٠-٥١، وقد صنف الزبير بن بكار، أخبار ابن ميادة. حمد الجاسر، الزبير بن بكار، مجلة المنهل ٦/٥٢٢، الزركلي، الأعلام ٣/٤٢، وكتب الأستاذ محمد نايف الدليمي، شعر ابن ميادة، الموصل، ١٩٧٠م.

(٣) انظر د. حنا حداد ص ٥٢.

العلماء من الاهتمام بشعره، والإكثار من ذلك.

ومما قال من الشعر يفخر بنسب أبيه في العرب وأمه في العجم:

أليس غُلامٌ بين كسرى وظالمٍ بأكرم من نيّطت عليه التّمائم؟
ولو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ وجئتُ بجديّ ظالمٍ ولبن ظالمٍ
لظلت رقاب الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم^(١)

وقال يمدح الوليد بن يزيد:

هل تعرف الدارَ بالعلياءِ غيرها سافى الرّياح ومستنُّ لها طُنْبُ
دارٌ لبيضاء مسودٌ مسائحتها^(٢) كأنها ظيية ترعى وتتصبُّ
تحنوا لأكحل ألقته بمضيعةٍ فقلبها شفقاً من حوله يجب
يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها وأملح الناس عيناً حين تنتقب
ليست تجود بنيلٍ حين أسألهما ولست عند خلاءِ اللهو أغتصبُ
في مرفقيها إذا ما عولجت حجم على الضجيج وفي أنيابها شنب^(٣)
ومنها:

إلى الوليد أبي العباس قد عجلت ودونه المعط من لبّانٍ والكُتْبُ
أعطيتني مائةً صفراً مدامعها كا النخل زين أعلى نبتة الشربُ
يسوقها يافعٌ جعد مفارقه مثل الغراب غزاة الصرِّ والحلبُ

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ١١/١٤٣.

(٢) مسائحتها: ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر.

(٣) شنب: عذوبة أو حدة.

لما أتيتك من نجدٍ وساكنه نفحتَ لي نفحةً طارت بها العربُ
 إني امرؤٌ أعتفى الحاجات أطلبها كما اعتفى سنق^(١) يلقي له العُشْبُ
 ولا ألح على الخلان أسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
 ولا أخادع ندماي لأخدعه عن ماله حين يسترخى به لب^(٢)

* الحسين بن مطير الأسدي ت ١٧٠^(٣):

وهو شاعر مشهور من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. من أهل البادية، ومنزله بين مكة والكوفة. وكان بدويًا في مظهره ومسلكه يتزيا بزبي أهل الأعراب، ويتكلم بكلامهم^(٤). وذكر له شعر في معجم الشعراء^(٥)، والوحشيات، ونوادير أبي زيد وغيرها من كتب الأدب.

وكان عفيف الخلق والسلوك. اتصل بمعن بن زائدة، وبالمهدي. ومن أجود شعره مرثيته في معن التي قيل فيها: إنها أرثى ما قيل في الجاهلية والإسلام. وتعتبر من المراثي النادرة وفيها يقول:

ألماعلي معن وقولا لقبه سقتك الغواذي مربعاً ثم مربعاً

(١) سنق: الذي شبع فلا يأكل وإنما يشم.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ١١/١٤٤-١٤٧، دحنا حداد، شعر ابن ميادة ص ٥٧.

(٣) كتب عن الحسين بن مطير كل من د. حسين عطوان، شعر الحسين بن مطير، مجلة معهد المخطوطات، مجلد ١٥، الجزء الأول، د. محسن غياض عجيل، شعر الحسين بن مطير، بغداد ١٩٧١ م، وقال النديم شعره نحو مائة ورقة، الفهرست ص ١٨٤.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٥-١ ورقة ١٣١، مكتبة المسجد القطري بمكة، مخطوط.

(٥) المرزباني ص ٤٣٩.

فيا قبر معن أنت أول حفرة
ويا قبر معن كيف وارىت جوده
بل قد وسعت الجودَ والجودُ ميتٌ
فتى عيشٌ في معروفه بعد موته
ولما مضى معن مضى الجودُ وانقضى
وعندما قابل الحسين الخليفة المهدي وهو يتصيد؛ عاتبه على أبياته في رثاء معن، فأنشده:

أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صُور الجود
من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقة ومن بنائك يجرى الماء في العود
فقال المهدي: كذبت يا فاسق! وهل تركت في شعرك موضعاً لأحد مع
قولك في معن. وذكر الأبيات السابقة. فقال الحسين: يا أمير المؤمنين. وهل
معن إلا حسنة من حسناتك. فرضي عنه وأمر له بألف زبير^(١).
ومن الأغراض الشعرية التي أجاد فيها الحسين، الوصف والمديح
والغزل. وكان له نصيب من الحكمة^(٢).

وقد دخل الحسين على والى المدينة. وكان الحسين يقال له أشعر العرب.
فأراد والى المدينة أن يختبره فقال له: قد نشأت سحابة مكفهرة يا بن مطير؛ فقل

(١) د. محسن غياض، شعر الحسين ص ٦٠، د. مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي

الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥ م، ص ٦٤.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٥-١ ورقة ١٣٢، مكتبة المسجد القطري بمكة، مخطوط.

(٣) د. الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي الأول ص ٦١.

فيها فقد أرسلت عزاليها^(١).

فأجابه الحسين بقصيدته الرائعة التالية:

كثرت لكثرة قطره أطباؤه	فإذا تحلب فاضت الأظباء
وضروعه عدد النجوم وطله	أخلافه عدد النجوم رواء
وكجوف ضرته التي في جوفه	جوف السماء سبحة جوفاء
وله رباب هيدب لرفيفه	قبل التعبق ديمة وطفاء
وكان بارقه حريق تلتقى	ريح عليه وعرفج وألاء
وكان ريقه ولما يحتفل	دون السماء عجاجة كدراء
مستضحك بلوامع مستعبر	بمدمع لم تمرها الأقداء
فله بلا حزن ولا بمسرة	ضحك يؤلف بينه وبكاء
حيران متبع صباه تقوده	وجنوبه كنف له ووعاء
ودنت له نكباؤه حتى إذا	من طول ما لعبت به النكباء
ذاب السحاب فصار بحراً كله	وعلى البحور من السحاب سماء
ثقلت كلاه فنهّرت أصلابه	وتبعجت من مائه الأحشاء
غدق يُنتج بالأباطح فرقاً	تلذ السيول وما لها أسلاء
غر محجلة دولح ضمنت	حمل اللقاح وكلها عذراء
سُخِمَ فهن إذا كظمن فواحم	سُودُ وهن إذا ضحكن وضاء

(١) ابن المعتز (عبدالله ت ٢٩٦)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف

لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماء^(١)

ومن نهاذج شعره في الغزل قوله:

لقد كنت جلدأ قبل أن توقد النوى
ولو تُرُكت نار الهوى لتضمرت
وقد كنت أرجوا أن تموت صبابتي
فقد جعلت في حبة القلب والحشا
لمرتجة الأرداف هيف خصورها
وصفرُ تراقبها وحمراً أكفها
محصرة الأوساط زلنت عقودها
تمنينا حتى ترف قلوبنا
وفيهن مقلق الوشاح كأنها

أما في الحكمة فقد قال:

تقلبتُ في الأخوان حتى عَرَفْتُهُمْ
فلا أصرمُ الخلان حتى يصارموا
فإنك بعد الشر ما أنت واجدٌ
وإنك في غير الأخلاء عالم

(١) د. محسن غياض، شعر الحسين بن مطير ص ٢٧.

(٢) د. حسين عطوان، شعر الحسين بن مطير، مجلة معهد المخطوطات، مجلد ١٥، الجزء الأول

فلاتك مغروراً بمسحة صاحب
وما الجود من فقر الرّجال ولا الغنى
وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها
إذا يسر الله الأمور تيسرت
وكم قد رأينا من تكدر عيشة
وكم طامع في حاجة لا ينالها
وكم من خائف صار المخوف ومقتّر
فنفسك أكرم عن أمور كثيرة
ونفسك فاحفظها ولا تفش للورى
فما يحفظ المكتوم من سر أهله
من القوم إلا ذو عفاف يعينه
ولا تقرب الأمر الحرام فإنه
ولا تلهك الدنيا عن الحق واعتمل
ومن يتبع ما يعجب النفس لا يزل

من الودّ لا تدري علام مصيرها
ولكنه خيم الرجال وخيرها
فقيراً ويغنى بعد بؤس فقيرها
ولانت قواها واستقاد عسيرها
وحال صفا بعد اكدرار غدِيرها
وكم بئس منها أتاه بشيرها
تموّل والأحداث يحلّو مريها
فمالك نفس بعدها تستعيرها
من السر ما يطوى عليه ضميرها
إذا عقسد الأسرار ضاع كثيرها
على ذاك منه صدق نفس وخيرها
حلاوته تفنى ويبقى مريها
لآخرة لا بد أن ستصيرها
مطيعاً لها في فعل شيء يضرها^(١)

* إبراهيم بن هرمة ت ١٧٦:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني
القرشي، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية.

مدح الخليفة الوليد بن يزيد ت ١٢٦، فأجازه ومدح عبدالله بن معاوية بن

(١) د. حسين عطوان، مرجع سابق ص ١٦٧-١٦٨.

جعفر الذي قُتل عام ١٢٩، ومدح والى المدينة عبدالواحد بن سليمان بن عبدالمملك بن مروان، وكانت ولايته في الفترة ما بين (١٢٧-١٣٠).

وقابل ابن هرمة جريراً الشاعر الأموي المشهور، فأنشدته إحدى قصائده، وفي العهد العباسي استمر على طريقته في المدح؛ فمدح السفاح، وعندما قدم المنصور المدينة قابله ابن هرمة ومدحه، ثم قدم على المنصور بعد بناء بغداد^(١)، كما وفد ابن هرمة على المهدي مع بعض أهل المدينة، وعاصر الرشيد؛ وأنشده بعضاً من شعره. وكان ممن يتكسب بشعره.

ومن أغراض الشعر التي تناولها ابن هرمة: المدح والهجاء والخمرة والحكم والأمثال والرثاء. وقد قدمه العلماء على بشار وأبي نواس وغيرهما. قال عنه الخطيب: هو شاعر مفلق، فصيح مسهب مجيد محسن القول سائر الشعر^(٢). وقال عنه الجاحظ: لم يكن في المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة^(٣).

واتفق الأصمعي والأعرابي على أن الشعر ختم بابن هرمة، وبخمسة من معاصريه. إلا أن الأصمعي قدمه عليهم^(٤). ومما قال الأصمعي: ختم الشعر بابن هرمة وهو آخر الحجج^(٥). وكان إبراهيم مدمناً للخمر. وكثيراً ما أقيم عليه

(١) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/١٢٨، ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق ٢/٢٤٠.

(٢) تاريخ بغداد ٦/١٢٧.

(٣) البيان والتبيين ١/٥١.

(٤) محمد جبار معيبد، ديوان إبراهيم بن هرمة، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٩ هـ، ص ٢٩.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/١٣١.

الحد في ذلك حتى سأل المنصور قائلاً: إنَّ عمال أمير المؤمنين بالمدينة قد أنكهوا أكتافي مما يجدوني على السكر فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب لي كتاباً إن وُجدتُ سكراناً فلا أحدٌ فليفعل، فقال له المنصور: ما كنت لأرفع حداً من حدود الله يجب، ولكن أكتب لك خيراً من هذا، قال: وما هو، قال: أكتب لك كتاباً من جاء بك وأنت سكران جلد مائة وجلدت أنت ثمانين، قال: رضيت^(١). وعندما قدم الفرزدق المدينة وخرج منها، سئل عن شعرائها، فأشار إلى ابن هرمة والأحوص الأنصاري^(٢).

وقد جمع السكري ديون ابن هرمة في نحو ٥٠٠ ورقة^(٣)، وألف الزبير بن بكار أخبار ابن هرمة^(٤).

وأتهم إبراهيم بن هرمة بالتشيع، وقيل إنه كان منقطعاً إلى الطالبين^(٥)، وأرى أن مدحه للأمويين والعباسيين ينفي انقطاعه إلى الطالبين، كما ينفي تهمة تشيعه مذكوره د. محسن غياض ودل عليه بقول إبراهيم لما دعى إلى

(١) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٢ ورقة ٢٤١. ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٤١، وفي إسناد الخبر كل من: أبو الفتح إبراهيم بن علي، وهو سيء الحال في الرواية، أو ساقط الرواية. انظر ابن حجر، لسان الميزان ١/ ٨٤. وعبدالله بن شبيب، إخباري علامة لكنه واه، قال الحاكم: ذاهب الحديث. ابن حجر لسان الميزان ٣/ ٢٩٩، وهذا يكفي لإسقاطه ومع ذلك فهو خبر غريب وتحايل على حد من حدود الله في زمن كان للعلماء كلمة وصوله فهل يمكن سكوتهم عن مثل هذا العمل!! (٢) ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٢.

(٣) النديم، الفهرست ص ١٨١، وقال النديم: شعره مجرد نحو مائتي ورقة.

(٤) حمد الجاسر، الزبير بن بكار، مقال في مجلة المنهل ٦/ ٥٢٢.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/ ١٢٨، ولا يعد القرب من آل البيت تشيعاً لأنهم في ذلك الوقت كانوا على السنة، ولم يعرف عن أحد منهم انحراف عن السنة إلى التشيع وخاصة المدنيين منهم.

الخروج مع محمد بن عبدالله عام ١٤٥^(١):

دعوني وقد شالت لأبليس راية
أبا الليث تغترون يحمي عرينه
فلا نفعتنى السن إن لم يؤزكم
ومن شعره في الغزل:

أرسل محل دارس الطلل
لما رأى أهلها سدوا مطالعها
وعاد ودك داء لا دواء له
ما وصل سودة إلا وصل صارمة
وعاد أمواها سدا وطار لها
صدوا وصد المرء صدهم

معطل رده الأحوال كالخلل
رام الصدود وعاد السود كالمهل
ولو دعاك طوال الدهر للرحل
أهلها الدهر داراً مأكلاً للوعل
سهم دعا أهلها للصرم والعلل
وحام للورد ردهاً حومة العلل^(٣)

وهناك في آخر البحث ملحق للشعراء المدنيين في القرن الثاني الهجري تتبعته من خلال المصادر ولعل فيه الفائدة لمن يبتغيها.

. الخطابة:

الخطابة فن من فنون القول، يخاطب به الجمهور ويتجه إلى الإقناع والاستمالة عن طريق السمع والبصر معاً، فالقدرة على النظر في كل ما يؤدي

(١) د. محسن غياض، التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٣م، ص ١٥٠.

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء ص ٢١، محمد جبار معيبد، ديوان ابن هرمة ص ٤٨.

(٣) محمد جبار معيبد، ديوان ابن هرمة ص ٣٠.

إلى الإقناع أساس هذا الفن^(١).

وتنقسم الخطابة بحسب موضوعاتها التي تُناقش وتُطرح على الناس إلى عدة أقسام منها:

١- الخطابة السياسية:

وتتجه إلى الحديث عن البرامج السياسية، وموقف الحاكم أو الدولة من قضية أو مشكلة من المشاكل.

ب- الخطابة الحربية:

وهي تشجع الجند وتحثهم على البلاء في مواجهة العدو، وترفع من معنوياتهم، ونفسياتهم، وتقلل من شأن الأعداء وقوتهم.

ج- خطب الجمعة والأعياد والمناسبات الشرعية:

ويغلب الحديث فيها على ترغيب الناس في الخير، وحثهم عليه، والتحذير من الشر، والنهي عنه، وقد يتحدث فيها الخطيب على أمر سياسي، أو حربي أو غيره.

د- المناظرات السياسية:

وهي التي تجري بين متخاصمين على السلطة كما جرى بين آل الزبير، وآل علي بن أبي طالب. فكان كل منهما يبين حقه في الحكم والسلطة وييطل حق خصمه.

وكانت كل هذه الأقسام موجودة بالمدينة خلال القرن الثاني الهجري، وقد ازدهرت الخطابة السياسية في المدينة والحجاز في العصر الأموي، وقبل بداية

(١) د. محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م، ١/١.

القرن الثاني الهجري بسبب المنازعات، والفتن التي قامت. فنرى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يخطب عام الجماعة بالمدينة^(١) موضحا سياسته ومنهج حكمه، ثم يخطب بها مرة أخرى وهذه الخطبة الأخيرة تدل على وجود نوع من المعارضة للكيفية التي تولى بها الحكم، فحاول إقناعهم بالأمر الواقع^(٢). ثم خطب هو ومروان بن الحكم في المدينة عندما أعلن تولى يزيد العهد^(٣). فغضب المدنيون لأنهم أعرف الناس بالشورى، ولأنها مورست في بلدهم وشهدها كثير منهم. وفي عهد يزيد كانت وقعة الحرة فكان رؤوس الثورة يشجعون الناس على الصبر من خلال الخطب، ويهونون عليهم شأن يزيد، وجنده^(٤)، وفي المقابل كان قادة يزيد وأعوانه وولاته يؤكدون على حق يزيد في الخلافة والحكم. قال روح بن زنباع: «أيها الناس إنا لا ندعوكم إلى لحم وجذام وكلب، ولكننا ندعوكم إلى قريش ومن جعل الله له هذا الأمر وأختصه به وهو يزيد»^(٥).

وكان مصعب بن الزبير رحمه الله من الخطباء الذين تجلجتل أصواتهم

(١) المقدسي (ضياء الدين محمد بن عبد الواحد ت ٦٤٣)، المتقى من أخبار الأصمعي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار طلاس، دمشق ١٩٨٧م، ط ١، ص ١٢٧، ابن عبدربه، العقد الفريد ١٣٩/٢، ابن كثير، البداية والنهاية ١٣٢/٨، والخبر عن الأصمعي عن الهذلي عن الشعبي، د. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية للجزيرة العربية ص ٦٧.

(٢) ابن عبدربه، العقد الفريد ٨٢/٤، ٨٣. وهذا الخبر بدون سند كعادة المؤلف، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ٦٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣/٢٥٠، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ٦٩، ٧٠.

(٤) الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة ١/٣٣٢، ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ٩٥.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين ١/٣٩٢، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ٩٧.

بالمدينة، وعمر بن عبدالعزيز والي المدينة في عهد الوليد، وثابت بن عبدالله بن الزبير الذي سمع ما قام به والي المدينة من إقامة آل الزبير للعن آل علي والعكس. فخطب خطبة غالبها لعن بني أمية^(١).

* ومن الخطباء عثمان بن حيان الذي أوضح للمدنيين حقيقة جَلَّتْهَا الأحداث فقال: «والله ما أنتم بأصحاب قتال»^(٢). وكان خطباء القرن الثاني:

* عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الزاهد، والعالم العامل. فقد خطب يوم تولى الخلافة وخطبه كثيرة حفظها لنا أهل التاريخ والأدب، وجمعها بعض العلماء الذين أفردوا حياته بالتأليف كابن عبد الحكم، وابن الجوزي. ومن خطبه الأولى بعد توليه الخلافة قوله:

«إن الله فرض فرائض، وسنَّ سنناً، من أخذ بها لحق، ومن تركها مُحَقَّ، ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمسٍ، يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته، ويدلنا من العدل إلى ما لا نهتدي، ويكون عوناً لنا على الحق، ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس، ولا يغتب عندنا أحداً، ومن لم يفعل فهو في حَرَجٍ من صحبتنا والدخول علينا»^(٣).

(١) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١ / ٨٥.

(٢) الطبري، التاريخ ٥ / ٢٥٨-٢٥٩، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ١٥٣.

(٣) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٩، ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ٢٣١.

ومن خطبه رحمه الله وقيل إنها آخر خطبة خطبها، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أما بعد، فإن في أيديكم أسلاب الهالكين، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون. ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى؟ وتضعونه في صدع من الأرض، ثم في بطن صدع، غير ممد ولا موسد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، فقيراً إلى ما قدم أمامه، غنياً إلى ما ترك جده، أما والله، إني لأقول هذا وأنا أعرف من أحد الناس مثل ما أعرف من نفسي». ثم وضع طرف ثوبه على عينيه فبكى، ثم نزل، فما خرج حتى أُخرج إلى حفرة رحمه الله^(١).

* زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان رحمه الله من الخطباء، المجيدين، مما جعل الأمويين يخافونه، ويحذرون ولاية العراق من اجتماع الناس عليه، لأن له لساناً أقطع من ضبة السيف، وأحد من شبا الأسننة، وأبلغ من السحر والكهانة، ومن كل نفث في عقدة^(٢).

وكان أهل المدينة يجتمعون لسمعوا نزاعه مع جعفر بن الحسن بن الحسن

(١) ابن عبدالحكم، سيرة عمر ص ٤٢، ١١٦، الجاحظ، البيان والتبيين ٢/ ٦٠، ابن قتيبة، عيون الأخبار ٢/ ٢٤٦، الطبري، التاريخ ٨/ ١٤٠، ابن عبدبره، العقد الفريد ٢/ ١٤٤، ابن الجوزي، سيرة عمر ص ٢٦١، وفي الكتاب غنياً إلى ما ترك حده. ولعلها "عما ترك جده". وفي الكتاب الأخير محاولة لحصر جميع خطب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.

(٢) القبرواني (إبراهيم بن علي الحصري)، زهر الآداب وثمر الألباب، دار إحياء الكتب العربية، = القاهرة، ١٩٦٩م، تحقيق على محمد البجاوي ١/ ٧٧، د. عبدالحسيب طه حميدة، أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، مطبعة السعادة بمصر، ط/ ٢، ١٣٨٨ هـ ص ١٩٤.

بن علي في الوصية^(١) ومن مناقشاته: أنه دخل مجلس هشام بن عبد الملك، فقال لهشام: «اتق الله، قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد: لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله، ولا دون أن يوصى بتقوى الله. قال هشام: بلغني أنك تريد الخلافة ولا تصلح لها، لأنك ابنُ أمة. قال زيد: فقد كان إسماعيل بن إبراهيم ﷺ ابن أمة، وإسحاق ابن حُرّة، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم محمد ﷺ»^(٢).

* أبو حمزة الشاري^(٣) الخارجي الذي استولى على المدينة بعد معركة قديد الدامية التي قُتل فيها عدد كبير من أهل المدينة في الثالث عشر من صفر عام ١٣٠، وبقيت المدينة تحت سلطانه لمدة ثلاثة أشهر حيث هرب إلى مكة وقتل فيها.

وقد خطب بالمدينة حوالي سبع خطب حفظتها لنا كتب الأدب والتاريخ. ومن نماذج خطبه قوله: «يا أهل المدينة. سألناكم عهد ولا تكم هؤلاء فأسأتم - لعمر الله - فيهم القول وقتلتم والله ما فيهم الذي يعلم، أخذوا المال من غير حِلِّه، فوضعوه في غير حَقِّه، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ، فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَاسْتَأْثَرُوا بِفَيْئِنَا؛ فَجَعَلُوهُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ، وَجَعَلُوا مِقَاسِمَنَا وَحَقُوقَنَا فِي مَهْوَورِ النِّسَاءِ، وَفِرَوجِ الْإِمَاءِ، فَحَقَلْنَا لَكُمْ: تَعَالَوْا نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَقَاتِلَهُمْ، فَإِنْ نَظَهَرْنَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَأْتِ بِمَنْ يَاقِمُ فِينَا وَفِيكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ، فَحَقَلْتُمْ، لَا نَقْوَى

(١) الجاحظ، البيان والتبيين ٣٣٤.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين ١/٣٠٩-٣١٠، الطبري، التاريخ ٧/١٦٥.

(٣) اسمه المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي البصري.

على ذلك، فقلنا لكم: فخلوا بيننا وبينهم؛ فإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ﷺ، ونقسم فيثكم بينكم، فأيتتم، وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم، يا أهل المدينة، ومررت بكم في زمن الأحوال هشام بن عبد الملك، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم وكتبتم إليه تسألونه أن يضع أخصاكم عنكم فكتب بوضعها عنكم، فزاد الغنى غنى وزاد الفقير فقراً، فقلتم: جزاك الله خيراً، فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه»^(١).

ويصور أبو حمزة في هذه الخطبة بعض المظالم في العهد الأموي، وأن أهل المدينة مقرون بذلك حين يسألهم؛ ولكن عند طلبه خروجهم معه رفضوا. بل وقفوا في وجهه فقاتلهم في قديد، وأباد من استطاع إبادته، فهو يوبخ من بقى منهم، أو من لم يشارك في قديد.

ومن خطبه المشهورة البليغة ذات الأسلوب الفصيح قوله لأهل المدينة: «يا أهل المدينة، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم: شباب أحداث، وأعرابٌ جُفَاء، ويحكم يا أهل المدينة. وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً أحداثاً! شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشرِّ أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، وأطلاح سَهْر، باعوا أنفساً تموت غداً، بأنفس لا تموت أبداً، قد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مرَّ أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مرَّ بآية

(١) الطبري، التاريخ ٧/ ٣٩٤-٣٩٥، ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢/ ١٦٢، أحمد زكي صفوت، جهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت ٢/ ٤٦٧-٤٦٨، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ١٦٨-١٦٩.

من ذكر النار شَهَقَ شهقة، كأن زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض رُكبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم، من طول القيام، وكثرة الصيام، مستقلون لذلك في جنب الله، موفون بعهد الله، منجزون لوعده الله، قد شروا أنفسهم حتى إذا التقت الكتيتان، وأبرقت السيوف بنحورهم وصدورهم، فمضى الشاب منهم حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه الطير من السماء، وتمزقته سباع الأرض، فكم من عين في منقار طائر؛ طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من يد قد أُبينت عن ساعدها، طالما اعتمد عليها صاحبها راعياً وساجداً، وكم من وجه رقيق، وجبين عتيق، قد فُلق بعمد الحديد، ثم بكى، وقال: آه، آه، على فراق الأخوان، رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحهم الجنان»^(١).

وقال في إحدى خطبه يذكر سبب خروجهم: تعلمون يا أهل المدينة أننا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرأً ولا بطراً، ولا عبثاً، ولا لهواً، ولا لدولة مُلك نريد أن نخوض فيه، ولا لثأر قديم نيل منا، ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد أطفئت، ومعالم العدل قد عطلت، وكثر الإدعاء في الدين، وعمل بالهوى، وعُنفَ القائل بالحق، وقُتِلَ القائم بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت،

(١) الجاحظ، البيان والتبيين ٢/ ٦١، ابن قتيبة، عيون الأخبار ٢/ ٢٥٠، ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/ ٩٥، الطبري، التاريخ ٧/ ٣٩٦، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٢/ ٢٧٥، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ١٧٠، ١٧١، ١٧٢.

وسمعنا داعياً يدعوا إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله، ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٣٢] فأقبلنا من قبائل شتى، نفرُّ على بغير واحد، عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لحافاً واحداً، قليلون مستضعفون في الأرض، فأوانا الله وأيدنا بنصره، وأصبحنا والله جميعاً بنعمته أخواناً، وعلى الدين أعواناً، ثم لقينا رجالكم بقديد، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان، وحكم مروان وآل مروان، فشتان لعمر الله ما بين الغيِّ والرشد! ثم أقبلوا يهرعون ويزفون، قد ضرب الشيطان بجرانه، وغلت بدمائهم مراحله، وصدَّق عليهم إبليس ظنَّه، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب، بكل مهتد ذي رونق، فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون.

وأنتم يا أهل المدينة؛ إن تنصروا مروان وآل مروان، يسحتكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا، ويشف صدور قوم مؤمنين»^(١).

وفي خطبة شديدة سب فيها أهل المدينة، ووبخهم على موقفهم منه ومن أصحابه، وعدم انقيادهم له، قال: «يا أهل المدينة مالي رأيت رسم الدين فيكم باقياً، وآثاره دارسة، لا تقبلون عظته، ولا تفقهون من أهله حُجَّة، قد بليت فيكم جدُّته، وانطمست عنكم سُنته، ترون معروفه منكراً، والمنكر من غيره معروفاً، إذا انكشفت لكم العبر، وأوضحت لكم النذر، عميت عنها

(١) الطبري، التاريخ ٧/ ٣٩٥-٣٩٦، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٢/ ٤٧٦-٤٧٧، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ١٦٩-١٧٠.

أبصاركم، وصمّت عنها أسماعكم، ساهين في غمرة، لاهين في غفلة، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نُشِر، وتنقبض عن الحق إذا ذكر، مستوحشة من العلم، مستأنسة بالجهل، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفوراً، تحملون قلوباً في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة... يا أهل المدينة: داركم دار الهجرة، ومثوى رسول الله ﷺ لما نبت به داره، وضاق به قراره، وآذاه الأعداء وتجهمت له، فنقله الله إليكم، بل إلى قوم لعمرى لم يكونوا أمثالكم، متوازيين مع الحق على الباطل، مختارين الآجل على العاجل، يصبرون للصراء رجاء ثوابها^(١).

وقال في تقريرهم أيضاً: «يا أهل المدينة، أولكم خير أول، وآخركم شر آخر، إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم؛ فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج، بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، فأصبحتم عن الحق ناكبين، أمواتاً غير أحياء وما تشعرون، يا أهل المدينة: يا أبناء المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، ما أصحَّ أصلكم، وأسقم فرعكم! كان آباؤكم أهل اليقين، وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة، والقلوب الواعية، وأنتم أهل الضلالة والجهالة، استعبدتكم الدنيا فأدلتكم، والأمانى فأضلتكم، فتح الله لكم باب الدين فسددتموه، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه، سُراعٌ إلى الفتنة، بُطاءٌ عن السنة، عمى عن البرهان، صم عن العرفان، عبيد الطمع، حلفاء الجزع»^(٢).

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٢/٤٧٨، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ١٧١.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/١٤٥، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٢/٢٧٩.

ومع قوة نظم الخارجي في خطبه، وجودة سبكه، وقدرته في اختيار الجمل، إلا أنه وجه النصوص لتوافق هواه وبدعته، فنعوذ بالله من الهوى، وتزيين الشيطان البدعة، على أنها السنة.

* ومن الخطباء في المدينة خلال العهد العباسي: داود بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان من أشهر خطباء بني العباس. وصفه الجاحظ بقوله: «كان من انطق الناس، وأجودهم ارتجالاً، واقتضاباً للقول، ويقال إنه لم يتقدم في تحبير خطبة قط»^(١).

وقد خطب في أهل المدينة عام ١٣٢ أو ١٣٣ فقال: «أيها الناس، حَتَّام يهتف بكم صريحكم، أما آن لراقدم أن يهَّب من نومه، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، أغرَّكم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال، هيهات منكم وكيف بكم. والسوط في كفى والسيف مشهَّر:

حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةً فَقَبِيلَةً وَيَعَضُّ كُلُّ مُثَقَّفٍ بِالْهَامِ وَيَقْمَنُ رَبَاتِ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمَسْحَنُ عُرْضَ ذَوْلَتِ الْأَيْتَامِ^(٢)

* ومن الخطباء رباح بن عثمان المري، الذي ولاه المنصور المدينة وشدد عليه في البحث عن النفس الزكية، وأخيه إبراهيم. لأن الولاة قبله تراخوا في البحث، ولم يُجِدُّوا في القبض عليهما، وكانت الأخبار تصل إلى الولاة بأنهما

(١) البيان والتبيين ١/ ٣٣١، ٣٣٤. وجعله مع جماعة من العباسيين فوق الخطباء.

(٢) ابن عبدربه، العقد الفريد ٤/ ١٠٠، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٣/ ١٥، د. ماهر

حمادة، الوثائق السياسية ص ١٨٤.

يدخلان المدينة!

وقد خطب في المدينة مهدداً أهلها. فقال:

«يا أهل المدينة؛ لا مقام لكم فارجعوا، أنا الأفعى بن الأفعى، أنا ابن عم مسلم بن عقبة، الشديد الوطأة عليكم، كان الوبيل الواقعة، الخبيث السيرة فيكم، ثم لأنتم اليوم عقب الذين حصدهم السيف، وأيم الله لأحصدن منكم عقب الذين حصدهم، ولألبسن الذين ألبس». ومما قال عن النفس الزكية وأخيه: «الفاسقين الخالعين الحارين». وقال بعد أن أفحش القول فعارضه المدنيون بالتسيب لشدة ما قال: «إنكم لأكلنا عن شتمهما، ألصق الله وجوهكم الذل والهوان. أما والله لأكتبنّ إلى خليفتم فلاعلمنّه غشكم، وقلة نصحكم، والله لأدعها بلقعا لا ينبج فيها كلب»^(١). فقال الناس: لا نسمع منك يا ابن المحدود، وبادروه بالحصى، فبادر واقتحم دار مروان وأغلق عليه الباب، وخرج الناس حتى صفوا وجاهه، فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفّوا^(٢).

* ومن خطباء المدينة الذين كان لخطبهم الأثر الكبير في فتنة ذهب ضحيتها عدد كبير من رجالات المدينة وصلحائها وعلماؤها وشجعانها. محمد بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي انتهى الأمر بفتنته إلى مقتله عام ١٤٥. وقد قال في أول خطبة له بعد خروجه على أبي جعفر

(١) اليعقوبي، التاريخ ٢/٤٧٥، الطبري، التاريخ ٧/٥٣٧، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، مكتبة المنى، بغداد ٣/٢٤٧، ماهر حمادة، الوثائق السياسية العصر العباسي الأول ص ١١٠.

(٢) الزيادة الأخيرة من الطبري، التاريخ ٧/٥٣٧.

المنصور بعد حمد الله والثناء عليه:

«أما بعد أيها الناس، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر، ما لم يخف عليكم، من بنائه القبة الخضراء؛ التي بناها معانداً لله في ملكه، وتصغيراً للكعبة الحرام، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى. وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين. اللهم إنهم قد أحلوا حرامك، وحرموا حلالك، وأمنوا من أخفت، وأخافوا من أمنت، اللهم فأحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، أيها الناس! إني والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوة ولا شدة، ولكني اخترتكم لنفسي، والله ما جئت هذه وفي الأرض مصرّ يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي فيه البيعة»^(١).

وقد بويع بعد هذه الخطبة بيعة علنية، وعند قدوم الجيش العباسي خطب خطبة، قال فيها: «إن هذا الرجل قد قُرب منكم في عدد وعُدّة؛ وقد حللتكم من بيعتي، فمن أحبّ الإنصاف فليصرف»^(٢).

وكان لهذه الخطبة أثر كبير فقد تسلل جيش محمد ولم يبق معه إلا شردمة قليلة قاتلت حتى قضى عليها.

* ومن الخطباء أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة ت ١٦٢، وكان هذا العالم ممن خرج مع محمد بن عبد الله على الحكم العباسي فقبض عليه وسجن، وتولى المدينة بعد عودة عيسى بن موسى قائد الجيش العباسي الذي قضى على

(١) الطبري، التاريخ ٥٥٨/٧، الذهبي، السير ٢١٤/٦، الذهبي، تاريخ الإسلام ١٢/٦.

(٢) الطبري، التاريخ ٥٨٢/٧، الذهبي، السير ٢١٧/٦، تاريخ الإسلام ١٦/٦.

النفس الزكية عبدالله بن الربيع الحارثي، فلما قدم المدينة أساء السيرة هو وعسكره فثار رعاا المدينة، وسودانها، ونساؤها. وقتلوا عدداً من جنده. وطرده وإياهم من المدينة، ونهبوا متاع الحارثي. وعينوا لهم قائداً هو وثيق ثم كسروا السجن وأخرجوا ابن أبي سبرة، وجاءوا به إلى المسجد. وأرادوا كسر قيده فأبى، وخطب أسفل المنبر، ولم يصعد فكان مما قال: «أنشدكم الله وهذه البلية التي وقعت! فوالله لئن نمت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى، إنه لاصطلام البلد، وأهله فأنشدكم الله إلا ذهبتم فكلتموهم في الرجعة، والفيئة إلى رأيكم، فإنه لا نظام لهم، ولم يقوموا بدعوة، وإنما هم قوم أخرجتهم الحمية!!»^(١).

فقام القرشيون إلى عبيدهم بعد هذه الخطبة ودعوهم إلى طاعتهم. فرجع العبيد إلى الطاعة، وقبض على وثيق وقطعت يده. وعاد ابن أبي سبرة إلى السجن^(٢).

وهذه الخطبة قضت على الفتنة. وجعلت المنصور بعد أن علم بالخبر يوصي واليه الجديد جعفر بن سليمان: «إن بيننا وبين أبي بكر بن عبدالله رحماً، وقد أساء وقد أحسن، فإذا قدمت المدينة، فأطلقه وأحسن جواره» وقد توجه أبو بكر بعد خروجه من السجن إلى بغداد. فاستقضاه المنصور، ومات ببغداد^(٣).

(١) المصعب الزبيري، نسب قريش ص ٤٢٩.

(٢) انظر الطبري، التاريخ ٦١٢/٧، الخطيب، تاريخ بغداد ٣٦٨/١٤، الذهبي، السير ٣٣٢/٧، الذهبي، ميزان الاعتدال ٥٠٤/٤.

(٣) المصعب الزبيري، نسب قريش ص ٤٢٩، الخطيب، تاريخ بغداد ٣٦٨/١٤، الذهبي، السير ٣٣٢/٧.

* وعن حفظ التاريخ خطبهم من أهل المدينة الحسين بن علي بن الحسن صاحب موقعة فخ المشهورة عام ١٦٩، فقد خطب الناس بالمدينة عند خروجه فكان مما قال: «أيها الناس، أنا ابن رسول الله ﷺ في حرم الله وفي مسجد رسول الله، وعلى منبر نبي الله أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن لم أف لكم بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم»^(١).

* ومن خطباء المدينة أبو بكر بن عبدالله بن مصعب بن عبدالله بن الزبير ت ١٩٥، وهو صاحب شرف وبيان ولسان وجاه وكرم ومنزلة.

استعمله الرشيد على المدينة، فمكث اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً. فطالت مدته. وقد سمع عن قوم من المدنيين ينالون من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، إني قائل قولاً فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه. ومن لم يعه فلا يعدو من ذمامها، إن قصرتم عن تفصيله فلن تعجزوا عن تحصيله، فارعوا أبصاركم، وأوعوه أسماعكم ... إن الله بعث محمداً ﷺ بالدين، واختاره على العالمين، واختار له أصحاباً على الحق، ووزراء دون الخلق، اختصهم به، وانتخبهم له، فصدقوه ونصروه، وعزروه ووقروه، فلم يُقدِّموا إلا بأمره، ولم يُججموا إلا عن رأيه، وكانوا أعوانه بعهدته، وخلفاء من بعده، فوصفهم فأحسن صفتهم، وذكرهم فأثنى عليهم، فقال - وقوله الحق -: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى قوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾

(١) الطبري، التاريخ ٨/ ٢٠١، الأصفهاني، مقاتل الطالبين ص ٤٤٨، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية ص ٧١.

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿[الفتح: ٢٩]. فمن أغاضوه كفر وخاب وفجر وخسر، وقد مرقت مارقة من الدين، وفارقوا المسلمين، وجعلوهم عزين، وتشعبوا أحزابا ... فخالفوا كتاب الله فيهم وثناه عليهم، وآذوا رسول الله ﷺ فيهم، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة»^(١) في خطبة طويلة، يهدد فيها ويتوعد هؤلاء الضالين عن السبيل القويم^(٢).

ومع وجود كثير من الخطباء في المدينة التي يسكنها عدد من أعرق القبائل العربية، أهل الفصاحة والبيان إلا أنه يصعب تعداد الخطباء في تلك الفترة من عهد النبوة حيث أشرقت شمس النبوة على أفصح الناس وأبلغهم. ولكن يظهر من تتبع كتب الأدب والتاريخ وجود عدد من الخطباء، منهم عبدالله بن عروة بن الزبير ت بضع عشرة ومائة^(٣)، وعبدالله بن معاوية بن جعفر ت ١٣٠^(٤)، وربيعه بن أبي عبدالرحمن الملقب بريعة الرأي ت ١٣٦^(٥)، وعثمان

(١) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٣٣)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٧هـ ط/١، ٢٥٦/٧، القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة المصرية ١/ ١٢٢٠، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٢٢٦/٣.

(٢) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٣٤٧/٤.

(٣) د. إحسان النص، الخطابة في عصرها الذهبي، دار المعارف بمصر، ط/٢، ١٩٦٩م، ص ٢٧٦، عادل حجازي، الزبيريون وآثارهم الفكرية ١/ ١٢٣.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين ١/ ٣٣٤، الحصري القيرواني، زهر الآداب ١/ ٧٩.

(٥) النديم، الفهرست ص ٢٥٦.

بن عروة بن الزبير ت ١٤٠^(١)، وعبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ت ١٤٤^(٢)، وجعفر بن الحسن الذي كان يناظر زيد بن علي بالمدينة^(٣).
وعبدالله بن مصعب ابن ثابت بن عبدالله بن الزبير ت ١٨٤^(٤)، والحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ت ١٩٠^(٥).

. القصص:

القصص: هم الذين يُذكَرُونَ الناس بالموت، والآخرة، والجنة، والنار، ويرغبونهم في الخير، ويزهدونهم في متاع الدنيا، ويزدهر عندما يغلب على الناس الانغماس في ملذات الدنيا، وعدم تفريقهم بين الحلال والحرام، ولذلك لم يكن موجودا في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد أبي بكر الصديق بشكل بارز لأن الدنيا لم تفتح عليهم كما فتحت في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، وبنى أمية.
واختلف في أول بداية لهذا الفن من الأدب فقيل في عهد عمر، وكان أول قاص هو عبيد بن عمير المكي. واستبعد الإمام الذهبي هذا الأمر^(٦)،

-
- (١) د. إحسان النص، الخطابة في عصرها الذهبي ص ٢٧٦، عادل حجازي، الزبيريون ١/ ١٣٤.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين ١/ ٣٣٤، الحصري، زهر الآداب ١/ ٧٩، د. عبدالحسيب طه حميده، أدب الشيعة ص ١٩٥.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين ١/ ٣٣٤، الحصري، زهر الآداب ١/ ٧٩.
(٤) الزبير بن بكار، جمهرة النسب ١/ ١٢٤، الزبير بن بكار، الأخبار الموقفيات ص ٥١٨، الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٤، الذهبي، السير ١/ ٥١٧.
(٥) الزبير بن بكار، جمهرة النسب ١/ ١٤٧-١٤٩.
(٦) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق عزت على عطية وموسى على الموشى، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٢، ٢/ ٢٣٩.

والصحيح أن أول من قص هو تميم بن أوس الداري في عهد عمر رضي الله عنه ^(١). وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لم يكن للقصص وجود في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولكن بعد مقتل عثمان أو بعد الفتنة ^(٢). وقد علق ابن الجوزي على كلام ابن عمر فقال: «إنما أشار ابن عمر وابن سيرين ^(٣) إلى اشتهاار القصص وكثرته وإلا فقد رُوينا أن عمر أذن لتميم الداري في القصص» ^(٤). وكان في المدينة عدد من العلماء مارسوا هذا الجانب في محاولة للحد من التوسع في متاع الحياة الدنيا. ومن هؤلاء العلماء:

* محمد بن كعب القرظي المفسر ت ١٠٨، وكان له تأثير في السامعين حتى أنهم كانوا يبكون عند سماع قصصه، ومع تأثيره في الناس إلا أنه كان يتوقف ويقطع قصصه عندما يسمع شخصا يبكي تورعا وخوفاً من العجب الذي يصيب النفس في هذه المواطن. وقد توفي رحمه الله وهو يقص في مسجد قومه حيث سقط سقف المسجد عليه ومن معه ^(٥).

ومن أمثلة قصصه: قال له رجل: يا أبا عبدالله ما تقول في التوبة؟ قال: «ما

(١) ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ت ٥٩٧)، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد بن لطفی الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٣، ص ١٧٥.

(٢) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين ص ١٧٦.

(٣) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين ص ١٧٧. وقال ابن سيرين: أول من قص الخوارج.

(٤) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين ص ١٧٧، وقال ابن حجر في الإصابة ١/ ١٨٦ في ترجمة تميم الداري: "أول من قص وذلك في عهد عمر". رواه إسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة.

(٥) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ١٣٦، ابن قتيبة، المعارف ص ٤٥٩، ابن الجوزي، القصاص والمذكرين ص ٢٣٥.

أحسنها». أفرأيت إن أعطيت الله عهداً أن لا أعصيه أبداً؟ فقال له محمد: «فمن حينئذ أعظم جرماً منك تتألى على الله أن لا ينفذ فيك أمره»^(١).

وقال رحمه الله: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال، فقها في الدين، وزهادة في الدنيا، وبصراً بعيوبه»^(٢).

* محمد بن المنكدر ت ١٣٠، وهو من بيت صالح، قيل إنه توفي رحمه الله على أثر وقوفه على آية: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فأثرت فيه وصار يبكي بكاء شديداً فدعوا له من يروونه يخفف عنه فزاده بكاء وبكى معه. فتوفي على أثر ذلك^(٣).

ومن أقواله رحمه الله: «إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دُويرته وفي دويرات حوله. فما يزالون في حفظٍ وعافية ما كان بين أظهرهم»^(٤).

* أبو حازم سلمة بن دينار ت ١٤٠، وهذا من أشهر أصحاب القصص، والمواعظ، ووعظه وتذكيره للخليفة سليمان بن عبد الملك لا يخفى على مطلع، فقد وعظه فبكى سليمان من شدة تأثره. وكان أبو حازم يقص في مسجد المدينة، وحدد لإلقاء قصصه بعد الفجر، وبعد صلاة العصر^(٥).

وكان لا يقص إلا ويبكي أثناء القصص، فسئل لم تفعل هذا؟ قال: «بلغني

(١) ابن الجوزي، القصص والمذكرين ص ٢٣٥.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٣٢.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٤٤.

(٤) ابن الجوزي، القصص والمذكرين ص ٢٣٧، ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٤٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات ص ٣٣٢، ابن قتيبة، المعارف ص ٤٧٩، ابن الجوزي، القصص والمذكرين ص ٢٣٨.

أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله»^(١).
 ومن قصصه قوله: «إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان
 كسادها فإنه لو قد جاء يوم نفاقها لم تصلوا منها إلى قليل ولا إلى كثير»^(٢).
 وقوله: «كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.
 إنك لتجد الرجل يعمل بالمعاصي، فإذا قيل له: أتحب أن تموت؟ قال: يقول:
 وكيف؟ وعندني ما عندي. فيقول له: أفلا تترك ما تعمل من المعاصي؟ فيقول:
 ما أريد تركه وما أحب أن أموت حتى أتركه»^(٣).

* عبد الله بن عبد العزيز العمري ت ١٨٤، كان من العلماء العاملين، قوالاً
 بالحق، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، كثير الزيارة للمقابر يقول: «ليس شيء
 أوعظ من قبر». واجه هارون الرشيد أكثر من مرة ووعظه، وذكره بموقفه أمام
 الله ومسئوليته عن رعيته، وكان هارون يبكي بكاء شديداً إثر ذلك. وكان وعظ
 العمري وتذكيره يمنع الرشيد من الحج في بعض السنوات^(٤).
 ومن قصصه قوله: «من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة
 المخلوقين نزعت منه هيبة الله تعالى، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه
 لأستخف به»^(٥).

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٥٧.

(٢) ابن الجوزي، القصص والمذكرين ص ٢٣٧، ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٦٣.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٦٦.

(٤) ابن الجوزي، المصدر السابق ٢/ ١٨٢-١٨٣.

(٥) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٨١.

وجاءه رجل فقال: عظني، فأخذ حصاة من الأرض فقال: «زنة هذه من الورع تدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض» قال: زدني. قال: «كما تحب أن يكون الله - عز وجل - لك غدا فكن أنت له اليوم»^(١).

ومن قصاص المدينة: عطاء بن يسار ت ١٠٣^(٢)، ومسلم بن جندب الهذلي ت ١٠٦^(٣)، ويعقوب بن زيد بن طلحة بن عبدالله بن أبي مليكة بن عبدالله بن جدعان ت ١٣٦^(٤)، وأبو حرزة يعقوب بن مجاهد القرشي ت ١٤٩^(٥)، وأبو عامر النباتي الذي شاهده مالك بن أنس^(٦)، وأبو رافع إسماعيل بن رافع المدني ت ١٥٠^(٧)، وأبو مودود عبدالعزيز بن أبي سليمان الهذلي ت ١٨٤^(٨)، والأغر المدني^(٩).

(١) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين ص ٢٣٩، ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٨٣-١٨٤.

(٢) ابن قتيبة، المعارف ص ٤٥٩، ابن حجر، تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٤.

(٣) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/ ٥٦٨، ابن حجر، تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٢٤٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٠٧، ابن قتيبة، المعارف ص ٤٩١، ابن حبان، الثقات

٧/ ٦٤٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٤.

(٦) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين ص ٢٤٠، ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ١٣٤.

(٧) ابن سعد، الطبقات ٧/ ١٢٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/ ٢٥٨.

(٨) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٤٩، الذهبي، العبر في خبر من غبر ١/ ١٨٤، ابن حجر،

تهذيب التهذيب ٦/ ٣٤٠، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٢٧.

(٩) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين ص ٢٣٦.

.الكتابة:

هي النصوص المكتوبة التي تتميز بطابع أدبي، وتكون في أكثر من موضوع كالموضوعات الحربية، والوصايا المكتوبة للقادة أو الولاة. والمناظرات بين القادة السياسيين حيث يحاول كل منهم إثبات حقه الشرعي، وإبطال حقوق خصومه. كما تشمل الرسائل المتبادلة بين عالم وعالم آخر، أو بين عالم وخليفة أو والى أو موعظة أو شكر. وقد يكون الموضوع علميا فيدخل ضمن الكتابة إذا كتب بأسلوب أدبي.

وقد كانت المدينة مقر قبائل عربية عريقة كالأوس والخزرج، وقريش وغيرها من القبائل التي ملكت ناصية الفصاحة والبلاغة منذ زمن بعيد، وسواء كتب العرب أو خطبوا فالبلاغة لا تفارقهم، والفصاحة تسيل في أساليبهم. وقد حفلت المدينة في القرن الهجري الثاني بعدد من الكتابات التي حوت الشيء الكثير من الجمال والروعة. ومن هذه الكتابات:

* رسالة عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن محمد واليه على المدينة. ومما جاء فيها: «إياك والجلوس في بيتك. اخرج للناس فأسى بينهم في المجلس، والمنظر، ولا يكن أحد من الناس آثر عندك من أحد. ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين، فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم اليوم عندي سواء. بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم، وإذا أشكل عليك شيء فاكتب إليّ به»^(١).

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٣٤٣، د. ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للجزيرة ص ١٥٧.

وأوصى عمر رحمه الله ولى عهده يزيد بن عبد الملك فكتب قائلاً: «إياك أن تدركك الصرعة عند العزة، فلا تقال العثرة، ولا يمكن من الرجعة، ولا يحمذك من جعلت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به والسلام»^(١).

* وأرسلت فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب إلى عمر بن عبدالعزيز لما أمر بتوزيع مبلغ من المال في بني هاشم فكتبت: «لعبد الله عمر أمير المؤمنين من فاطمة بنت الحسين. سلام عليك فيني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فأصلح الله أمير المؤمنين وأعانه على ما ولاه وعصم له دينه. فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبي بكر بن حزم أن يقسم فينا مالاً من الكتيبة ويتحرى بذلك ما كان يصنع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين. فقد بلغنا ذلك وقسم فينا. فوصل الله أمير المؤمنين وجزاه من والٍ خير ما جرى أحد من الولاة. فقد كانت أصابتنا جفوة واحتجنا أن يعمل فينا بالحق. فأقسم لك يا أمير المؤمنين لقد أخدم من آل رسول الله ﷺ من كان لا خادم له، واكتسى من كان عارياً، واستنق من لا يجد ما ينفق»^(٢).

* ومن كتابات العلماء: كتاب أبي حازم سلمة بن دينار الأعرج إلى الإمام الزهري يحذره من الفتن التي يقع فيها من يخالط الحكام من العلماء من

(١) ابن عبد الحكم، سيرة عمر ص ١٠٧، الأجري (أبو بكر محمد بن الحسين ت ٣٦٠) أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز، تحقيق عبدالرحيم عبدالله العسيلان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٣٩٩هـ، ص ٨٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٣٩٠-٣٩١، د. ماهر حمادة، الوثائق العائدة للجزيرة ص ١٥٩.

السكوت على المنكرات، وعدم إبداء وجه الحق فيما يراه من الأمور. قال رحمه الله: «عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحالٍ ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك. فقد أصبحت شيخاً كبيراً، وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصبح من بدنك وأطال من عمرك وعلمك من حُجَجِ الله تعالى مما علمك من كتابه وفهمك من سنة نبيه ﷺ... فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مَبْجَلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً، وكيف قُربك وبعُدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً، مالك لا تتنبّه من نعستك، وتستقيل من عثرتك».

وقال: «ولا تحسبنّ أنى أردت توبيخك وتعيرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب من حلمك»^(١).

* وكتاب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى زيد بن علي يحذره من تصديق أهل العراق وأنهم كذبوا على جده الحسين ﷺ فقال: «يابن عمّ إن أهل الكوفة نُفُخ في العلانية، حُور في السريرة، هُرُج في الرخاء، جُزُع عند اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، ولا تشايِعهم قلوبهم، لا يبيتون بَعْدَةَ في الأحداث، ولا ينوءون بدولة مَرْجُوَّة، ولقد تواترت إلى كتبهم بدعوتهم، فصممت عن ندائهم، وألبست قلبي غِشَاءً عن ذكرهم، يأساً منهم وإطراحاً

(١) أبو نعيم، الحلية ٣/٢٤٦-٢٤٧، ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/١٦٠-١٦٢.

لهم، وما لهم مثل إلا ما قال علي بن أبي طالب: إن أُهْمِلْتُمْ خضتُم، وإن حُورِبْتُمْ خُرْتُم، وإن اجتمع الناس على إمام طَعَنْتُمْ، وإن أُجِبْتُمْ إلى مشاقَّة نَكَصْتُمْ»^(١). ومع أن عبدالله قد كتب هذه الرسالة إلى زيد بن علي إلا أنه - لم يستمع إلى النصيحة فقتل في الكوفة سنة ١٢٢. وعبدالله بهذه الرسالة يصوِّر تصويراً رائعاً حال أهل العراق في حال السلم والحرب إن هدأت الأمور حاولوا إثارتها، وإن قامت الفتن تخلوا عمن كانوا يؤزونه أزا^(٢) للقيام بالفتنة ويعدونه بالنصرة والتأييد.

* وكتب عبدالله أيضا إلى صديق له فقال: «أوصيك بتقوى الله فإن الله جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره، والرزق من حيث لا يحتسب»^(٣).

* ومن الرسائل السياسية ما تردد بين أبي جعفر المنصور ومحمد بن عبدالله الملقب بالنفس الزكية. وكان كل منهما يحاول إثبات أحقيته في الحكم والخلافة. وتوهم النفس الزكية أنه المهدي حيث قال: «من عبد الله المهدي»^(٤). وهذه الرسائل كانت ثلاث رسائل الأولى أرسلها أبو جعفر عندما بلغه خروج محمد والثانية والثالثة كانت محاولة من كلا الجانبين لحشد الأدلة التي تعطيه الحق

(١) الطبري، التاريخ ١٦٩/٧، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ط/١، ١٣٥٦هـ، الباني الحلبي بمصر، ١٤٤١/٣، د. ماهر حمادة، الوثائق العائدة للجزيرة ص ١٦٢ مع وجود أخطاء في النص في الكتاب الأخير.

(٢) الأز: التهيج والإغراء، وتوزهم أزا: أي تغريمهم بالمعاصي. الرازي، مختار الصحاح ص ٢٤٣.

(٣) الحصري، زهر الآداب ٩٣/١، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ٨١/٣.

(٤) محمد العبد، حركة النفس الزكية ص ٦٩، ٥٥.

الشرعي لحكم الأمة وإبطال حجج خصمه.

قال أبو جعفر المنصور في الأولى: «من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣ - ٣٤] ولك عهد الله وميثاقه ودمته ودمته رسول الله ﷺ إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أومنك وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ومن اتبعك على دماءكم وأموالكم، وأسوغك^(١) ما أصبت من دم أو مال، وأعطيتك ألف ألف، وما سألت من الحوائج وأنزلت من البلاد حيث شئت، وأن أطلق من في حبي من أهل بيتك، وأن أومن كل من جاءك وبايعك واتبعتك، أو دخل معك في شيء من أمرك ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً. فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إلى من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به»^(٢).

وقد رد عليه محمد رداً شديداً وكان مما قال: «﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ

(١) أسوغك: أصلها ساغ أي جاز، وسوغه أي جوزه ومعناها هنا يتسامح في الدماء والأموال، الرازي،

مختار الصحاح ص ٣٦٨.

(٢) الطبري، التاريخ ٥٦٦/٧.

أئمةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿ [القصص: ٤-٥]، وقال: «وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت علي». - ثم صار محمد يعدد الحجج التي قام من أجلها وأنه أحق بالخلافة من أبي جعفر لقربته من رسول الله ﷺ ولأنه عربي الأم والأب - ثم قال في نهاية كتابه: «ولك الله على إن دخلت في طاعتي، وأجبت دعوتي أن أومنك على نفسك ومالك، وعلى كل أمر أحدثته، إلا حدا من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد، فقد علمت ما يلزمك من ذلك، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد، لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلي، فأبي الأمانات تعطيني، أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله، أم أمان أبي مسلم»^(١).

ورد عليه أبو جعفر بكتاب جاء فيه: «بلغني كلامك وقرأت كتابك، فإذا جلُّ فخرِك بقراة النساء، لتضلُّ به الجفأة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والأولياء، لأن الله جعل العم أبا» وصار ينقض حجج محمد النفس الزكية ليثبت حق آل العباس في السلطان في رسالة طويلة أوردها الطبري^(٢) وغيره من كتاب التاريخ والأدب.

* وأرسل عيسى بن موسى - قائد جيش المنصور الذي قضى على محمد النفس الزكية - إلى أصحاب محمد يدعوهم إلى الطاعة وترك محمد لأنه مدع حق غيره. قال: «إن محمداً تعاطى ما ليس يعطيه الله وتناول ما لم يؤته الله. قال عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

(١) الطبري، التاريخ ٧/ ٥٦٧.

(٢) الطبري، التاريخ ٧/ ٥٦٧-٥٧١.

الْمُلْكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] فعجل التخلُّص وأقل التربص، وأدع من أطاعك من قومك إلى الخروج معك^(١).

* وكتب عبيدالله بن عمر بن حفص بن عبدالله بن عمر بن الخطاب - ت ١٤٧ الإمام الحافظ كان من سادات أهل المدينة، وأشرف قريش فضلاً وعلماً وعبادة، وشرفاً وحفظاً، واتفاقاً^(٢) - إلى المنصور ينصحه ويحذره من الظلم وأن يجعل رعيته أمام الحق سواء. فقال: «فإني عهدتك وأمر نفسك لك مهم. وقد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها وأبيضها وشريفها ووضعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع، ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق».

وقال: «وإني أحذرك يوماً تفنى فيه الوجوه، والقلوب، وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته وأذلهم بسلطانه، والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه، وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون أخوان العلانية أعداء السريرة وإني أعوذ بالله أن تنزل كتابي سوء المنزل فإني إنما كتبت بها نصيحة فصدقت وبررت فلا تدع الكتب إليّ لا غنى بي عن ذلك»^(٣).

(١) الطبري، التاريخ ٧/ ٥٧٩-٥٨٠، د. ماهر حادة، الوثائق العائدة للجزيرة ص ٢٠٢.

(٢) الذهبي، السير ٦/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٣) الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة (محمد بن مسلم ت ٢٧٩) مصطفى الباي الحلبي بمصر، =

* ومن الرسائل المتبادلة بين الليث بن سعد ومالك بن أنس:

الليث بن سعد إمام مصر ومحدثها ومفتيها. كان يكن احتراماً شديداً للإمام مالك ويرى للمدينة وعلماؤها حقاً على غيرهم. وقد أرسل إلى الإمام مالك برسالة هذا نصها: «سلام عليك، فإني أحمد الله إليك، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة - فقد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه، وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك وإقامتك إياها وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا فجزاك الله عما قدمت منها خيراً، فإنها كتب انتهت إلينا عنك فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها، وذكرت أنه قد أنشطك ما كتبتُ إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة، ورجوت أن يكون لها موضع، وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيك فينا جميلاً، إلا لأنني لم أذكرك مثل هذا، وأنه بلغك أنني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأنه يحق عليّ الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله، ووقع مني بالموقع الذي تحب، وما أعد أحداً قد ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ لفتياهم

فيما اتفقوا عليه مني والحمد لله رب العالمين ولا شريك له»^(١). ثم ناقشه في بعض القضايا الفقهية مثار النزاع. وفي نهاية الرسالة قال: «وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك؛ لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك مع استئناس بمكانك، وإن نأت الدار، فهذه منزلتك عندي ورأي فيه فاستيقنه، ولا تترك الكتاب إليّ بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك، فإني أسرُّ بذلك، كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليك ورحمة الله»^(٢).

ورد عليه الإمام مالك برسالة مطولة جاء فيها: «سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد، عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا وإياك من كل مكروه.

كتبت إليك وأنا ومن قبلي من الولدان والأهل على ما تحبُ والله محمود. جاءني كتابك تذكر من حالك ونعم الله عليك الذي أنا به مسرور، وأسأل الله أن يستمر علينا وعليك صالح ما أنعم به علينا وعليك وأن يجعلنا له من الشاكرين. وفهمت ما ذكرت في كتب بعثت بها لأعرضها لك وأبعث بها إليك، فقد فعلتُ ذلك وغيرت منها حتى صح أمرها على ما تحب، وختمت على كل فندايق منها بخاتمي ونقشه "حسبي الله ونعم الوكيل" وكان حبيب إلي

(١) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٨٧-٦٨٨، ابن القيم، إعلام الموقعين ٣/٨٣.

(٢) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٩٤-٦٩٥، ابن القيم، إعلام الموقعين ٣/٨٨.

حفظك وقضاء حاجتك وأنت لذلك أهل، وصبرتُ لك نفسي في ساعات لم أكن أعرض فيها لأن الحج فيها فتأتيك مع الذي جاءني بها حيث دفعتها إليه، وبلغت من ذلك الذي رأيت أنه يلزمني في حقك وحرمتك وقد نشطني ما استطعت مما قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك، ورجوت لك أن يكون لها عندك موضع، ولم يكن يمنعني من ذلك قبل اليوم أن لا يكون رأيي لم يزل فيك جميلاً إلا أنك لم تذاكرني شيئاً من هذا الأمر ولا تكتب فيه إليّ.

واعلم - رحمك الله - أنه بلغني أنك تفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا، وبلدنا الذي نحن فيه، وأنت في إمامتك، وفضلك، ومنزلتك من أهل بلدك. وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاءهم منك حقيق بأن تخاف على نفسك، وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه»^(١).

وقد أخبر الإمام مالك الليث أنه يجب أن يقضى لليث حاجته، ومع تقبل مالك للنصح إلا أن ذلك لم يمنعه من رد النصح للإمام الليث، وقال في آخر الرسالة: «فانظر - رحمك الله - فيما كتبت إليك فيه لنفسك، وأعلم أي أرجوا أن لا يكون دعائي إلى ما كتبت به إلا النصيحة لله وحده، والنظر لك والظن بك، فأنزل كتابي منك منزله، فإنك إن تفعل تعلم أي لم ألك نصحاً، وفقنا الله وإياك لطاعته وطاعة رسوله في كل أمر، وعلى كل حال، والسلام عليك ورحمة الله»^(٢).

(١) الفسوى، المعرفة والتاريخ ١/٦٩٥-٦٩٦.

(٢) الفسوى، المعرفة والتاريخ ١/٦٩٧.

ب - اللغة

النحو والصرف:

كانت الفصاحة سائدة لدى العرب وبخاصة أهل المدينتين مكة والمدينة، وكان اللحن غريباً لا وجود له بينهم حتى قدم الموالي الحجاز وهنا نشأ اللحن ورأى الخلفاء والعلماء وجوب التنبه إلى مقاومة ذلك اللحن، وحث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس على ذلك بقوله: «عليكم بالتفقه في الدين، والتفقه في العربية، وحسن العربية»^(١).

وكان عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب بنيه إذا لحنوا^(٢). وقد ظهر اللحن في اللغة وانتشر في البلاد التي كثر بها الموالي كالبحيرة والكوفة والشام. مما حمل عمر رضي الله عنه على الكتابة إلى واليه على البصرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قائلاً: «مر من قبلك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام، ومرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق»^(٣). وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر أبا الأسود الدؤلي ت ٦٩ بوضع أصول

(١) المتقى الهندي (علاء الدين علي بن حسام الدين ت ٩٧٥) كنز العمال، تحقيق بكرى حيايى، وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة ٢٥٤/١٠.

(٢) الخطيب، جامع الأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، ٢/٢٩.

(٣) المتقى الهندي، كنز العمال، ٣٠٠/١٠.

علم النحو التي تحافظ على صحة نطق الكلام^(١).

وقد ذكر النديم: أن عبدالرحمن بن هرمز المدني ت ١١٧ هو أول من وضع العربية^(٢). ولا يعنى ذلك أن علم النحو نشأ بالمدينة وإنما كان أول بدء تعليم النحو بالمدينة. قال القفطي: «أنه - عبدالرحمن بن هرمز - أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وأظهر هذا العلم بالمدينة... وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش، وما أخذ أهل المدينة النحو إلا منه ولا نقلوه إلا عنه»^(٣).

وقد قسم عبدالواحد بن علي بن برهان ت ٤٥٦ في كتاب "اللمع" النحاة إلى: مدنيين، وبصريين وكوفيين. وبين القفطي ذلك بأنه أراد نشأة النحو الأولى كانت في هذه المدن^(٤).

ومن نحاة المدينة في القرن الثاني الهجري:

* عبدالعزيز القارئ الملقب بيشكست المدني النحوي الشاعر. وقد أخذ عنه أهل المدينة النحو، وكان من الخوارج فلما دخل أبو حمزة الخارجي الحجاز

(١) الزركلي، الأعلام ٣/٢٣٦.

(٢) النديم، الفهرست ص ٤٦، الزبيدي (محمد بن الحسن ت ٣٧٩) طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٥٤م، ص ٢٠، السيوطي (جلال الدين)، بغية الرواة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي، ط ١/٢، ٩١.

(٣) القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ت ٦٤٦) أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، القاهرة، ١٣٧١هـ ١٧٢/٢.

(٤) أنباه الرواة ١٧٢/٢.

ذهب معه فقتل عام ١٣٠^(١).

وقد وفد على هشام بن عبد الملك، فلما حضر الغداء دعاه هشام، وقال لفتيان بني أمية: تلاحنوا عليه، فجعل بعضهم يقول: يا أمير المؤمنين رأيت أبي فلان ويقول آخر: مربي أبي فلان. ونحو ذلك فلما ضجوا أدخل يده في صحيفة فغمسها ثم طلى لحيته وقال لنفسه: ذوقي هذا جزأوك في مجالسة الأندال^(٢).

* علقمة بن أبي علقمة ت في أول خلافة المنصور. وكان يعلم في كُتّاب ومن العلوم التي كان يجيدها علم النحو والعروض وعلم العربية^(٣) ولعله كان يعلم مبادئ النحو للتلاميذ.

* عبيد بن مسعدة الفزاري المعروف بابن أبي الجليد، أبو الجليل المنظوري نحوى من أهل المدينة وكان أبوه أعرابياً علامة، وروى عنه الضحاك بن عثمان ت ١٨٠^(٤).

* محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد ت ١٧٤. كان متقناً لعدد من العلوم ومنها علم العربية وعلم العروض^(٥).

ومن كان له إحاطة بعلم النحو مسلم بن جندب الهذلي ت ١٠٦^(٦)، ومحمد

(١) القفطي، انباه الرواه ١٨٣/٢.

(٢) سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، ط/٢، ١٣٩٨، ص ١٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٤٢، ابن قتيبة، المعارف ص ٥٤٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ١٢/٧٨-٧٩، السيوطي، بغية الوعاة ١٣١/٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات ٤١٧/٥.

(٦) القفطي، انباه الرواه ٢٦١/٣.

بن شهاب الزهري ت ١٢٤^(١).

ويمكن أن يقال أن علم الصرف نشأ متزامناً مع علم النحو مع أن النصوص لا تسعنا بشيء حول ذلك خاصة في المدينة النبوية. والمعروف أن واضع علم الصرف هو معاذ بن مسلم الهراء الكوفي ت ١٨٧^(٢). ولم تذكر المصادر من تلاميذه إلا الإمام الكسائي^(٣)، وعبدالرحمن المحاربي، والحسن بن الحسين الكوفي^(٤) فقط مع أنه يحتمل أن يكون له تلاميذ أو طلاب من المدنيين المترددين على الكوفة.

رواية اللغة:

الرواية معناها الاستقاء أو التلقي^(٥).

وقد أطلقت الرواية على تلقى وحمل الشعر والأنساب والحديث والقراءات واللغة والقصص والغزوات^(٦).

(١) د. حارث الضاري، الإمام الزهري ص ١٨٧.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة ٢/٢٩١، محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مطبعة السعادة، مصر، ط/٢، ١٣٨٩هـ، ص ٩٨.

(٣) الذهبي، السير ٨/٤٢٥، الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، نشر مركز المخطوطات بجمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط/١، ١٤٠٧هـ، ص ٢٢٢.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة ٢/٢٩٢.

(٥) د. عبدالحميد الشلقاني، الأعراب الرواة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م، ص ١٧، رواية اللغة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م، ص ٣٧.

(٦) المراجع السابق، نفس الصفحات.

وقد بدأت رواية اللغة بظهور اللغويين في بداية القرن الثاني الهجري، وكانت البصرة والكوفة مقرهم ومن الأعلام الذين كانت لهم جهود كبيرة في هذا المجال أبو عمرو بن العلاء ت ١٥٥، وعبدالمملك بن قريب الأصمعي ت ٢١٧ وغيرهم.

ومع أن العراق كان مقر هذا العلم كما كان مقرا للنحو إلا أن المدينة كانت لها مشاركة في هذا المجال وقد تكون مصدرا لهذا العلم حيث تردد عليها بعض علماء الرواية كالأصمعي الذي سعى لتحصيل قراءة نافع في المدينة ثم صار يقرئ بها في البصرة^(١)، وجالس الأصمعي من علماء الحجاز الإمام مالك بن أنس، وابن أبي الزناد، وعبدالعزیز بن أبي حازم الأعرج وأخذ عنهم. وأخذ عنه الإمام مالك شيئا من اللغة^(٢).

ومن روى اللغة في القرن الثاني الهجري بالمدينة:

* عبدالله بن محمد بن عمارة أبو محمد القداح الأنصاري، فقد روى عن ابن أبي ذئب، وسليمان بن بلال، ومخرمة بن بكير، وروى عنه عمر بن شبة، ومحمد بن سعد، والفضل بن سهل.

وهو مدني اخباري، وله كتاب في النسب، رواه عنه المصعب الزبيري، وكان من أعلم الناس بنسب الأنصار^(٣)، وكانت معظم رواياته عن الأنساب،

(١) د. الشلقاني، الأعراب الرواة ص ٧٤.

(٢) ابن قدامة، المنتقى من أخبار الأصمعي ص ٢٩.

(٣) ابن حجر، لسان الميزان ٣/ ٣٣٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/ ٤٠٢.

وله مع ذلك روايات في الأخبار.

أما الحديث فقد روى منه الشيء القليل^(١). وتدخل اللغة ضمن الأخبار والأنساب في بعض الأحيان.

* عيسى بن يزيد بن دأب الليثي ت ١٧١، روى عن هشام بن عروة، وابن أبي ذئب، وصالح بن كيسان، روى عنه شبابة، ومحمد بن سلام الجمحي، وحوثرة بن أشرس وغيرهم^(٢). وعيسى بن يزيد علامة شاعر من علماء النسب ولكنه وضاع أخبار. قال عبدالواحد بن علي الحلبي ت ٣٥١ في مراتب النحويين: كان يضع الشعر، وأحاديث السمر، وكلاما ينسبه إلى العرب^(٣)، ومع أنه شاعر إلا أن علمه بالأخبار أكثر^(٤). وكان راوية عن العرب وافر الأدب، عالماً بالنسب عارفاً بأيام الناس حافظاً للسير. وأخذ بعض علومه من والده الذي كان عالماً، شاعراً ناسباً^(٥)، وكان عيسى أكثر أهل الحجاز أدباً وأعذبهم ألفاظاً، وكانت له منزلة كبيرة عند الخليفة المهدي يدل عليها منحه ثلاثين ألف دينار^(٦).

(١) انظر السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٤٠٢.

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/٣٢٧، ابن حجر، لسان الميزان ٤/٤٠٨.

(٣) أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٣٩٤هـ ص ١٥٦، ابن حجر، لسان الميزان ٤/٤٠٨.

(٤) المصادر السابقة، نفس الصفحات.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ١١/١٤٨.

(٦) المصدر السابق ١١/١٥٠.

ومع علمه بالأخبار إلا أن حديثه واه^(١).

* الضحاک بن عثمان بن الضحاک بن عثمان ت ١٨٠، كان علامة قريش بالمدينة أحاط بأخبارها وأشعارها، وأيامها وأشعار العرب وأيامها وأحاديث الناس^(٢).

وقد روى الضحاک عن جده، ومالك بن أنس، وموسى بن إبراهيم بن صديق، وروى عنه ابنه محمد، وإبراهيم بن المنذر الحزامي. وقره بن حبيب^(٣). وجهه عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير نائباً له على اليمن، وأعطاه ألف دينار كل شهر، وأعانه الرشيد بأربعين ألف درهم. وكان محمود السيرة^(٤).

وكان من بيت توارث أهله العلم واهتموا به. قال الواقدي عندما جالسه أحمد بن محمد بن الضحاک ليأخذ عنه العلم: «هذا الفتى خامس خمسة جالستهم وجالسوني على طلب العلم، وهو كما ترون، وأبوه محمد بن الضحاک، وجده الضحاک بن عثمان، وعثمان بن الضحاک، والضحاک بن عثمان بن عبدالله بن خالد بن حزام»^(٥) ووجود أمثال هذا البيت العلمي كثير

(١) الذهبي، ميزان الاعتدال ٣٢٨/٢، ابن حجر، لسان الميزان ٤٠٨/٤.

(٢) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ٤٠٢/١، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤٤٨/٤، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢٥١/٢.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤٤٧/٤.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢٥١/٢.

(٥) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ٤٠٢/١، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢٥١/٢.

في تاريخ العلوم الإسلامية، والعلم خير ما يورث الأب لأبنائه، وخير الأبناء من يتلقى العلم عن أبيه ويحافظ عليه، ويستزيده منه ويورثه أبناءه من بعده كما فعلت هذه الأسرة.

* عامر بن صالح بن عبدالله بن عروة بن الزبير ت ١٨٢، كان فقيهاً أخبارياً علامة، وكان عالماً بالنسب، وأيام العرب وأخبارهم، وأشعارهم، وله علم بالفقه والحديث^(١)، وكان شاعراً. ومع كل هذه العلوم إلا أن خبره في الحديث واه^(٢).

ومن رواة اللغة في هذا القرن أبو بكر بن عبدالله بن أويس^(٣)، وإبراهيم بن موسى بن صديق^(٤). والإمام محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١، إمام السير والمغازي، الذي روى كثيراً من الشعر مع أنه انتقد في ذلك^(٥).

(١) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١/ ٢٧٤، الخطيب، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٣٥، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/ ٢٧٦.

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٠.

(٣) النديم، الفهرست ص ١٢٠.

(٤) فؤاد سزكين، تاريخ التراث ١/ ٢/ ٤٩، التدوين التاريخي.

(٥) د. عبدالعزيز الدوري، دراسة في سيرة النبي ﷺ ومؤلفها ابن إسحاق، مطبعة العاني، بغداد، ص ١٨.

الفصل الرابع

العلوم الإجتماعية والعلوم العلمية

- أ. التاريخ
- ب. النسب
- ج. الجغرافيا
- د. التربية والتعليم
- هـ. الرياضيات والفلك
- و. الكيمياء

أ - التاريخ والسير والمغازي

بدأ اهتمام المسلمين بسيرة الرسول ﷺ متزامناً مع اهتمامهم بالسنة النبوية، وهذا ما تؤكدته المطالعة في كتب الحديث حيث يجد القارئ أبواباً خاصةً بالسيرة مثل باب المغازي، أو باب المناقب والسير والجهاد وكان رواد دراسة المغازي من المحدثين^(١)، ولكن فصل هذه المعلومات التاريخية عن غيرها من أبواب الفقه، والحديث بدأ متأخراً قليلاً عن تدوين علم الحديث الشامل. وقد كانت المدينة النبوية مقر المصطفى ﷺ وخلفائه الثلاثة من بعده وموئل أغلب الأحداث الهامة في تاريخ الأمة المسلمة كأحد والخندق وبالقرب منها بدر، وكان أبناء هذه المدينة هم الذين لهم مشاركة كبيرة في صنع هذه الأحداث، ولهذا كانت المدينة مقر علم السيرة والمغازي وكان أهلها أعلم الناس بهذا الفن.

ومن علماء المدينة في التاريخ والسير والمغازي:

* عاصم بن عمر بن قتادة ت ١١٩، أحد علماء الحديث الذين برزت مشاركتهم في المغازي والسير، وقد أخذ عنه ابنه إسحاق، وهو من الثقات^(٢)، وبلغ من منزلته أن عمر بن عبدالعزيز أمره عندما قدم الشام أن يحدث في

(١) د. سليمان بن حمد العودة، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، رسالة دكتوراه من قسم التاريخ بجامعة الإمام بالرياض ١٤٠٧هـ ص ١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٢٨، ابن قتيبة، المعارف ص ٤٦٦.

مسجد دمشق بمغازي رسول الله ﷺ ومناقب الصحابة ^(١)، وقد رجع بعد وفاة عمر إلى المدينة وبقي ما يقارب العقدين من الزمن يتلمذ عليه ويأخذ عنه طلاب العلم ^(٢).

* شرحبيل بن سعد (٢٥-١٢٣) مولى بنى خطمة، أحد علماء المغازي بالمدينة وكان من الفقهاء المفتين بها، سئل عنه سفيان بن عيينة فقال: «لم يكن أحد أعلم بالبدرين منه، وكان يحدث بطرائف العلم» ^(٣) وقد اتهم وُضِعَفَ لأنه احتاج فإذا طلب من رجل خاف الرجل منه أن يقول: لم يشهد أبوك بداراً فيعطيه، واتهم بأنه قد يجعل لمن لا سابقة له سابقة، فأسقطوا مغازيه وعلمه ^(٤)، وقد أعطى قوائم بأسماء الصحابة في المعارك الكبرى ^(٥).

* محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ١٢٤، الإمام العالم المحدث، أحد المجتهدين المجددين، وأحد مؤسسي المدرسة التاريخية بالمدينة والشام ^(٦)، حاول أن يجمع كل ما يتعلق بسيرة المصطفى ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين، وقد روى السيرة عن عروة بن الزبير ^(٧)، وزاد عليها بكثرة بحثه وتنقيح فقد

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٢٧٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٢٨.

(٣) العقيلي، الضعفاء ٢/١٨٧.

(٤) العقيلي، الضعفاء ٢/١٨٧، الذهبي، السير ٦/١١٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٢١٧.

(٥) د. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٢، ١٩٨٠م، ١/١٥٤.

(٦) المرجع السابق ١/١٥٧.

(٧) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٨٨.

كان يسأل الشباب والكهول من النساء والرجال عن العلم^(١).
 وله مجموعة من الكتب منها: مشاهد النبي ﷺ رواها عنه يونس بن يزيد،
 وسيرة الزهري التي نقل عنها أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف في قصة
 بحيرى الراهب، وزواج الرسول ﷺ بخديجة رضي الله عنها، ووصفها بقوله:
 وهي أول سيرة الفت في الإسلام^(٢)، وقد روى عنه الطبري في تاريخه في أكثر من
 مائة موضع جلها في السيرة النبوية^(٣)، وفي كتب الحديث نجد في مصنف
 عبدالرزاق ٤٣ حديثاً من ٦٧ حديثاً للزهري في باب المغازي. وقد نشر د. سهيل
 زكار هذه المرويات في كتاب خاص باسم المغازي النبوية وادعى أنَّها هي السيرة
 التي كتبها الزهري^(٤)، وفي باب الجهاد له عدد من الروايات حول مغازي
 رسول الله ﷺ^(٥)، وذكر صاحب كشف الظنون أنَّ للزهري مغاز^(٦). وهذه
 المعلومات الوافرة تدل على أن الزهري قد جمع أحاديث السيرة النبوية ورتب
 مغازي رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك السهيلي، ولكن لم يصل إلينا من ذلك شيء

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٩.

(٢) (عبدالرحمن بن عبدالله) تحقيق عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط/ ١، ١٣٨٧ هـ
 ٢/ ٢٣٩.

(٣) محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، ط/ ١، ١٤٠٦ هـ
 ص ٣٠٢.

(٤) السلمي، منهج كتابة التاريخ ص ٣٠٢، وقد انتقد الأستاذ السلمي سهيل زكار في طريقته هذه وفي
 نقده لبعض الأخبار الثابتة هامش ٧.

(٥) السلمي، منهج كتابة التاريخ ص ٣٠٣.

(٦) حاجي خليفة ٢/ ١٧٤٧.

بصورة مستقلة وإنما وصلتنا روايات في كتب السنة والسير والتاريخ^(١).
وقد كتب الزهري لجدّه "أسنان الخلفاء" واقتبس منه الطبري في
موضوعين^(٢)، واعتبره شيخ الإسلام ابن تيمية من أهل المغازي الذين يعتمد
قولهم^(٣).

* عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ت ١٣٥، وهو إمام
حافظ، له كتاب في المغازي^(٤)، وروايات كثيرة في السيرة عند ابن إسحاق^(٥)،
وعند ابن جرير في تاريخه^(٦). وتتعلق الأخبار التاريخية التي أوردها حول
الوفود، وأخبار الردة والأيام الأخيرة لعثمان رضي الله عنه.

ومن أهم أعماله في السيرة والمغازي:

١- ابتكار الترتيب السنوي للحوادث، فقد جمع قائمة لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم
مرتبة ترتيباً سنوياً، وقد نقلها عنه ابن إسحاق في السيرة ثم وصلت الطبري^(٧)،
فهو مؤسس المنهج الحولي.

(١) السلمي، منهج كتابة التاريخ ص ٣٠٣، ويعمل د. مصطفى الأعظمي على إخراج سيرة الزهري من
كتب السنة.

(٢) التاريخ ٤٩٩/٥، ٤٩٥/٦، والمقصود بجدّه هو جد الوليد بن عبد الملك مروان بن الحكم، د.
عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٩٧.

(٣) الفتاوى ٤٦٤/٢٨.

(٤) الذهبي، السير ٣١٤/٥، د. الأعظمي، دراسات في الحديث ١/١٨٥.

(٥) ابن هشام، السيرة ٣٦/١، ٥٧، ٨٢، ٨٦، ١٦٨، ٢٠٣، ٤٣٥، ٤٤٦، ٤٤٦/٢، ٣٨٢، ٥٢٢، ٥٩٠.

(٦) ٧٢ قطعة كلها في أحداث تتعلق بالسيرة.

(٧) التاريخ ٣/١٥٤.

٢- العناية بجانب الأخبار بالوثائق المدونة كالرسالة التي كتبها النبي ﷺ إلى ملوك حمير ووصية النبي ﷺ إلى عمرو بن حزم جده الأكبر عندما أرسله إلى نجران^(١).

* موسى بن عقبة ت ١٤١، إمام ثقة كبير، من أئمة المغازي، وثقه عدد من الأئمة، منهم مالك الذي قال عنه: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة، طلبها على كبر سن ليقيد بها من شهد مع رسول الله ﷺ ولم يكتر كما كثر غيره، وهي أصح المغازي»^(٢). وقال عنه الذهبي: «أنه أول من صنف في ذلك»^(٣). وقد تبين من عرضنا السابق أن هذا غير صحيح؛ إلا إذا كان قصد الإمام الذهبي أنه أول مدون في المغازي وصله.

وكانت مغازي موسى بن عقبة متداولة بين العلماء حيث رجع إليها ابن عبدالبر ت ٤٦٣، في كتابه الدرر^(٤)، ورأها وسمعها ابن خير الأشبيلي ت ٥٧٥^(٥)، ورجع إليها الكلاعي في مغازي رسول الله ﷺ^(٦). وقد وصف

(١) د. شاکر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ١/١٥٥.

(٢) الذهبي، السير ٦/١١٥.

(٣) الذهبي، السير ٦/١١٥.

(٤) الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق د. شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ ص ٢٩.

(٥) أبو بكر محمد بن خير الأشبيلي ت ٥٧٥هـ، تحقيق فرانسسكه قداره زيدبن، ١٣٨٢هـ، ص ٢٣٠.

(٦) الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ٤/١.

الذهبي حجمها ونقل عنها وبين أنها في مجلد ليس بالكبير، سمعها وأن غالبها صحيح، ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة. وذكر أنه لخص الترجمة النبوية، والمغازي المدنية، في أول تاريخه الكبير^(١). والذي دفع موسى بن عقبة لتأليف المغازي سماعه أن شرحبيل بن سعد اتهم عند الناس بمحاولة الاستجداء مقابل إبراز أحد الأسماء ضمن من شهدوا المشاهد^(٢).

* محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١، الإمام العلامة الحافظ الإخباري، صاحب السيرة النبوية، وإمام أهل المغازي في زمانه، وصفه الذهبي بأنه: «أول من دون العلم بالمدينة قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحراً عجائماً ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي»^(٣).

خرج من المدينة قاصداً العراق فأتى الجزيرة، والكوفة، والري، وبغداد، وقدم على أبي جعفر المنصور بالخير فكتب له المغازي^(٤)، فقال له الخليفة: «لقد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختره»، فاختره. وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ١١٦/٦، وقد سجل أحد الطلاب "مرويات موسى بن عقبة في المغازي" تحقيق ودراسة، موضوعاً لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة في ١٦/٢/١٤٠٦، وهو باقشيش محمد. وقد طبع في المغرب.

(٢) الذهبي، السير ١١٦/٦.

(٣) السير ٣٥/٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٠١، الخطيب، تاريخ بغداد ١/٢٢١، الذهبي، السير ٧/٤٨.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ١/٢٢١.

وقد ألف ابن إسحاق سيرة النبي ﷺ وتشمل السيرة ثلاثة أقسام (المبتدأ، والمبعث، والمغازي) والقسم الأول يحوى شيئاً من تاريخ البشرية قبل مبعث النبي ﷺ، ويشتمل القسم الثاني على حياة النبي ﷺ بعد البعثة وبعد الهجرة، أما القسم الثالث فيتحدث عن غزوات النبي ﷺ وبعوثه إلى الأمم والأقوام لدعوتهم إلى الإسلام ومع سبقه غيره من المؤرخين في هذا العمل المتكامل وإدخاله الأسلوب القصصي على الكتابة التاريخية^(١)، فقد انتقده يحيى بن القطان فأشار إلى ما في السيرة من الشعر الواهي، وبعض الآثار المنقطة المنكرة، وبين أنها لو حذفت لكانت أحسن، وأن تضم إليها وترتب أحاديث كثيرة في الصحاح، والمسانيد. وأشار إلى أن الإمام أبا بكر البيهقي قد فعل ذلك في دلائل النبوة^(٢). ومن الأخطاء التي وقع فيها ابن إسحاق رحمه الله أنه طول في الأنساب مع عدم معرفته بالأنساب، فالأولى الاختصار. ووضع الشعر الصحيح وغير الصحيح، والأصح حذف ما لم يترجح فائدته فكتابه محتاج إلى المراجعة والتحقيق والتأكد من النصوص التي أوردها^(٣).

وقد ذكر ابن خير في فهرسته أنه سمع كتاب المغازي والسير لابن إسحاق، وكتاب سيرة الرسول ﷺ^(٤)، ونسبت له كتب أخرى منها تاريخ

(١) د. عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٢٨.

(٢) السير ٥٢/٧.

(٣) انظر الذهبي، السير ١١٥/٦.

(٤) ابن خير، فهرست شيوخه ص ٢٣٢.

الخلفاء^(١)، وعزى إليه محمد حميد الله قطعة فيها ذكر أول الخلق، وقطعة من تاريخ الخلفاء^(٢). وقد تبهر ابن إسحاق في أكثر من علم وفن، قال عبدالله بن فائد: «كنا إذا جلسنا إلى ابن إسحاق فأخذ في فن من العلم، قضى مجلسه فيه»^(٣). ووصفه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بأنه: «كان من أهل العلم بالمغازي، وبأيام العرب، وأخبارهم، وأنسابهم، راوية لأشعارهم، كثير الحديث، غزير العلم طلاقة له، مقدما في العلم بكل ذلك، ثقة»^(٤).

وقد صرف ابن إسحاق الملوك عن كتب لا يحصل منها شيء، وأشغلهم بمغازي رسول الله ﷺ، ومبتدأ الخلق، ولم يبلغ مبلغه ومنزلته من ألف قبله في التاريخ^(٥).

وعن منهج ابن إسحاق في إيراد الروايات والتمييز، ومحاولة إبراز السيرة بالروايات الصحيحة فقط، فلم يكن ذلك من منهج محمد بن إسحاق؛ إنما كان يجمع، ولا يشترط الصحة فيما يجمع، ولا يميز بين الصحيح من الأخبار، والضعيف، ولهذا حوت سيرته إلى جانب الروايات الصحيحة، الأخبار الواهية، والروايات المنكرة، ولكنها بشكل عام تقترب إلى حد كبير مما أوردته كتب الحديث الصحيحة، بل تتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث في

(١) النديم، الفهرست ص ١٠٥.

(٢) مقدمة تحقيق سيرة ابن إسحاق، الوقف للخدمات الخيرية، قونية، تركيا، ١٤٠١هـ، ص ٧.

(٣) الذهبي، السير ٤٧/٧.

(٤) المنتخب من ذيل المذيل، الملحق بتاريخ الطبري ٦٥٤/١١.

(٥) انظر ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٢١٢٥، الذهبي، السير ٤٨/٧.

كثير من الأحيان^(١).

قال الدكتور أكرم العمري: «وهناك اتجاه خاطئ عند بعض المستشرقين تابعهم فيه بعض مؤرخينا يعلى من شأن مغازي الواقدي، ويقدمها على سيرة ابن إسحاق، والحق أن سيرة ابن إسحاق أدق وأوثق»^(٢).

وهو أول من فصل علم التاريخ عن علم الحديث، وبذلك يعتبر رائداً للكتابة في السيرة، وصاحب مدرسة لها منهجها المستقل عن مدرسة علماء الحديث، وقد سهل للناس دراسة السيرة، وتنظيمها في نمط قصصي متسلسل^(٣). وقد حصل نزاع بين ابن إسحاق، وبين الإمام مالك أدى إلى أن يصمه الإمام مالك بأنه: دجال من الدجاجلة، لقوله عن أحاديث الموطأ: أنا بيطارها. وعلق الإمام الذهبي بكلمة شافية حيث قال: «وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه، لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السير، أما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذ فيه، فإنه يعد منكرًا»^(٤).

(١) انظر د. سليمان حمد العودة، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ص ٥١، ٦١.

(٢) المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة، ط/١، ١٤٠٣هـ، ص ٢٧.

(٣) محمد السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٣٥٣.

(٤) الذهبي، السير ٧/ ٤١.

وأثم ابن إسحاق بالتشيع، وهذا صحيح وليس المقصود تشيع الرافضة، وإنما هو التشيع الأول، قال يحيى بن سعيد القطان: «كان محمد بن إسحاق، والحسن بن ضمرة، وإبراهيم بن محمد، كل هؤلاء يتشيعون، ويقدمون علياً على عثمان»^(١).

* عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن حزم ت ١٧٧، عالم متبحر من أسرة توارثت العلم في الحديث، والفقه، والمغازي، وقد تولى قضاء الجانب الشرقي من بغداد، وصلى عليه هارون الرشيد عند وفاته، ودفنه في مقبرة العباسية بنت المهدي^(٢).

وذكر له كتاب في المغازي^(٣)، وكتب عنه سريح بن النعمان المغازي عن عمه عبدالله بن أبي بكر^(٤)، وقد يكون مجرد راوٍ للسيرة عن عمه فقط من خلال النص ولكن كل راوي قد يشرح، ويوضح، ويعلق، ويضع عدداً من اللمسات على النص فيتحول إلى شيء جديد.

* محمد بن الحسن بن زباله ت ١٩٩، أول من أرخ للمدينة وقد حاول أن يجمع كل خبر أو وصف للمدينة، وهو من الأخباريين الكبار الذين برزوا في القرن الثاني الهجري، ومهدوا الطريق أمام المؤرخين الكبار^(٥).

(١) د. سليمان العودة، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ص ٣٥.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٤٠٩/١٠.

(٣) النديم، الفهرست ص ٢٨٢.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد ٤٠٩/١٠، المزي، تهذيب الكمال ٨٥١/٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣٨٧/٦.

(٥) د. أكرم العمري، مقدمة تحقيق المنتخب من أزواج النبي ﷺ لابن زباله، الجامعة الإسلامية، المدينة، ط/١، ١٤٠١هـ ص ١٥.

وقد وضع كتاب أخبار المدينة سنة ١٩٩٩هـ^(١)، ومن الأخبار التاريخية في هذا الكتاب خطط المدينة، وخطط الأوس والخزرج، وطريق الهجرة، ووضع مسجد النبي ﷺ وما طرأ عليه من زيادات في العهود المختلفة حتى عصر ابن زبالة، وتحدث فيه عن مقابر المدينة وأسواقها ومساجدها ودورها^(٢).

وقد أخذ عنه عدد من المؤرخين، منهم الزبير بن بكار في كتابه الأخبار الموفقيات، وجمهرة نسب قريش^(٣)، وابن حجر العسقلاني في الإصابة^(٤)، والسمهودي في وفاء الوفا وقد حوى كتاب السمهودي أغلب معلومات ابن زبالة، وقد وصف السخاوي كتاب أخبار المدينة بأنه مجلد ضخمة^(٥).

ومع ضعف ابن زبالة في الحديث إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن معلوماته، قال الدكتور أكرم العمري: «إن إهمال كل المعلومات التي ذكرها الواقدي وابن زبالة وأمثالهما خسارة كبيرة لغزارتها، ولقيمتها التاريخية الكبيرة»^(٦).

(١) السمهودي، وفاء الوفا ١/٣٥٢.

(٢) د. صالح أحمد العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٤م، عدد ١١، ص ١٢٨.

(٣) د. أكرم العمري، مقدمة تحقيق المنتخب من أزواج النبي ﷺ ص ١٤.

(٤) د. شاكر عبدالمعتم، موارد ابن حجر في الإصابة ٢/٥٨٥، حاشية ٣.

(٥) التوبخ لمن ذم التاريخ، مطبوع ضمن علم التاريخ عند المسلمين، لفرانز روزنثال، ترجمة د. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ ص ٦٤٢.

(٦) د. أكرم العمري، مقدمة تحقيق المنتخب من أزواج النبي ﷺ ص ١٣.

* أبو البخترى وهب بن وهب القرشي ت ٢٠٠، قاضي القضاة وولاه الرشيد قضاء عسكر المهدي، ثم عزله وولاه قضاء المدينة بعد بكار بن عبدالله الزبيري، وجعل إليه مع القضاء صلاتها وحرابها^(١)، وهو من نبلاء الرجال المشهورين بالكرم، والسخاء، إلا أنه متروك الحديث، وكان له علم بالفقه، والأخبار، والأنساب، وألف في عدد من العلوم منها النسب والمغازي^(٢)، ومن كتبه: كتاب الرايات، كتاب طسم وجديس، وكتاب صفة النبي ﷺ، وكتاب فضائل الأنصار، كتاب الفضائل الكبير، كتاب نسب ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ويحتوى على قطعة من الأحاديث والقصص^(٣).

* محمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧، العلامة الإمام أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه^(٤). وهو إمام في المغازي والسير، ولكنه متروك في علم الحديث، قال عنه إبراهيم الحربي: «الواقدي كان أعلم الناس بأمر الإسلام»^(٥)، أي تاريخ صدر الإسلام، قال عنه تلميذه وكاتبه محمد بن سعد: «كان عالماً بالمغازي، والسيرة، والفتوح، وباختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه، وقد فسر ذلك في كتب استخراجها وألفها وحدث بها»^(٦).

(١) ابن سعد، الطبقات ٧/٣٣٢.

(٢) الذهبي، السير ٩/٣٧٤.

(٣) النديم، الفهرست ص ١١٣.

(٤) الذهبي، السير ٩/٤٥٤.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٥/٣، يؤيد ذلك كثرة كتبه عن هذه الفترة.

(٦) الطبقات ٥/٤٢٥.

ووصفه الذهبي بأنه: «جمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي، وأيام الصحابة، وأخبارهم»^(١).

ومما قاله عنه الذهبي أيضاً: «والواقدي -، وإن كان لا نزاع في ضعفه - فهو صادق اللسان، كبير القدر»^(٢).

وتميز الواقدي في كتبه بأمر عدة منها:

التقصي في الأخبار، ومحاولة الوصول إلى أكبر قدر من المعلومات عن الحادثة الواحدة.

ذكر من كان لهم إسهام في معركة أو غزوة من بذل وعطاء أو مشورة ورأي، أو موقف بطولي ويذكر الأسرى، والقتلى من الكفار، ويرتبهم حسب القبائل، كما أنه ذكر كل من شارك في بدر من المسلمين إظهاراً لفضلهم.

إيراد الآيات التي نزلت حول الغزوات، وتفسيرها، وقد فاق ابن إسحاق بوصف المعارك وتتبع الحوادث الجانبية مما جعل ابن كثير يصف كتاباته بأنه: «عنده زيادات حسنة وتاريخاً محرر غالباً فهو من أئمة هذا الشأن الكبار»^(٣).

خلاصة القول عن الواقدي أنه: «إمام يحتاج إليه في الغزوات،

(١) السير ٩/٤٥٤.

(٢) المصدر السابق ٧/١٤٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية ٣/٢٣٤، في سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، السلمي، منهج كتابة التاريخ ص ٣٥٩.

والتاريخ»^(١)، والذي يظهر من كلام النقاد في الواقدي قبول رواياته في الأخبار، والسير، ولكن لا يعارض بها الروايات الصحيحة^(٢). ووزنه الذهبي في ميزان فقال: «كان إلى حفظه المنتهى في الأخبار والسير والمغازي، والحوادث، وأيام الناس، والفقهاء، وغير ذلك»^(٣)، وكان الإمام أحمد ينظر في كتب الواقدي كثيراً^(٤)، وكان الواقدي يدرس المغازي لطلابه، وقد كتب غزوة في عشرين جزءاً أو مائة جزء^(٥).

وله من المؤلفات:

- ١- كتاب التاريخ والمغازي والمبعث. ٢- كتاب أخبار مكة. ٣- كتاب الطبقات^(٦). ٤- كتاب فتوح الشام. ٥- كتاب فتوح العراق. ٦- كتاب الجمل. ٧- كتاب مقتل الحسين. ٨- السيرة. ٩- أزواج النبي ﷺ. ١٠- الردة والدار^(٧). ١١- حروب الأوس والخزرج. ١٢- صفين. ١٣- وفاة النبي ﷺ. ١٤- أمر الحبشة والفيل. ١٥- المناكح. ١٦- السقيفة وبيعة أبي بكر. ١٧- ذكر القرآن. ١٨- سيرة أبي بكر ووفاته. ١٩- مراعى قريش، والأنصار في

(١) الذهبي، السير ٩/٤٦٩.

(٢) محمد السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٣٥٦.

(٣) الميزان ٣/٣٦٣.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد ٧/٣.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ٧/٣.

(٦) والواقدي هو أول من صنف في هذا العلم المهم.

(٧) لعلها كتابين. الردة، ويوم الدر. انظر د. عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣١.

القطائع، ووضع الدواوين، وتصنيف القبائل، ومراتبها، وأنسابها. ٢٠-
 الترغيب في علم القرآن، وغلط الرجال. ٢١- مولد الحسن والحسين ومقتل
 الحسين. ٢٢- ضرب الدنانير، والدرهم. ٢٣- تاريخ الفقهاء. ٢٤- الآداب.
 ٢٥- التاريخ الكبير. ٢٦- غلط الحديث. ٢٧- السنة والجماعة، وذم الهوى،
 وترك الخوارج في الفتن. ٢٨- الاختلاف^(١).

وعندما انتقل الواقدي من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد،
 حمل كتبه على عشرين ومائة وقر، وكان له ستمائة قمطر كتب^(٢)، وطبع من
 كتبه كتاب المغازي فقط، ونسب له عدد من الكتب المطبوعة، كفتوح الشام
 والردة، وفتوح إفريقية، وفتوح البهنسا، ويدل على عدم صحة نسبة هذه
 الكتب إليه، أن أسلوب هذه الكتب يختلف عن أسلوب الواقدي في المغازي،
 وطريقة التأليف، والرواة المذكورين^(٣).

* وممن كانت لهم مشاركات في التاريخ والمغازي والسير، القاسم بن
 محمد بن أبي بكر ت ١٠٧، الذي نقل عنه الطبري، والبلاذري، والواقدي^(٤)،

(١) النديم، الفهرست ص ١١١.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٥/٣. والوقر: حمل البغل والحمار. الرازي، مختار الصحاح ص ٢٤٠،
 والقمطر: ما يسان فيه الكتب. الرازي، مختار الصحاح ص ٢٢٦.

(٣) أيد عدم نسبة هذه الكتب إلى الواقدي عدد من الباحثين منهم: بروكلان، تاريخ الأدب العربي
 ١٧/٣، مارسدن، مقدمة مغازي الواقدي ١٦/١، الزركلي، الأعلام ٦/٣١١، د. شاعر مصطفى،

التاريخ العربي والمؤرخون ١/١٦٤، محمد السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٣٥٧.

(٤) المغازي ٢/٧٢٠.

نصوصاً حول المغازي، وأخبار الخلفاء. مما جعل الدكتور شاكر مصطفى يقول عنه: «كتب في المغازي، وأخبار الخلفاء كتاباً، أو أكثر من كتاب»^(١).

* ووهب بن منبه ت ١١٤، جعله الدكتور شاكر مصطفى من مدرسة المدينة، له مغاز، نقل عنها ابن إسحاق، ومن بعده^(٢). ويعقوب بن عتبة بن المغيرة ت ١٢٨، أحد العلماء بالسيرة^(٣). ويزيد بن رومان ت ١٣٠، ألف في المغازي كتاباً وصل إلى الواقدي^(٤).

* وأبو الأسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل الأسدي ت ١٣١، روى له ابن حجر في الإصابة ٤٨ قطعة تقريباً من كتابه في المغازي، ونقل عنه ابن سعد، والبلاذري في الأنساب، والطبري^(٥). والوليد بن كثير ت ١٥١^(٦)، وعبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عثمان بن حنيف ت ١٦٢^(٧)، ومحمد بن صالح بن دينار التمار^(٨) وعبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن

(١) التاريخ العربي والمؤرخون ١/١٥٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا ١/٣٥٢، د. صالح أحمد العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٤م، عدد ١١ ص ١٢٧.

(٣) التاريخ العربي والمؤرخون ١/١٥٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٢٧٢، الذهبي، السير ٦/١٢٤.

(٥) د. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ١/١٥٧.

(٦) د. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ١/١٥٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٩٨، الذهبي، السير ٧/٦٣.

(٨) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٦٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٢٢٠.

مخرمة ت ١٧٠^(١)، من الأئمة المحدثين، ومن أبرز أصحاب المغازي، والأخبار^(٢).

وإبراهيم بن سعد ت ١٨٣^(٣)، وهؤلاء هم علماء التاريخ، والسير، والمغازي بمدينة المصطفى ﷺ في القرن الثاني الهجري.

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٤٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٥٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٥٧.

ب- النسب

علم النسب من العلوم الجليلة المهمة لكل أمة، وقد أهتم به المسلمون اهتماماً كبيراً. قال ابن حزم: «إن الله جعل جزءاً منه تعلمه لا يسع أحداً جهله، وجعل تعالى جزءاً يسيراً منه فضلاً تعلمه، يكون من جهله ناقص الدرجة في الفضل»^(١).

والغرض من هذا العلم: تعلم نسب النبي ﷺ، وأن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة^(٢)، وأن يعرف الإنسان أقاربه، ومحارمه. وهذا مهم لأنه يتعلق بعلم المواريث، والتركات^(٣). فهذا مما دفع علماء المسلمين إلى الاهتمام بعلم النسب، ودفعهم لتدوين الدواوين، مثل الجند، والعطاء حيث كان التوزيع في الجند حسب القبائل كما في حروب الردة مثلاً، وفتوح الشام والعراق. أما ديوان العطاء فكان على أساس القرابة من النبي ﷺ ثم السابقة في الإسلام^(٤).

واستمراراً لاهتمام النبي ﷺ والصحابة من بعد بالأنساب كأبي بكر وعمر

(١) علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١/ ١٤٠٣هـ ص ٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢.

(٣) محمد السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٢٧٨.

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٧٨.

وابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين. اهتم التابعون من أهل المدينة بهذا العلم، و من العلماء الذين اهتموا به:

* عبدالرحمن بن هرمز الأعرج ت ١١٧، وهو إمام في علوم عدة منها القراءات، والحديث، والنسب، وخاصة نسب قريش. قال عنه أبو النضر: «كان عبدالرحمن بن هرمز أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بأنساب قريش وأخبارها»^(١).

* محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري (٥٠-١٢٤) إمام في السنة، والفقه، والتاريخ، والسير، وكانت له مشاركة كبيرة في علم الأنساب. ذكر يعقوب بن سفيان أنه لم يكن للزهري كتاب، إلا كتابا فيه نسب قومه^(٢). وكان هذا الكتاب في خزانة كتبه، وقد أخرجه ليونس بن يزيد عندما قال له: «أخرج إلى كتبك. فقال: يا جارية هات ذاك السفت. قال: فجاءت بسفت فإذا فيه شيء من نسب قومه، وشعر»^(٣)، وهذا الخبر يوضح أن الزهري كان لا يكتب في بداية أمره، ولم يكن له كتاب يحتفظ به إلا كتاب النسب هذا. وما يدل على تبخره في علم الأنساب مع تبخره في علوم أخرى قول

(١) النديم، الفهرست ص ٤٥، الذهبي، السير ٥/ ٧٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩١، د. بكر بن

عبدالله أبو زيد، طبقات النسابين، دار الرشد، الرياض، ط/ ١، ١٤٠٧هـ، ص ٢٩.

(٢) المعرفة والتاريخ ١/ ٦٤١، ابن أبي زرعة الدمشقي، التاريخ ١/ ٣٦٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق،

ترجمة الزهري ص ٨٦، مريم محمد خير الدرغ، حركة تدوين الأنساب في العصر العباسي الأول،

مجلة دراسات تاريخية، دمشق، حزيران ١٩٨٧م، عدد ٢٥-٢٦، ص ١٧١.

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/ ٦٤٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ٨٧.

الليث بن سعد: «ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علماً منه، لو سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب، قلت: لا يحسن غير هذا، فإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب أو الأعراب، والأنساب. قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعاً جامعاً»^(١) وقد وصفه ابن حزم بأنه من أعلم الناس بالأنساب^(٢).

* الضحاك بن عثمان بن الضحاك القرشي ت ١٨٠، الإخباري، نسابة قريش العالم بالشعر والشعراء، والعارف بأيام العرب وأيام قريش. كان من أصحاب مالك، وقد عينه الرشيد واليا على المدينة. فقدت كتبه ولكن وجد نقول عنها عند الواقدي، والطبري، وابن سعد وغيرهم^(٣).

* المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ت ١٨٠، فقيه نسابة، قال عنه الذهبي: «كان علامة بالنسب»^(٤).

* عامر بن صالح بن عبدالله بن عروة بن الزبير ت ١٨٢، كان متعدد

(١) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٢٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ١٠٦، الذهبي، السير ٥/٣٢٨، بكر أبو زيد، طبقات النسابين ص ٣٠.

(٢) جبهة أنساب العرب ص ٥.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٢٥١، فؤاد سزكين ١/١/٤٦، مريم الدرغ، حركة تدوين الأنساب ص ١٧١.

(٤) الذهبي، السير ٨/١٤٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/٢١٦، بكر أبو زيد، طبقات النسابين ص ٣٦.

العلوم ومنها النسب، والفقه، والحديث، وأيام العرب، وأشعارها^(١).

* عبدالعزيز بن عمران بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف الأعرج ت ١٩٧، كان محدثاً، واحترقت كتبه فغلط غلطا شديداً. وكان له معرفة بالأنساب، ووصفه ابن معين بأنه: «صاحب نسب»^(٢)، وله كتاب الأحلاف^(٣). ذكر ابن معين أنه رآه ببغداد يشتم الناس ويطعن في أحسابهم^(٤).

* وهب بن وهب أبو البختري ت ٢٠٠، كان من القضاة الفقهاء، ومن الإخباريين، وأصحاب النسب. ألف في الأنساب: نسب ولد إسماعيل، وطسم وجديس، وفضائل الأنصار^(٥).

ويمكن أن نعتبر تأليفه في الأنساب المرحلة الثانية بعد الزهري.

* محمد بن الحسن بن زباله ت ٢٠٠، من فقهاء المدينة، وإخباريها، وأصحاب النسب. له عدد من الكتب منها: كتاب الألقاب، ومثالب الأنساب^(٦). ولما ألف

(١) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١/ ٢٧٤، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ١٢٤، الخطيب، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٣٤، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/ ٧٢، بكر أبو زيد، طبقات النسابين ص ٣٦.

(٢) بكر أبو زيد، طبقات النسابين ص ٣٨.

(٣) النديم، الفهرست ص ١٢٠.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٥١.

(٥) النديم، الفهرست ص ١١٣، الذهبي، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٣، فؤاد سزكين، تاريخ التراث ١/ ٤٣١، بكر أبو زيد، طبقات النسابين ص ٣٩، مريم الدرغ، حركة تدوين الأنساب ص ١٧١.

(٦) النديم، الفهرست ص ١٢١.

كتابه الثاني جفاه أهل المدينة^(١). وله كتاب مطبوع بعنوان أزواج النبي ﷺ^(٢).
 * عبدالله بن محمد بن عمارة أبو محمد الأنصاري، عالم بالنسب إخباري.
 قال ابن فتحون: «كان من أعلم الناس بنسب الأنصار، وعليه عول العدوى
 في تصنيفه في أنساب الأنصار»، وقد ألف كتابا في نسب الأوس يرويه عنه
 مصعب الزبيري^(٣).

ومن اهتم بعلم النسب: محمد بن سعيد بن المسيب^(٤)، ومحمد بن إسحاق
 ت ١٥١^(٥)، وعيسى بن يزيد بن دأب الليثي ت ١٧٩^(٦)، وهشام بن عمارة بن
 الوليد بن عدي الأصغر الذي كان يعيش في العصر العباسي الأول^(٧)، وأبو بكر
 بن عبدالله بن أويس وقد أخذ منه ابن سعد^(٨). والزبير بن بكار المؤرخ المشهور^(٩).

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١٧/٩، السخاوي، التحفة اللطيفة ٥٥٧/٣، بكر أبو زيد، طبقات
 النسايين ص ٣٩.

(٢) حققه الدكتور أكرم العمري، ونشرته الجامعة الإسلامية بالمدينة.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٦٢/١٠، ابن حجر، لسان الميزان ٣٣٦/٣، السخاوي، التحفة اللطيفة
 ٤٠١/٢.

(٤) بكر أبو زيد، طبقات النسايين ص ٤١.

(٥) المرجع السابق ص ٣٣، د. سليمان العودة، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ص ٣٨.

(٦) بكر أبو زيد، طبقات النسايين ص ٣٥.

(٧) مصعب الزبيري، نسب قریش، ص ٢٠٣، د. محمد جاسم حمادي، موارد البلاذري في أنساب
 الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ط ١، ١٤٠٧، ٨٦/١.

(٨) د. الحمادي، موارد البلاذري ٨٦/١.

(٩) انظر حمد الجاسر، الزبير بن بكار، مجلة المنهل ٥٢٢-٦.

ج- الجغرافيا

يرجع اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا إلى أهميته في أكثر من جانب من جوانب الدين. كالصلاة وتحديد مواعيدها؛ من شروق، وزوال، وغروب. وفي تحديد مواعيد الصيام، والإفطار في رمضان. وبداية الشهور ونهايتها. ومواقيت الحج، ومن جانب آخر معرفة الطرق بين المدن، وخاصة طرق الحاج والبريد، وهي الطرق التي سلكها العلماء في رحلاتهم العلمية بين مدن وبلدان العالم الإسلامي. ولم تتضح معالم هذا العلم في القرن الثاني الهجري؛ إنما كانت بدايات أو علامات على الطريق قام عليها علم الجغرافيا عند المسلمين بعد ذلك.

ومن علماء المدينة الذين كان لهم إسهام في هذا العلم:

* أبان بن عثمان بن عفان ت ١٠٥، والذي كانت له معرفة بمواضع المدينة التاريخية، كمشاهد النبي ﷺ التي صلى فيها والأماكن التي أصيب فيها أصحابه في معركة أحد والخندق. وقد كان يتجول في مناطق المدينة ليدل من يأتي من كبار الزوار، وأمراء البيت الأموي، ويريد معرفة الأماكن ذات الصبغة التاريخية، ومنهم سليمان بن عبد الملك الذي قدم عام ٨٢ فكان أبان دليلاً، ويساعده ويعاونه أخوه عمرو بن عثمان بن عفان، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي أحمد، وقد ساروا مع سليمان ومروا في تجوالهم بأحد، وقباء، ومسجد الفضيخ^(١)، ومشربة أم إبراهيم،

(١) مسجد الفضيخ: بفتح الفاء. شرقي مسجد قباء على سفير الوادي على نشز من الأرض، وهو مسجد صغير، السمهودي، وفاء الوفا ٣/ ٨٢١.

وكان سليمان عند كل موضع يسألهم وهم يخبرونه عما حصل بهذا الموضع^(١).
 * أبو بكر الهذلي ت ١٥٩، وكان له خبرة، ومعرفة بمواضع، ومنازل، ومشاهد المدينة التاريخية، وهو بصري قدم المنصور. وفي المدينة قال الخليفة: «إني أحب أن أطوف الليلة في المدينة فانظروا لي رجلاً يعرف منازل أهل المدينة، ومساكنها، ورباعها، وأخبارها يكون معي فيعرفني ذلك». فقال أهل المدينة: «ما نعلم أحداً أعلم بذلك من أبي بكر»، فأمره بالحضور. وخرج المنصور على حمار يطوف معه في سكك المدينة^(٢).

* محمد بن الحسن بن زباله ت ١٩٩، من علماء التاريخ والأنساب بالمدينة. وكان له كتابة موسعة لم يسبق إليها عن خطط المدينة، واسمها، وحرمها، وخطط الأوس والخزرج، وطريق الهجرة، وفصل في مسجد الرسول ﷺ، وأصله، وذرعه، وعلاماته، وزخرفته، وتخليقه، والمنبر، والسواري، والمنائر، وتوسيعات المسجد زمن الخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين، وقبر الرسول ﷺ، وقبور الصحابة، والسقايات، والبلايع، والقناديل، والأبواب، والدور التي حوله، كما بحث أسواق المدينة، وسوق هشام، وطريق النبي ﷺ إلى مكة، ومساجده في الحجاز، والعقيق^(٣).

(١) الزبير بن بكار، الأخبار ص ٣٢٣، حمد الجاسر، مجلة العرب، سنة ٦، ص ١٤٦.

(٢) اليعموري، نور القبس ص ٤٣.

(٣) د. صالح أحمد العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ١١،

ومما سبق يظهر أن ابن زباله يهتم بالناحية الوصفية للأماكن، ويتوسع في ذلك، وقد اعتمد أغلب معلوماته، وحفظها لنا بعد فقد كتابه، السهمودي في وفاء الوفا.

واعتبره السهمودي أول من أرخ للمدينة^(١)، وكان أسلوبه دقيقاً مركزاً خالياً من اللغو والزخارف اللفظية، وكتابته بسيطة واضحة مفهومة^(٢).

* محمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧، أحد المؤرخين الكبار، وضع لبنات في البناء التاريخي الشامخ للأمة الإسلامية، وترك ثروة علمية ضخمة استفاد منها كل من كتب بعده في السيرة، والتاريخ، والمغازي، والفتوح. قال عنه مارسدن في مقدمة تحقيقه للمغازي: «كان يذكر تفاصيل جغرافية لموقع الغزوة أو الحادثة. وتعتبر هذه التفاصيل المرحلة الأولى في الأدب الجغرافي العربي، إن لم تكن اللبانات، والأسس التي بنى عليها كل من جاء بعده كابن سعد والبلاذري وغيرهم»^(٣).

ولم يكتف الواقدي بالمعلومات التي كان يتتبعها عند أهل العلم بها ممن قال عنهم: «ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة، وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم

(١) وفاء الوفا ٢/٣٥٢.

(٢) د. صالح العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ١١، ص ١٢٨.

(٣) الواقدي، المغازي ١/٣٢.

إلا سألته: هل سمعت أحداً يخبرك عن شَهْدَهْ وأين قُتِلَ؟ (بل يمضي إلى الموضوع): فإذا اعلمني مضيت إلى الموضوع فأعابنه، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضوع حتى أعابنه^(١).
وقد شاهده هارون القروي بمكة ومعه ركوة فقال: أين تريد؟ فقال الواقدي: «أريد أن أمضي إلى حنين حتى أرى الموضوع والواقعة»^(٢).
وهذا العمل يعطي دراساته ومؤلفاته عمقا وقوة مما جعل الذهبي يقول: «لا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم»^(٣). ومما سبق فإن الجغرافيا المذكورة لا تتعدى الجغرافيا التاريخية غالباً.

(١) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٣.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٣.

(٣) السير ٤٥٤/٩.

د- التربية والتعليم

التربية مهمة في حياة الأمة. ولا حياة لأمة إلا بالتعليم الذي يجعلها تكتفي في مصادرها الاقتصادية، وقوتها السياسية. والأمة تهتم بالتعليم متزامناً مع التربية فلا تعليم بدون تربية، وقد بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه من مكة إلى المدينة بعد بيعة العقبة معلماً وفقياً، ومربياً للأَنْصار على الإسلام، وكان مصعب رضي الله عنه يعلم الناس في بيوتهم، وأماكن تجمعهم. ثم هاجر رسول الله ﷺ وحصل ما يمكن أن يطلق عليه «ثورة التعليم»^(١)، التي أثمرت عدداً كبيراً من العلماء في مجالات كثيرة، متزامناً ذلك مع حركة الفتوح. وهذا لم يحصل لأمة من الأمم في التاريخ.

وكان رسول الله ﷺ يعلم الناس في المسجد، ويعايشهم في غزواته، ورحلاته، ويوجههم إلى ما فيه خير الدنيا، والآخرة.

وفي عهد الفاروق رضي الله عنه كان بالمدينة ثلاثة معلمين للصبيان، وكان لكل منهم خمسة عشر درهماً في كل شهر^(٢).

واستمر الوضع في تزايد مستمر بتعزيد القائمين على التعليم، وإن كان قد تأثر بالمواقع الحربية، والفتن الداخلية.

(١) انظر د. أكرم ضياء العمري، مقال بعنوان التعليم في عصر السيرة والراشدين، بالآلة الكاتبة لدي، ص ١٥.

(٢) انظر د. ملكة أبيض، التربية والتعليم من خلال تاريخ دمشق ص ٢٢٧.

وفي القرن الثاني من الهجرة وجدت الكتاتيب لتعليم الأطفال ومن المعلمين في هذه الكتاتيب:

صفوان بن سليم ت ١٣٢، وزيد بن أسلم ت ١٣٦^(١)، وعلقمة بن أبي علقمة الذي كان يعلم العربية، والنحو، والعروض^(٢).

وكان الحفظ وسيلة من وسائل التعليم وقد أكد عليه عدد من العلماء واعتبره أحد الصحابة من السنة^(٣). وحفظ الإمام الزهري القرآن الكريم في ثمانين^(٤)، يعتبر تأكيداً عملياً لهذا المبدأ، وهذا العمل يدل على مقدرته الفائقة في هذا المجال فهو يعتبر من الحفاظ الكبار.

وقد أعطى رحمه الله إشارات لمن يريد الحفظ قال: «إنما يذهب العلم النسيان، وترك المذاكرة»^(٥).

فترك المذاكرة، ومراجعة العلم؛ تنسى الطالب هذا العلم وتلك المسائل. وكان يراجع ويذاكر مع أمته التي قالت: «لا أفقه شيئاً مما تقول، فقال: أعلم ذلك ولكنني أردت أن أستذكر»^(٦).

وكان يكثر من شرب العسل، ويسمر عليه كما يسمر أهل الشراب على

(١) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ، ١/٤٢٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٤٢، ابن قتيبة، المعارف ص ٥٤٩.

(٣) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، انظر الخطيب، تقييد العلم ص ٣٨.

(٤) الذهبي، السير ٥/٣٣٢.

(٥) الذهبي، السير ٥/٣٣٧.

(٦) انظر الذهبي، السير ٥/٣٣٤.

الشراب، ولا يأكل التفاح لأنه يرى أنه ينسى^(١)، وقد عاتب الزهري الإمام مالك، واسترجع على قلة الحفظ حيث حفظ الإمام مالك أربعين حديثاً من مئة حديث عرضها عليه الزهري في مجلس واحد^(٢)، وكان الزهري يقول: «ما استفهمت عالماً قط»^(٣).

كل ما سبق يوضح أهمية الحفظ ولزومه لطالب العلم. وليس أدل على ذلك من إكبار العلماء وطلاب العلم للحفاظ في جميع العصور الإسلامية المختلفة، واعتبارهم ذلك منقبة للطالب أو العالم حيث يلقب بالحافظ. وحال جيلنا الحالي أنه حاول أن يفهم ويترك الحفظ فلا هو لحق بالسابقين، ولا هو ترك العلم واتجه إلى ميدان آخر فالله المستعان.

ومن القضايا التربوية التي مارسها الإمام الزهري: تنوع العلم وترويح النفوس بذلك. فبعد وقت من الزمن في مذاكرة علم الحديث كان يقول لطلابه: «هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم فإن الأذن مجاجة، وللنفس حمضة»^(٤). وهذا التنوع هو المعمول به في المدارس التربوية الحديثة.

وقضية مهمة قد يغفل عنها كثير من علماء التربية والممارسين للتربية من الآباء والمعلمين ألا وهي معايشة الطالب في كل شأن من شئونه والسؤال عن حاله،

(١) انظر الذهبي، السير ٥ / ٣٣٥.

(٢) الذهبي، السير ٥ / ٣٣٣.

(٣) الذهبي، السير ٥ / ٣٣٣.

(٤) الذهبي، السير ٥ / ٣٤١، انظر د. ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية،

دار ابن كثير، دمشق، دار التراث، المدينة النبوية، ط/٢، ١٤٠٥ هـ، ص ٧٥.

سأل الإمام محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب ت ١٥٩، عن أحد تلاميذه فقال زملاءه: لا ندرى، فقال: «أين منزله، قالوا: لا ندرى، فضجر عليهم، وقال: لأي شيء تصلحون، يجلس إليكم رجل لا تدرّون إذا اعتل لم تعودوه، وإن كانت له حاجة لم تعينوه»، ثم قام مع تلاميذه بعد أن عرفوا منزله وساروا يعودونه^(١). ويرى الزهري أن المعاشة تجعل الطالب يستفيد من أخلاق أستاذه^(٢).

ومن القضايا المهمة الإنفاق على طلاب العلم. وكان عمر بن عبدالعزيز يجري العطاء للعلماء، ويرسلهم إلى الأقاليم، والبادية لتعليم الناس. وكتب إلى الولاة يأمرهم بإجراء الرواتب على المعلمين لئلا يشغلهم شيء عن تعليم الناس^(٣).

وكان محمد بن المنكدر يطعم القراء^(٤)، أما الزهري فقد كان يطعم تلاميذه العسل ويسمر معهم عليه، وكان يطعم من يعلم من أهل البادية، وقد رآه عمه على ماء وقد نحر ناقه للناس. فقال له: «كرم سنة لا يساوي ذل ساعة، فقال: يا عم انزل فاطعم، وإلا فامضى راشداً»^(٥).

وكان ربيعة بن أبي عبدالرحمن ينفق على من يصحبه^(٦)، ترغيباً في العلم،

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤١٦.

(٢) د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٧٩.

(٣) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ١٣٧، د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٦٨.

(٤) الذهبي، السير ٣٥٦/٥.

(٥) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ترجمة الزهري ص ١٦٣.

(٦) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ٤٢٨/١.

وصحبة العلماء وهذا يدل على أن المال لم يكن في يد العالم إلا آلة لنشر العلم والخير حتى قيل إن الدراهم كانت عند الإمام الزهري بمنزلة البعر^(١)، من هوانها وإنفاقه لها على سبيل الخير.

ومن القضايا: ما كان يقوم به عبدالرحمن بن أبي الزنادت ١٧٤، حيث كان يعلم طلبته طريقة تعليم الجاهل، وأن الاستهزاء به خطأ تربوي كبير^(٢).

ومن القضايا احترام العلماء، والصبر على طلب العلم التي يعطينا فيها الإمام الزهري درسا عمليا استفاده من ابن عباس رضي الله عنهما^(٣).

ومن ذلك الخروج إلى الأعراب لتعليمهم وتفقيهم، وقد قام بذلك عدد من علماء المدينة منهم الإمام الزهري الذي كان يخرج لهم، وينفق عليهم، ويهديهم اللباس، والمال^(٤).

وكذلك كان يفعل عبدالله بن عبدالعزيز العمري ت ١٨٤، الذي كان يعلم الأعراب ضروريات الدين^(٥).

ومن قضايا التربية المستخلصة من ثنایا وصایا الخلفاء لمؤدبي أبناءهم. ما

(١) ابن عساکر، تاریخ دمشق، ترجمة الزهري ص ٩٦.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات ٤١٦/٥.

(٣) الدارمي، السنن ١/١١٥، ابن سعد، الطبقات ١٧٠.

(٤) ابن عساکر، تاریخ دمشق، ترجمة الزهري ص ١٦٣.

(٥) عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، التكميل بها في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق محمد ناصر الدين

الألباني، المكتب الإسلامي، ط/٢، ١٤٠٦هـ، ٦١١/٢.

قاله عمر بن عبدالعزيز لمؤدب أبنائه صالح بن كيسان المدني^(١):
«فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لأقدامهم، وترك الصحبة فإن عاداتها تكسب
الغفلة، وقلة الضحك فإن كثرت يميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من
أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه
بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج
بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء، ولعمري لتوقى ذلك، بترك
حضور تلك المواطن، أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه،
وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به، وليفتتح كل
غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت في قراءته فإذا فرغ تناول قوسه ونبله،
وخرج إلى الغرض حافياً، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف إلى القائلة»^(٢).

وقد وضع عمر رحمه الله في وصاياه أساساً لعدد من المسائل التربوية المهمة
منها: إبعاد الطالب عن اللهو والهزل، والضحك، وتجنبيه المعازف، والغناء لما
فيه من الخطر على القلب من النفاق، ووضع عمر رحمه الله منهجاً دراسياً يومياً
يبدأ بالقرآن الكريم، ويحاول المؤدب تثبيت الجزء الذي درسه التلميذ، ثم
يخرج به إلى مكان لتعلم الرمي، ويكون الطالب حافي القدمين لتعويده
الخشونة، فيرمي سبعة أسهم ثم ينصرف إلى القائلة وهو نوم ما قبل الظهر.
وكان الخلفاء يتقنون في اختيار مربي أبنائهم العلماء المشهود لهم بالصلاح

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/ ٢٣٣.

(٢) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٢٩٦، ابن الجوزي، تليس أبليس ص ٢٣٥.

والخير فعمر اختار صالح بن كيسان، وهشام بن عبد الملك اختار الإمام الزهري. ومن وصايا الإمام مالك التربوية: «أن يعلم المعلم تلاميذه الصلاة على الجنائز، والدعاء لهم، وأن يساوى بين الشريف والوضيع حتى لا يكون خائناً»^(١)، وكان يرى أن يُعلم الصبيان في مكان غير المسجد لأنهم لا يتحفظون من النجاسة^(٢).

ويرى الإمام مالك أن يبذل العلم للعامة والخاصة. فقال: «العلم إذا منع عن العامة لم تنتفع به الخاصة»^(٣).

وكان الإمام مالك يرى أن السكينة، والوقار، والبعد عن المزاح، والضحك من صفات طالب العلم^(٤).

وكان مالك يخيّر طلابه بين الحديث، والمسائل وهذا يقارب ما يسمى بنظام الساعات حيث يختار الطالب المادة المقررة^(٥). وكان يدخل طلابه ويدرسهم ثم يسمح للعامة بالدخول. ولعله يريد أن يخاطب كل طائفة بما تطيق من العلم^(٦).

(١) محمد بن سحنون، آداب المتعلمين، تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب، ط/٣، تونس ١٣٩٢هـ ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق ص ١١٤.

(٣) د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٩٣.

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/ ١٨٦.

(٥) انظر محمد أبو زهرة، الإمام مالك ص ٤١.

(٦) انظر محمد أبو زهرة، الإمام مالك ص ٤٢.

وكان مالك رحمه الله يجيب عن الفتاوى في المسائل الواقعية. قال لرجل سأله عن مسألة لم تقع: «سل عما يكون، ودع ما لا يكون»^(١). وكان يرى أن على طالب العلم أن يهتم بما ينتفع به، ولا يطلب الأغاليط والإكثار^(٢).

ومن المبادئ التربوية أخذ العلم من عند أهله قال مالك: «ربما جلس إلينا الشيخ جل نهاره ما نأخذ عنه ما بنا أن نتهمه ولكن لم يكن من أهل الحديث»^(٣).

وهذا دليل على التخصص، وأن للحديث أهلاً، وللفقه أهل، وللتاريخ، وللأخبار أهل.

وكان مالك - رحمه الله - يجمع بين التعليم والتربية، قال يحيى بن يحيى التميمي: «أقمت عند مالك بن أنس بعد كمال سماعي منه سنة أتعلم منه هيئته، وشمائله فإنها شمائل الصحابة، والتابعين»^(٤).

ومن أراء مالك التربوية أنه يرى أن للعلم مكاناً يؤخذ فيه ولا يلقي في الشارع أو السوق، قال عبدالرحمن بن مهدي: «مشيت مع مالك يوماً إلى العقيق من المسجد فسألته عن حديث فانتهرني فلما قعد مجلسه بعدت عنه

(١) انظر محمد أبو زهرة، الإمام مالك ص ٤٣.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك / ١ / ١٨٥.

(٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك / ١ / ١٢٣.

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك / ١ / ١٤١.

فقال: أدن مني هاهنا. فدنوت، فقال: قد ظننت أنا أدبناك تسألني عن حديث رسول الله ﷺ وأنا أمشي سل عما تريد هاهنا^(١).

وكان يرى أنه يجب على طالب العلم تعليم الناس لأن ذلك من أعمال البر^(٢).

ومن لهم آراء في التربية الإمام جعفر بن محمد الملقب بالصادق ت ١٤٨، الذي كان يرى وجوب لزوم الطالب لأستاذه لأن ذلك يكسبه أخلاقاً ووقاراً خاصة إذا كان أستاذه من أهل العلم^(٣).

ويقارب ما سبق ما كان يراه الإمام الزهري من المزج بين العلم والعمل لأن المعلم يجب أن يكون قدوة للتلميذ وأن لا يخالف قوله عمله^(٤).

ومن المبادئ التي قد يكون أول من قال بها الزهري التعزيز أي تكرار المتعلم الدرس، ومطالعتة حتى لا ينسى^(٥)، ومنها السؤال^(٦): سؤال العالم لأن العلم يتفجر بالسؤال أي أن يكثر التلاميذ من سؤال أستاذهم. ومنها التدرج في التعليم، قال الزهري ليونس بن يزيد: «يا يونس لا تكابر

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/ ١٦١.

(٢) انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/ ١٦٢.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ٣/ ١٩٥، د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٩٢.

(٤) د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٧٦.

(٥) د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٧٦.

(٦) د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٨٠.

العلم فإن العلم أودية، فأياها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي»^(١).

وآخر تلك القضايا التربوية الأسرية التي وجدت بالمدينة والتي فاق جيل التابعين وتابعيهم من خلفهم من الأجيال به، فبيت كبيت آل المنكدر، تهدي إلى المنكدر أم المؤمنين عائشة جارية. فيولد له محمد، وأبا بكر، وعمر. ويكون هذا البيت معروفًا بالعبادة، وبر الوالدين^(٢).

ومن حرص والدتهم عليهم أنها كانت تقول لمحمد: «لا تمزح مع الصبيان»^(٣).

العلوم العملية:

لم يكن للعلوم العملية وجود وانتشار كبير في الدولة الإسلامية كما كان للعلوم النابعة من الكتاب والسنة، وعن حياة العرب وآدابهم خاصة عند بدء الجهاد، والفتوح. فتأخرت هذه العلوم زمنًا حتى قامت دولة الإسلام في دمشق على أيدي بني أمية حيث كان للطب والصيدلية وغيرها من العلوم حاجة ولكنها لم تذكر بشكل موسع في المصادر، وبعد انتقال عاصمة الخلافة

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٣١. د. ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية ص ٧٥.

(٢) الذهبي، السير ٥/ ٣٥٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ١٨٩.

الإسلامية عن المدينة استمرت مدة من الزمن محافظة على قوتها العلمية في العلوم التي نشأت وازدهرت فيها.

أما العلوم العملية فلم يكن لها وجود بهذه المدينة، وقد رفضت إدخال العلوم في خطة البحث قبل عرضه في مجلس الدراسات العليا. إلا أن المشرف الفاضل أصر على بقاءه ضمن خطة البحث لعل شواهد هنا أو هناك تفيد وتثري الموضوع، وقد أعيدت الخطة. وكان من أهم أسباب إعادتها البحث عن شواهد تؤيد الموضوع، ومع كثرة ما نقتب وبحثت إلا أنني لم أجد إلا معلومات قليلة لا يمكن أن تبني فصلا كاملا يوازي، أو يقارب الفصول السابقة. ومع ذلك فهذه هي المعلومات التي توصلت إليها وكانت في أصلها فصل ثم أعدت الترتيب وحذفت منها ما رأيت بعد إشارة المناقشين الفاضلين أن لا علاقة له بالموضوع.

هـ - الرياضيات والفلك

لم يكن لعلوم الرياضيات والفلك وجود حقيقي بالمدينة في القرن الثاني الهجري إلا أن إشارات بوجود مؤلف للإمام مالك بن أنس بعنوان «النجوم ومدار الزمان ومنازل القمر»^(١)، ليوحي بأن للناس اهتمامات بالرياضيات والفلك، وقد أثير حول الكتاب زوبعة من الأسئلة عن صحة نسبته لمالك وعن مضمونه^(٢)، ولكن القاضي عياض أكد نسبة هذا الكتاب إلى مالك وعقب على ذلك بقوله: «بأنه روي بسند صحيح رواه كلهم ثقات، ووصفه بأنه كتاب جيد ومفيد جداً»^(٣)، وعندما أورده الإمام الذهبي قال عنه: «مشهور»^(٤).

ومعرفة الإمام مالك بذلك يدل على أن هذا العلم موجود وهناك من تخصص فيه ولكن للأسف لم تمدنا المصادر بأسماء هؤلاء العلماء وبمؤلفاتهم التي كتبوها.

* محمد بن عبدالرحمن بن أبي الزناد ت ١٧٤، عالم متعدد الفنون حتى قيل

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) عبدالكريم التواتي، بحث بعنوان المنهجية في مدرسة مالك، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف المغربية ط/ ١، ١٤٠٠هـ / ٢ / ٣٣٩.

(٣) ترتيب المدارك ١/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٤) الذهبي، السير ٨/ ٧٩.

إن في محمد خصالا لا يستغنى عن واحدة منهن، الخصلة منهن تكون في الرجل فيكون من الكملة.

ومن هذه العلوم التي كان يجيدها علم الفرائض وحساب القسم، قال الواقدي: «كان أعلم الناس بحساب القسم، والفرائض، وبحسابها، وبقسمها»^(١). ولا بد أن يكون هناك معلومات مبسطة في الحساب تعلم للتلاميذ في الكتابات ولكن لم تسعف المصادر التي رجعت إليها بشيء حول هذا الموضوع.

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/٤١٧.

و- الكيمياء

علم الكيمياء كسابقه من العلوم العملية لم يكن موجودا في المدينة آنذاك، إلا أن بعض الإشارات تدل أن الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الملقب بالإمام الصادق، كان له علم بهذا الجانب، حيث يذكر ابن خلكان أن: «له كلاما في صنعة الكيمياء، والزجر، والفأل»، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة^(١)، وإن كان الشك في هذه المعلومات يساور الباحث في هذه الفترة وخاصة أن أكثر من كتب عن جعفر الصادق ونسب له معرفة الكيمياء هم الرافضة وهم قوم لا يوثق بهم لجهلهم، وكذبهم^(٢).

ولأن المدينة لم تتوفر فيها الأدوات اللازمة لمثل هذا العلم إضافة إلى أن المعارف عليه أن من تعاطى الدنيا بالكيمياء أفلس^(٣).

وقد تحدث المستشرق روسكا عن هذا الموضوع وشكك في المعلومات التي تذكر اشتغال جعفر الصادق بالكيمياء وقال: «لم يكن ممكناً أن يصل إلى هؤلاء الناس الأتقياء أي علم بالكيمياء العملية أو النظرية، لاعتن طريق طبيعي بالاتصال الشخصي ولا عن طريق ما فوق الطبيعة بالوحي الخفي^(٤)!! فمن

(١) وفيات الأعيان ١/٣٢٧.

(٢) الذهبي، السير ٦/٢٥٥.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ١٤/٢٥٣.

(٤) ألم يعلم هذا المستشرق أن الوحي انقطع أو أنه خدع بكلام الشيعة الذين يعتقدون بعدم انقطاع الوحي!.

المستحيل على المرء أن يتصور إنساناً كجعفر عمل يوماً وبشكل ما بالقرن الكيميائي، والبوتقة، والقرعة، والأنبيق، والآثال، والكبريت، والزئبق، أو أن يتصور أنه علم تحويل المعادن لتلميذ من التلاميذ كجابر، وبهذا القرار المبدئي تتهاوى كل مساعي كتابة تاريخ الكيمياء السابقة في تأكيد الصلة بين جابر بن حيان، وجعفر الصادق وهكذا ينبغي أن ننظر إلى كل كتب جابر التي تتخذ من جعفر الصادق معلماً وأستاذاً، أن ننظر إليها زيوفاً من زيوف زمن متأخر^(١).

وقد رد سزكين على روسكا قائلاً: «إن نظرته غير موضوعية، وأن روسكا لم يستطع تقديم قرينة واحدة تثبت أن كتب جابر التي تتخذ من جعفر معلماً وأستاذاً كتب مزيفة، ويرى سزكين أنه لا مانع من أن جعفر نال في زمانه وفي محيط معارف الصنعة قدرًا من المعرفة بالكيمياء، وأن الترجمات كانت في ذلك الوقت من اللغات السريانية واليونانية والهندية، وأن الاشتغال بالكيمياء كان على أشده في القرن الثاني الهجري ولكنه مع ذلك يشكك في أصالة الكتب المنسوبة لجعفر^(٢).

مع انتقاد سزكين لروسكا فإني أجد أن سزكين لم يقدم دليلاً واضحاً على صحة نسبة علم الكيمياء إلى جعفر الصادق، وأرى أن كل ما نسب إلى جعفر الصادق في هذا العلم متأخر وهو حال الشيعة في نسبة كثير من العلوم لأئمتهم

(١) RUSKA, Arabische Alchemisten II, gafar alsādiq-derseeesteI mām, 1924

هايدل برغ نقلا عن فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، الجزء الرابع، طبع جامعة الملك سعود، ١٤٠١هـ، ترجمة عبدالله حجازي ص ١٩١.

(٢) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي ١١٩/٤، ٢٦٧/٣.

رفعا لشأنهم. ويوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: «والكذب على هؤلاء (آل البيت) في الرافضة أعظم الأمور، لاسيما جعفر بن محمد الصادق، فإنه ما كذب على أحد ما كذب عليه، حتى نسبوا إليه كتاب: الجفر، والبطاقة، والهفت، واختلاج الأعضاء، وجدول الهلال، وأحطام الرعود والبروق، ومنافع سور القرآن، وقراءة القرآن في المنام، حتى زعم بعضهم أن كتاب «رسائل إخوان الصفا» من كلامه، مع علم كل عاقل يفهمها ويعرف الإسلام أنها تناقض دين الإسلام»^(١).

وقد قوى اطمئناني إلى هذا الرأي مقالة عثرت عليها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق للأستاذ حسن السقا يعرف بكتاب للدكتور محمد يحيى الهاشمي بعنوان «الإمام الصادق ملهم الكيمياء» وقد قال حسن السقا: «ولما كنت قد قرأت النسخة الأولى بإمعان وتلا ذلك سفرات إلى مناهل العلم في القاهرة تمت خلالها مناقشات في هذا الموضوع بيني وبين د. عبد الحميد أحمد عضو جمعية تاريخ العلوم عند العرب، فقد تكونت لدي فكرة جيدة عن هذا الكتاب خرجت منها بأن كل ما ذكر عن علاقة الإمام جعفر الصادق بالكيمياء، وهم لا صحة له وأن الكتب التي نسبت إليه ألفت بعد وقت طويل من وفاة الإمام.

وأن جابر بن حيان نفسه لم يصرح بوضوح أنه ألهم الكيمياء من الإمام الصادق بل كل ما هنالك، إنَّ صحَّ وجود علاقة بينهما، الهامات روحية ودينية لا تمت للكيمياء بصلة ما»^(٢).

(١) منهاج السنة النبوية ٢/٤٦٤-٤٦٥.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد ٣٤، الجزء ٢، ص ٣٦٧، ٢٣ رمضان ١٣٧٨ هـ.

الفصل الخامس

العلاقات العلمية بين المدينة وبين غيرها
من المراكز العلمية المختلفة

ا. مكة المكرمة.

ب. العراق.

(الكوفة - البصرة - بغداد - واسط)

و. بلاد الشام.

ز. مصر.

ح. افريقية.

ط. الأندلس.

تمهيد

نشأت العلاقات العلمية من تلاقي العلماء، وأخذهم عن بعضهم البعض، ونقاشهم، وقراءتهم بعض الكتب سواء كان ذلك في المدينة أي عند قدوم عالم من العلماء إليها، أو عند رحلة عالم من علماء المدينة إلى أي مصر من أمصار العالم الإسلامي. إما لنشر العلم، أو للجهاد، أو للتجارة أو لغيرها. ومن أهمها الرحلة في طلب العلم، وقد بدأت الرحلة مبكرة في تاريخ العلم الإسلامي. حيث رحل بعض الصحابة من أمثال جابر بن عبدالله الذي رحل من الحجاز إلى الشام، وأبي أيوب الأنصاري، وكان بعضهم يقصد الحجاز لا لقصد الحج والزيارة فقط، ولكن لتحصيل العلم كما فعل أبو عثمان النهدي^(١)، الذي أراد مقابلة أبي هريرة فقال: «حججت ولم أكن أريد الحج إلا للقاءه في هذا الحديث»^(٢).

ثم كان ذلك دأب التابعين قال سعيد بن المسيب: «إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»^(٣).

(١) أبو عثمان النهدي: هو التابعي الجليل الزاهد من كبار التابعين، اسمه عبدالرحمن بن مل كان صواماً قواماً متعبداً، ت سنة ١٠٠. الذهبي، العبر ١/ ٩٠.

(٢) الخطيب، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٣٩٥ هـ ص ١٣٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/ ١٢٠، الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٩.

ويذكر أبو قلابة البصري أنه أقام بالمدينة ثلاثة أيام ماله حاجة إلا مقابلة شخص بلغه أن معه حديثاً فأراد سماعه منه^(١).

وكان للرحلات العلمية آثار كبيرة في التأكد من المعلومات ومعرفة حال الشيخ والعلو في الإسناد، أي أخذه من مصدره، ولمكانة المدينة في هذا الوقت رحل إليها كثير من طلاب العلم لكثرة من كان بها من العلماء الكبار كالزهري، ومحمد بن المنكدر، وابن عجلان، وزيد بن أسلم، ومالك، وابن الماجشون وغيرهم.

ومع ذلك فقد رحل كثير من علماء المدينة إلى الأمصار الإسلامية، ولم يكن الغالب على رحلاتهم طلب العلم لأنهم قد تزود به في المدينة النبوية، إنما كان لتولي القضاء أو لنشر العلم أو لغيرها من الأغراض الأخرى.

(١) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٤-١٤٥.

أ - مكة المكرمة

العلاقات بين مكة والمدينة علاقات وثيقة لقرب موقعها بالنسبة للمراكز العلمية الأخرى في العراق والشام، ولأن مكة مكان اجتماع سنوي في موسم الحج حرص كثير من العلماء على أداء هذه الشعيرة وتكرارها لنيل الأجر من الله، وللقاء عدد من العلماء في رحاب البيت العتيق، ومن ذهب إلى مكة والتقى بعلمائها من المدنيين.

* محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن المنكدر^(١)، وقد تلقى عن الزهري عدد من التلاميذ وطلاب العلم، منهم عمرو بن دينار الذي عاده الزهري في مرضه، وحاوره في مسائل علمية، فلما خرج الزهري قال عمرو: «ما رأيت شيخاً أنص للحديث الجيد من هذا الشيخ»^(٢)، ومن روى عنه من علماء مكة الكبار، عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعمرو بن شعيب، وأبو الزبير المكي^(٣).

وكان الزهري رحمه الله يتجول في كثير من البلاد ويجالس العلماء في مكة^(٤)، والشام فنشر علماً كثيراً في الناس.

(١) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ، ١ / ٢٧١.

(٢) الذهبي، السير، ٥ / ٣٠٤، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٨ / ٣٠.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩ / ٤٤٧.

(٤) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ، ١ / ٤٣٦.

وممن كان يتردد على مكة محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب ت ١٥٨^(١)، حيث جالس بعض العلماء، وأخذ عنهم، وكانت تدور بينهم مناقشات علمية. أما الإمام مالك وابن الماجشون فكان لهما مكانة مميزة في المدينة، ومكة، حتى قدم مالك وابن الماجشون على غيرهما من علماء مكة، وكان الصائغ يصيح معلنا في موسم الحج أن: لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس، وابن الماجشون، وذلك سنة ١٤٨ هـ^(٢)، وهذا الصائغ يعتبر ناطقا رسميا للدولة، وقد تبادل الإمام مالك مع علماء مكة المعلومات العلمية فقد أخذ الإمام مالك عن حميد بن قيس المكي، وابن جريج، وأخذ عنه سعيد بن منصور، وعبدالله بن رجاء المكي^(٣).

أما العلماء المكيون الذين وفدوا على المدينة فمنهم:

* عطاء بن أبي رباح ت ١١٤، الإمام شيخ الإسلام، مفتى الحرم، وقد برز وفاق نظراءه عندما قدم المدينة فعب من العلم، قال عمرو بن دينار ومجاهد: «لم يزل شأننا متشابها حتى خرج عطاء ابن بي رباح إلى المدينة فلما رجع إلينا استبان فضله علينا»^(٤) وهذا يدل على تفرد المدينة بكثير من السنن التي لا تتوفر حتى في أقرب المدن إليها، وقد تبادل المعلومات مع عدد من علماء المدينة منهم: أبو صالح السمان، والزهري، وابن إسحاق، وعبدالله

(١) الذهبي، السير ١٤١/٧، الذهبي، تاريخ الإسلام وفيات (١٤١-١٦٠ هـ) ص ٦٠١، ٦٠٣.

(٢) الذهبي، السير ٩٧/٨.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/٥-٦.

(٤) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٤٤٣، الذهبي، السير ٥/٨٢.

العمري، وجعفر بن محمد بن علي الصادق^(١).

* عمرو بن دينار ت ١٢٥، مفتى أهل مكة في زمانه، قدم المدينة ولكنه لم يسمع بها شيئاً حيث ألهاه قضم العجوة حسب قول سفيان بن عيينة عندما سئل عنه سفيان بن عيينة^(٢).

ومع ذلك فقد روى عن عدد من المدنيين منهم: سليمان بن يسار، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وعامر بن عبدالله بن الزبير، وعطاء بن يسار، وعكرمة، ومحمد ونافع ابني جبير بن مطعم، ومحمد بن علي بن الحسين، والزهري، وروى عنه جعفر ابن محمد الصادق، قال محمد بن علي الباقر: إنه ليزيدني في الحج رغبة لقاء عمرو بن دينار، فإنه يحبنا ويفيدنا^(٣). والإمام مالك^(٤)، فاستفاد من المدنيين كما استفاد منه المدنيون.

* صدقة بن يسار المكي ت في أول خلافة بني العباس، وكان يتردد على المدينة حيث كان يصلى بمكة الجمعة وبالمدينة الجمعة^(٥).

وكان يجلس عندما يقدم المدينة في حلقة نافع، وقد سمع منه الإمام مالك في هذه الحلقة^(٦)، وقد روى صدقة عن القاسم بن محمد، والزهري، وروى عنه

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٩٩/٧.

(٢) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ٥١٣/١.

(٣) الذهبي، السير ٣٠٣/٥.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٢٩/٨.

(٥) الفاسي، العقد الثمين ٣٧/٥.

(٦) المصعب الزبيري، نسب قريش ص ٣٦٢.

محمد بن إسحاق^(١).

* صالح بن محمد بن زائدة الليثي ت ١٤٥، ذهب من المدينة إلى البصرة ثم إلى مكة حيث التقى به المدنيون في مكة فعرفوا حاله واثنوا عليه وقالوا هذا خيارنا ومن زهادنا فحدث عنه بمكة^(٢)، وكان صاحب غزو وجهاد، فالتقى بالعالم المجاهد أبو إسحاق إبراهيم الفزاري رحمه الله وأخذ عنه^(٣).

* عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج المكي مولى الأمويين ت ١٥٠، كان شيخاً للحرم علامة حافظاً، قدم المدينة وأخذ عن زيد بن أسلم، والزهري، وإسحاق بن أبي طلحة، وصالح بن كيسان، وصفوان بن سليم، وعكرمة، ومحمد بن المنكدر، ونافع مولى بن عمر، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وجعفر بن محمد الصادق، وسهيل بن أبي صالح، وعبدالله بن أبي بكر بن حزم، ومحمد بن يوسف المدني، والمطلب بن عبدالله بن حنطب، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبيد الله بن عمر العمري، وروى عنه يحيى بن سعيد وهو من شيوخه^(٤).

وقد ذهب ابن جريج إلى هشام بن عروة فقال: «يا أبا المنذر الصحيفة التي أعطيتها لفلان هي حديثك، قال: نعم»^(٥) ورواية ابن جريج عن عدد من

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/٤١٩.

(٢) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٤٢٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/٤٠١.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/٤٠١.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٤٠٢.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٤٠٥.

المدنيين يدل على بقاءه مدة طويلة في مدينة رسول الله ﷺ وعلت مكانته في المدينة ولذلك خرج عدد من العلماء يشيعونه عند خروجه إلى مكة^(١).

* سفيان بن عيينة الهلالي (١٠٧-١٩٧) إمام كبير من حفاظ العصر، شيخ الإسلام وشيخ الحجاز^(٢)، قارب الإمام مالك في درجته حتى قال الشافعي: «لولا مالك لذهب علم الحجاز»^(٣) وقد سمع من عدد كبير من العلماء المدنيين عبر عنهم بقوله: «جالست خمسين شيخاً من أهل المدينة»^(٤) وكان كثير الرحلة، وقد ولد في الكوفة ثم رحل به والده وهو صغير إلى مكة فسكنها، ثم رحل إلى المدينة فأخذ عن مالك وأصحابه، والداروردي^(٥)، وفي مكة قابل سفيان الزهري في سنة ثلاث وعشرين ومائة وأخذ عنه^(٦)، وأخذ عن سعد بن إبراهيم قاضي المدينة^(٧)، وأثناء موسم الحج كان يحرص على لقاء العلماء وخاصة المدنيين، ومن لا يقابله في موسم الحج كان يرحل ليقابله بالمدينة، ومن التقى بهم من علماء المدينة: العلاء بن عبد الرحمن، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن عجلان، وموسى بن عقبة،

(١) السمهودي، وفا الوفاء ٣/٩٧٧.

(٢) الذهبي، السير ٨/٤٥٤، الذهبي، العبر ١/٢٥٠.

(٣) الذهبي، السير ٨/٤٥٧، الذهبي، العبر ١/٢٥١.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/١٦٢.

(٥) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/٥٧٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات ٥/٤٩٧، الفاسي، العقد الثمين ٤/٥٩٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات ٥/٤٩٧، الذهبي، السير ٨/٤٥٥.

ومحمد بن المنكدر، وسهيل بن أبي صالح، وصالح مولى التؤمة، وسالم بن أبي حفصة، وأبي حازم سلمة بن دينار الأعرج، وسمي مولى أبي صالح، وصفوان ابن سليم، وعبدالله بن أبي بكر بن حزم، وإبراهيم بن سعد وغيرهم^(١)، وكان رحمه الله يأخذ عن المدنيين ويأخذون عنه، وقد طال عمره حتى بلغ إحدى وتسعين عاما وحب ثمانين حجة رحمه الله^(٢).

* عبدالله بن الزبير الحميدي أبو بكر ت ٢١٩، إمام حافظ حجة لقب بعالم مكة صاحب المسند، قدم المدينة فسمع من عبدالعزيز بن محمد الداروردي فلامه بعض المدنيين، فأعذر بأنه قدم ليسلم على عبدالعزيز ويكتب عنه، ولكنه كان يقدم عبدالعزيز بن أبي حازم على عبدالعزيز الداروردي ويجعل ابن أبي حازم العمدة عند الاختلاف، فلما علم الداروردي برأيه قال: «ياقرشي قد بلغني رأيك وقد عزمت أن أخرج إليك كتبي وأصولي لتكتبها وأقرأها عليك» فأخرجها فإذا هي: «كتب صحاح وأحاديث مستقيمة»^(٣)، وقصد الداروردي بذلك أن يؤكد للحميدي أنه صاحب حديث وأن لديه الشيء الكثير من الصحيح، وأن يرد على الذين كانوا يشككون في حديثه، كما سمع الحميدي من إبراهيم بن سعد وغيره من علماء المدينة^(٤).

(١) الذهبي، السير ٨/٤٠١-٤٠٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/١١٧-١١٨.

(٢) الذهبي، السير ٨/٤٠٩، ٤١٧.

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٤٢٨.

(٤) الذهبي، السير ١٠/٦١٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/٢١٥.

* الإمام محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤، إمام حافظ فقيه صاحب المذهب المشهور عنه، أثنى عليه عدد من الأئمة كمالك وأحمد وغيرهما، رحل إلى المدينة وهو ابن نيف وعشرين سنة، ولازم مالك مدّة وأخذ عنه علماً كثيراً من ضمنه الموطأ^(١)، وسمع بالمدينة من إسماعيل بن جعفر، وإبراهيم ابن سعد، والداروردي، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، وأخذ عنه من المدنيين إبراهيم بن المنذر الحزامي^(٢)، ومن المكيين الذين كان لهم دور في العلاقات بين مكة والمدينة محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق المدني الذي تولى إمارة مكة لعمر بن عبدالعزيز^(٣)، وقد أخذ العلم عنه ابن جريج المكي، وعبدالرحمن ابن أبي بكر المليكي، وداود بن عبدالرحمن العطار، وكان رحمه الله يستشير ابن أبي نجيح عالم مكة وغيره من كبار علماء مكة^(٤).
وعبدالله بن عياش المخزومي المكي المدني^(٥)، وعبدالله بن كيسان المدني^(٦)، وعبدالله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبداالله ت ١٨٩، أمير مكة، وقاضي مكة والمدينة زمن الرشيد وهو من أهل المدينة^(٧).

(١) الذهبي، السير ٦/١٠-٧، الفاسي، العقد الثمين ١/٤١٨، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٥١٥.

(٢) الذهبي، السير ٧/١٠-٨.

(٣) الفاسي، العقد الثمين ٢/٣٥.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/٢٣٦-٢٣٧.

(٥) الفاسي، العقد الثمين ٥/٢٣٠.

(٦) المصدر السابق ٥/٢٤٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات ٥/٢٣٥، الفاسي، العقد الثمين ٥/٢٦٠.

ب - العراق

(الكوفة / البصرة / بغداد / واسط)

كان لمدن العراق مكانة علمية كبيرة في صدر الإسلام وكانت المنافسة بين مدن الحجاز وخاصة المدينة، ومدن العراق على أشدها حيث كان المدنيون يرون أنفسهم أهل الحديث ومنبعه الأصلي، حيث يتفردون عن غيرهم بغالب هذا العلم لكثرة حملته بالمدينة من الصحابة والتابعين، ولذلك كان المنصور، والمهدي، والرشيدي وهم سادات خلفاء بني العباس، يرجحون علماء الحجاز وقولهم على علماء العراق، كما كان خلفاء بني أمية يرجحون أهل الحجاز على علماء الشام^(١).

وقد رحل علماء العراق إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، وزيارة المسجد النبوي، ولقاء العلماء الحفاظ والأخذ عنهم، كما رحل كثير من المدنيين إلى العراق للقاء العلماء، ولتولى القضاء وغيرها من الوظائف الأخرى.

ومن توجه من المدينة إلى الكوفة أو من الكوفة إلى المدينة:

* أبو صالح السمان ذكوان بن عبدالله ت ١٠١، من علماء المدينة الكبار، حافظ للحديث حجة^(٢)، كان رحمه الله يتردد على الكوفة يجلب إليها السمن، والزيت، وإذا قدم نزل في بني كاهل فيكون إماماً لهم للصلاة^(٣).

وقد روى عنه من الكوفيين الحكم بن عتيبة، وسليمان بن مهران الملقب

(١) ابن تيمية، الفتاوى ٢٠/٣١٨.

(٢) الذهبي، السير ٥/٣٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٥/٣٠١، ٦/٢٢٦، الذهبي، السير ٥/٣٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٤٦.

بالأعمش، وعاصم بن أبي النجود^(١).

* موسى بن طلحة بن عبيدالله ت ١٠٣، من علماء المدينة وقد نزل الكوفة، وتحول عنها إلى البصرة أثناء فتنة المختار، وقد أخذ عنه الحديث من الكوفيين سماك بن حرب، وبيان بن بشر، وعبدالمالك بن عمير، وسعد بن طارق الأشجعي أبو مالك، وحكيم بن جبير، والحكم بن عتيبة وغيرهم^(٢).

* عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ت نيف وعشرة ومائة للهجرة، وقد تولى إمرة الكوفة لعمر بن عبدالعزيز فكان عادلاً، وهو ثقة في رواياته، روى عن مسلم بن يسار، ومقسم، وروى عنه زيد بن أبي أنيسة، وعبدالرحمن بن يزيد بن جارية^(٣).

* عبدالله بن ذكوان أبو الزناد (ت ١٣٠)، كان إماماً فقيهاً حافظاً مفتياً، ولى خراج العراق لعبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، وفي الكوفة اجتمع بحماد بن أبي سليمان فقيه الكوفة، وصارت بينهما صداقة فكانا يجتمعان ويتحدثان^(٤).

وقد سمع أبو الزناد من الشعبي^(٥)، وسمع منه شعيب بن أبي حمزة، وسفيان الثوري الذي قدم المدينة، وأخذ عنه بها وكان يسميه أمير المؤمنين في الحديث^(٦).

* عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف (ت ١٣٨)، تلقى العلم في المدينة، وصار

(١) المصادر السابقة.

(٢) الذهبي، السير ٣٦٤/٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣٥٠/١٠.

(٣) الذهبي، السير ١٤٩/٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ٣١٨، الذهبي، العبر ١١٦/١.

(٥) الذهبي، السير ٤٤٥/٥.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣١٧/٢.

أحد علمائها، ولكنه سكن الكوفة، ونشر علمه بها فكان مشايخه من المدنيين مثل: أبو أمامة بن سهل بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعكرمة وغيرهم. وتلاميذه من أهل الكوفة^(١)، كالثوري، وشريك، وهشيم بن سعد، وعلى بن مسهر، وعبدالله بن أبي نمير^(٢)، وزهير بن معاوية، وأبو خالد الأحمر، ويعلى بن عبيد^(٣).

* يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣)، أحد العلماء الكبار في الحجاز ويقارن بهالك، تولى القضاء على الحيرة، ثم قدم الكوفة، وأبو جعفر المنصور بالهاشمية فولاه القضاء على الهاشمية، وتلمذ عليه من أهل الكوفة يزيد بن هارون، وطلحة بن مصرف، والثوري، وزهير بن معاوية، وجعفر بن عون^(٤).

* عيسى بن أبي عيسى الحنات (ت ١٥١)، قدم الكوفة في تجارة له فلقبه عامر الشعبي فأخذ كل منهما عن صاحبه.

واختلف في أصل عيسى هل هو مدني نزل الكوفة، أو كوفي قدم المدينة، فابن معين، وابن حبان قالوا: «بأنه كوفي انتقل إلى المدينة»^(٥)، وابن سعد والعقيلي قالوا: «بأنه مدني قدم الكوفة»^(٦)، والأخير هو الراجح.

(١) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ٢٩٩.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ١٥٠.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/ ١١١.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ٦/ ١٤٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٢٢.

(٥) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٣٨٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ٤٢٥، ابن قتيبة، المعارف ص ٤٨٥، السخاوي، التحفة اللطيفة

روى عنه من أهل الكوفة ابن أبي فديك، ووكيع بن الجراح، وصفوان بن شعيب الملي، وعبيدالله بن موسى، وأبو خالد الأحمر^(١).

* محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١، إمام المغازي والسير، قدم الكوفة على المنصور فسمع منه الثوري، والحمادان، وزهير بن معاوية، ويزيد بن هارون، وسمع هو من عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي^(٢).

* الوليد بن كثير ت ١٥١، روى عنه من أهل الكوفة ابن أبي فديك، وعيسى بن يونس وغيرهم^(٣).

* صالح بن حسان النضري أدرك زمن المهدي، وقدم الكوفة من المدينة فسمع منه من أهل الكوفة الهيثم بن عدي، وأبو داود الحفري عمر بن سعد^(٤).

* وعثمان بن عبد الله بن موهب التيمي المدني الأعرج (ت ١٢٠) سكن العراق وروى عنه من الكوفيين أبو حنيفة، وشعبة، وسفيان الثوري، وإسرائيل وشيبان، والشعبي، وحران بن أبان، وقيس بن الربيع، وشريك بن عبدالله^(٥).

* وعبد الرحمن بن سليمان بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حنظله الغسيل (ت ١٧١) محدث فقيه قدم الكوفة وأقام بها فروى عنه وكيع بن الجراح،

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٢٤، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٣٨٦.

(٢) الذهبي، السير ٧/ ٣٤-٣٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ٣٩٨، الذهبي، السير ٧/ ٦٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ٤٥٠، الخطيب، تاريخ بغداد ٩/ ٣٠١.

(٥) الذهبي، السير ٥/ ١٨٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/ ١٣٢.

وجباره بن مغلس، ويحيى بن عبد الحميد الحماني^(١).

* ومجمع بن يحيى الذي نزل الكوفة فروى عنه أهلها^(٢)، والأغر أبو مسلم المدني نزل الكوفة وروى عنه الكوفيون^(٣)، وعون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهنلي الإمام القدوة (ت بضع عشرة ومائة) وهو أخو الفقيه المدني عبيدالله بن عبدالله. وكان عون من أدب أهل المدينة، وأفقههم. روى عنه محمد بن عجلان، والزهرى^(٤). فهؤلاء خمسة عشر عالماً من علماء المدينة اتصلوا بعلماء الكوفة وصار بينهم أخذ وعطاء وتباحث في المسائل العلمية، وتنمية لها وحل لمشاكلها. وهناك علماء آخرون من أهل المدينة لا يتسع المجال لاستقصائهم ممن كان لهم دور في التواصل والترابط الثقافي بين المدينتين العلميتين العريقتين.

ومن أهل الكوفة من قدم المدينة فنهل من معين العلم الصافي أمثال:

* عامر بن شراحيل الشعبي، (ت ١٠٤)، الحبر العلامة جمع بين عدد من العلوم ومنها التاريخ، أقام بالمدينة ثمانية أو عشرة أشهر خوفاً من المختار^(٥).

* الحكم بن عتيبة الكندي (ت ١١٥) الإمام الكبير عالم أهل الكوفة، قدم المدينة وأخذ عن بعض علمائها كعراك بن مالك، وأبي صالح السمان. وكان إذا قدم فرغت له سارية النبي ﷺ يصلي إليها^(٦). تقديراً من أهل المدينة لمكانة هذا

(١) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ٤٦٩، الذهبي، السير ٧/ ٣٢٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٦/ ٣٦٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٦/ ٢٤٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/ ٣١٩.

(٤) الذهبي، السير ٥/ ١٠٣-١٠٤، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/ ١٧٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات ٦/ ٢٤٨.

(٦) الذهبي، السير ٥/ ٢٠٨-٢١١.

العالم الجليل. مع أنه كوفي، وأهل الكوفة ينازعون أهل المدينة على الزعامة العلمية، وكان المدنيون يقدرّون من يرون فيه مؤهلات العالم الحق.

* سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٢٦) شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، وسيد العلماء العاملين في زمانه، وهو أحد المجتهدين. زار المدينة عدة مرات فتدارس مع علمائها الحديث والفقهاء. وكان ممن التقى بهم جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب الملقب بالصادق، وزيد بن أسلم، وأبو حازم سلمة بن دينار، وصالح مولى التوأمة، وصفوان بن سليم، والضحاك بن عثمان، وعبدالله ابن أبي بكر بن حزم، وعبدالله بن حسن بن حسن، وأبي الزناد، وعبدالرحمن بن القاسم، وابن إسحاق، ومحمد بن أبي بكر بن حزم، وابن أبي ذئب، ومحمد بن عجلان، ومحمد بن المنكدر، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسعد بن إبراهيم، وسهيل بن أبي صالح^(١).

وروى عنه من أهل المدينة ابن إسحاق، ومالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسليمان بن بلال^(٢)، ومن جبه للحجاز وارتياحه له قال: «رأيت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء»^(٣).

وكانت له منزلة في المدينة ومكانة لدى الإمام مالك الذي كان يعيب أهل العراق ومع ذلك يقول في سفيان: «كانت العراق تجيش علينا بالدراهم

(١) الذهبي، السير ٧/ ٢٣١-٢٣٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ١١٢.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/ ١٥١.

(٣) ابن سعد الطبقات ٧/ ٣٧١.

والثياب، ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان»^(١).

* أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠)، الإمام الفقيه صاحب المذهب المنسوب إليه. قدم المدينة وأخذ عن علمائها كأبي الزناد^(٢)، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج، وعكرمة، ونافع ومحمد بن علي بن الحسين^(٣)، والإمام مالك بن أنس، وقد تبادل مع أبي حنيفة النقاش حول عدد من المسائل الشرعية واثني كل منهما على صاحبه^(٤).

* عبدالله بن إدريس بن يزيد بن عبدالرحمن (ت ١٩٢)، إمام حافظ مقريء يقتدى به. ممن لقب بشيخ الإسلام.

حدث عن عدد من المدنيين منهم: هشام بن عروة، ومحمد بن عجلان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن إسحاق، وقرأ على نافع المدني القرآن وأخذ عن الإمام مالك. روى عنه الإمام مالك بعض الأحاديث. وكانت بينه وبين إمام دار الهجرة صداقة. حتى قيل أن كل ما يرويه مالك في الموطأ فيقول: «بلغني عن علي أنه سمعه من ابن إدريس»^(٥).

وبلغ من حبه لأهل المدينة ومعرفته لمكانتهم ومنزلتهم العلمية أنه كان يسلك

(١) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/١٦٤.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٨٦، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٣١٧.

(٣) الذهبي، مناقب الإمام أبي حنيفة، لجنة إحياء المعارف العثمانية، الهند، ١٤٠٨هـ، ص ١٩.

(٤) عبدالغني الدقر، مالك بن أنس، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٢هـ، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٦)

(٥) الذهبي، السير ٩/٤٣-٤٤.

في كثير من فتاواه ومسائله مسالك أهل المدينة مخالفاً بذلك أهل الكوفة^(١).

* أبو بكر بن عياش (ت ١٩٣)، مقرئ، فقيه، محدث، شيخ الإسلام.

قدم المدينة وحدث عن عدد من علمائها منهم هشام بن عروة، ومن قابل بالمدينة الحسن بن الحسن. وكان بينهما حوار علمي^(٢).

* زيد بن الحباب أبو الحسين العكلي (ت ٢٠٣)، إمام حافظ ثقة. تكلف الوصول إلى المدينة لسماع حديث من أحد علمائها. فقد كان جالسا عند سفيان الثوري بالكوفة فقال له رجل: «أنا خلفت أسامة^(٣) حيا بالمدينة. قال زيد: فركبت راحلتي وأتيت المدينة فلقيت أسامة»^(٤).

وقابل في رحلته هذه عددا من العلماء وأخذ عنهم مالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وعبدالعزیز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، وأسامة بن زيد بن أسلم، والضحاك بن عثمان^(٥).

* خالد بن مخلد القطواني (ت ٢١٣)، إمام محدث حافظ مكثر مغرب. رحل إلى المدينة وأخذ عن علمائها كمالك، وسليمان بن بلال، ونافع بن أبي نعيم^(٦). وغالب مروياته عن أهل المدينة^(٧).

(١) الذهبي، السير ٩/٤٣.

(٢) الذهبي، السير ٨/٤٣٥، ٤٤٠.

(٣) أسامة هو ابن زيد الليثي من كبار علماء المدينة ت ١٥٣ هـ. انظر السخاوي، التحفة اللطيفة ١/٢٨٧.

(٤) الخطيب، الرحلة في طلب الحديث ص ١٥٨.

(٥) الذهبي، السير ٩/٣٩٤، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣/٤٠٣.

(٦) الذهبي، السير ١٠/٢١٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات ٦/٤٠٦، الذهبي، السير ١٠/٢١٧.

البصرة:

رحل إليها عدد من المدنيين منهم:

* عمير بن إسحاق شقيق محمد بن إسحاق صاحب السيرة تحول من المدينة إلى البصرة بعد أن أخذ العلم عن المدنيين، وروى عنه أهل البصرة ولم يرو عنه المدنيون شيئاً لأنه تحول قبل أن يعرف بالعلم والحديث في المدينة^(١).

* أبو يزيد المدني نزل البصرة وهو كابن إسحاق أغلب من يروى عنه أهل البصرة مع أنه سمع الحديث في المدينة وتلمذ على علمائها^(٢).

* سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان (توفي في خلافة أبي جعفر المنصور). إمام محدث من الكبار، صادق، وكان والده يتردد على العراق لبيع السمن والزيت، وهو كذلك زار مدن العراق، فروى عنه أهل العراق من أهل البصرة وأهل الكوفة.

وقد أخذ عن البصريين ومنهم شعبة بن الحجاج، وروح بن القاسم. وأخذ عنه جرير بن حازم، وحماد بن زيد، ووهيب بن خالد، وإسماعيل بن عليّة^(٣).

* يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣)، إمام علامة مجود، رحل إلى العراق فتلمذ عليه عدد من علمائها منهم: شعبة، والحمادان، وابن عليّة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي^(٤).

(١) ابن سعد، الطبقات ٧/ ٢٢٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٧/ ٢٢٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٤٥، الذهبي، السير ٥/ ٤٥٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٣.

(٤) الذهبي، السير ٥/ ٤٦٨-٤٦٩.

قال يزيد بن زريع: «لما قدم يحيى بن سعيد الأنصاري، نزل على عبد الوهاب بن عبد المجيد، وكان يحيى لا يملي فكنا ندخل عليه، ومعنا ابن علي، وجماعة فنحفظ»^(١).
فيحيى قدم البصرة وسكن عند عبد الوهاب الثقفي وأخذ عنه عدد من طلاب العلم من البصريين والواردين عليها.

* هشام بن عروة بن الزبير (ت ١٤٥)، إمام محدث فقيه. رحل إلى العراق يطلب من أبي جعفر المنصور^(٢)، ووصل إلى البصرة فأخذ عنه علماءؤها ومنهم: أيوب السختياني^(٣).

* أبو رافع إسماعيل بن رافع المدني القاص (ت ١٥٠)، تعلم بالمدينة ثم رحل إلى البصرة فسكنها، وروى عنه أهلها. ولم يرو عنه المدنيون شيئاً لأنه انتقل إلى البصرة قبل أن يعرف ويشتهر^(٤).

أما علماء البصرة الذين قدموا المدينة فمنهم:

* أبو قلابة الجرمي عبدالله بن يزيد (ت ١٠٤)، الإمام شيخ الإسلام، أقام في المدينة ثلاثة أيام ينتظر عالماً، ولم يكن له حاجة غير أخذ حديث هذا الرجل^(٥).
* أيوب السختياني بن أبي بكر بن أبي تيممة كيسان العنزي (ت ١٣١)،

(١) الذهبي، السير ٥/٤٧٢.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى ٢٠/٢١٨.

(٣) الذهبي، السير ٦/١٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٣٩٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٧/١٢٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٢٥٨.

(٥) الدارمي، السنن ١/١١٤، ابن سعد، الطبقات ٧/١٨٤، الخطيب، الرحلة في طلب الحديث

ص ١٤٤-١٤٥، الذهبي، السير ٤/٤٦٨.

وصل المدينة وأخذ عن عدد من علماء المدينة وتبادل معهم النقاش حول بعض المسائل الفقهية، وأخذ عنهم بعض الأحاديث. ومن هؤلاء العلماء: القاسم بن محمد، وابنه عبدالرحمن بن القاسم، وعكرمة، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج، ويحيى بن سعيد الأنصاري.

قال حماد بن زيد: «قدم أيوب من المدينة، فقال: ما تركت بها أحداً أفقه من يحيى بن سعيد»^(١).

وقد روى عن أيوب من علماء المدينة: محمد بن شهاب الزهري، وابن إسحاق، والإمام مالك^(٢)، وسئل الإمام مالك: أنت تتكلم في حديث أهل العراق، وتروى مع هذا عن أيوب، فقال: «ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أوثق منه»^(٣).

* عبد الله بن عون بن أرطبان (ت ١٥١)، الإمام القدوة، عالم البصرة، رحل إلى الكوفة ودمشق ومكة والمدينة، وكان من أفضل علماء البصرة بعد الحسن البصري، وقد أخذ عن عدد من علماء المدينة منهم القاسم بن محمد، ونافع، وسالم بن عبدالله^(٤).

قال ابن عون: «لقيت ثلاثة كأنهم اجتمعوا فتواصوا: ابن سيرين بالبصرة، ورجاء بن حيوة بالشام، والقاسم بن محمد بالمدينة»^(٥).

(١) الذهبي، السير ٥/٤٧٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/٢٢٢.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٣٩٧.

(٣) الذهبي، السير ٦/١٥.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/٣٤٧.

(٥) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ٢/٦٧٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/٣٤٧.

* معمر بن راشد الأزدي نزيل اليمن (ت ١٥٤)، إمام حافظ شيخ الإسلام عاش مدة من الزمن تعلم فيها بالبصرة، ثم سكن اليمن وتلمذ عليه إمامها عبدالرزاق الصنعاني صاحب المصنف. وقد رحل معمر لطلب الحديث بالمدينة. وقال عن رحلته أنه كان مملوكا فأرسل إلى المدينة بتجارة، فرأى الزهري حوله طلبه العلم فعرض معمر ما معه من العلم عليه^(١).

قال حماد بن سلمة البصري: «لما رحل معمر إلى الزهري نبل، فكنا نسميه معمر الزهري»^(٢). ويظهر أن معمر أقدم إلى المدينة مرتين الأولى عندما كان مملوكا قدم من البصرة، والثانية عندما تحرر وقدم من اليمن. وقد تكون له رحلات أخرى. وقد روى معمر عن غير الزهري من علماء المدينة كزيد بن أسلم، وعبدالله بن أخي الزهري، ومحمد بن المنكدر^(٣).

* شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي (ت ١٦٠)، الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، عالم أهل البصرة وشيخها. مع كثرة العلماء في البصرة كأيوب والحسن البصري، ومحمد بن سيرين إلا أنه لم يكتف بذلك فرحل إلى الحج ولم يكن الدافع لذلك هو الحج؛ إنما كان قصده مقابلة عبدالله بن عطاء الطائفي، وعندما قابله أخبره ابن عطاء أنه سمع الحديث من سعد بن إبراهيم قاضي المدينة، وكان ذلك في حضور الإمام مالك فقال مالك لشعبة: «سعد بن

(١) الذهبي، السير ٦/٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ١٢١-١٤٠ ص ٢٤٨.

(٣) الذهبي، السير ٥/٧.

إبراهيم لم يحج هذا العام. فرحل شعبة إلى المدينة فلقي سعد بن إبراهيم^(١). وقد سمع في المدينة من عدد من العلماء وسمع منه بعض العلماء. فسمع من سعيد بن أبي سعيد المقبري، والزهري، وزيد بن علي بن الحسين^(٢)، وسمع منه إبراهيم بن سعد، وابن إسحاق، والزهري شيخه، وأبي معشر نجيح السندي^(٣). * وهيب بن خالد بن عجلان (ت ١٦٥)، الحافظ الكبير المجود. وهذا الإمام لم يقتصر على علم أهل البصرة؛ بل رحل إلى المدينة لمقابلة جمهرة من التابعين وتابعيهم.

وكان وهيب من أبصر البصريين في الحديث والرجال. قال عن رحلته: «قدمت المدينة فلم أر أحداً إلا وأنا أعرف وأنكر غير مالك، ويحيى بن سعيد»^(٤). وقد روى في رحلته عن عدد من العلماء المدنيين منهم جعفر بن محمد الصادق، وهشام بن عروة، وعبيدالله بن عمر العمري، وموسى بن عقبة، وسهيل بن أبي صالح، وأبي حازم سلمة ابن دينار^(٥). * أبو بكر الهذلي سلمى بن عبدالله بن سلمى ت ١٦٧، الإخباري، الذي كان من أعلم الناس بالأيام والأخبار^(٦). وقد قدم المدينة مع الخليفة أبي جعفر

(١) الخطيب، الرحلة في طلب الحديث ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٧/ ٢٠٥.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام وفيات (١٤١-١٦٠هـ) ص ٤٣٠، الذهبي، السير ٧/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٤) الذهبي، السير ٥/ ٤٧٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٢٣.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/ ١٦٩.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥.

المنصور وطلب أبو جعفر رجلاً يعرفه جغرافية المدينة ومواقعها التاريخية. فقال الناس: «لا نعلم أحداً أعلم بذلك من أبي بكر»^(١).

* جرير بن حازم الأزدي (ت ١٧٠)، إمام حافظ ثقة عمر دهنراً طويلاً فقابل عدداً من كبار التابعين كالحسن، وأبي رجاء العطاردي، وقيل أنه روى عن آخر الصحابة موتاً بمكة أبي الطفيل عامر بن واثلة ورأى جنازته^(٢).

ثم قدم المدينة^(٣) وروى عن عدد من علمائها ومنهم نافع مولى ابن عمر، وسالم بن عبدالله بن عمر، وزيد بن أسلم، وسهيل بن أبي صالح^(٤).

* عبدالرحمن بن مهدي (ت ١٩٨)، إمام ناقد مجود سيد حفاظ البصرة. وأحد أركان الحديث بالعراق^(٥).

قدم المدينة ولازم الإمام مالك مدة طويلة من الزمن. وقال عن ذلك: «لزمتم مالكا حتى ملني. فقلت يوماً: قد غبت عن أهلي هذه الغيبة الطويلة، ولا أعلم ما حدث بهم بعدى. قال: يا بني وأنا بالقرب من أهلي ولا أدري ما حدث بهم منذ خرجت»^(٦).

وكان طلبة العلم بالمدينة يعرفون لعبدالرحمن منزلته ومكانته فكان

(١) اليعموري، نور القبس ص ٤٠.

(٢) الذهبي، السير ٧/٩٨-٩٩.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٨/٢٣١.

(٤) الذهبي، السير ٧/٩٨-٩٩.

(٥) الذهبي، السير ٩/٢٠٠، الذهبي، العبر ١/٢٥٥.

(٦) الذهبي، السير ٩/٢٠٥.

بعضهم يأتي إليه في حلقة الإمام مالك ويكتب عنه الحديث^(١).
وقد تبوأ عبدالرحمن المكانة التي كانت لمالك بعد وفاة الأخير بين علماء ذلك
العصر. وكان رحمه الله يذهب بمذهب تابعي أهل المدينة، ويقتدي بطريقتهم^(٢).
والمقصود بمذهب أهل المدينة الالتزام بالحديث في الواقعة فإن لم يكن
هناك حديث لجأ إلى رأى أهل المدينة الرأى الممدوح، الذي أوصى به الإمام
أحمد رحمه الله حين سأله طلاب العلم: «إن لم يكن إلا الرأى فما العمل؟ قال
أحمد: إذا لم يكن إلا الرأى فرأى مالك»^(٣).

وقد اكتفى رحمه الله بالحديث عند تلقيه من علماء المدينة وندم على ذلك
عندما احتاج إلى توضيح وتفسير بعض الأحاديث فقال: «لو استقبلت من
أمري ما استدبرت لكتبت تفسير الحديث إلى جنبه، ولأتيت المدينة حتى انظر
في كتب قوم سمعت منهم»^(٤).

وقد أخذ عبدالرحمن الحديث عن مالك، وعبدالعزيز الماجشون، وهشام
بن سعد، وإبراهيم بن سعد^(٥).

بغداد:

تأسست بغداد في عهد أبي جعفر المنصور عام ١٤٥، وصارت عاصمة
للدولة العباسية فرحل إليها الناس من أمصار العالم الإسلامي، وقد رحل

(١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ١/٢٥٧.

(٢) علي بن المدني، العلل ص ٥١.

(٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ١/١٦، الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٢٤١.

(٤) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ١/٢٦٢، الذهبي، السير ٩/٢٠٢.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠، الذهبي، السير ٩/١٩٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٢٧٩.

إليها من المدنيين عدد كبير من علماء وشعراء وقادة وغيرهم. ولم يذكر عن أحد من علماء بغداد أنه رحل إلى المدينة سوى عدد قليل منهم محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة وهو كوفي سكن بغداد.

وقد قدم من المدينة إلى بغداد عدد من العلماء بعضهم بطلب من خلفاء بني العباس وخاصة أبا جعفر المنصور، ولحداثة مدينة بغداد فإن جميع علمائها من أهل الأمصار الأخرى من مدن العراق والشام وخرسان وغيرها.

ومن المدنيين الذين قدموا بغداد:

* جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٤٨)، الملقب بالإمام الصادق، قدم بغداد وعاش بها، وقابل الإمام أبا حنيفة. وسأله أبو حنيفة أربعين مسألة، فأجاب عنها بما أعجب أبا حنيفة^(١).

* وممن قدم بغداد محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب (ت ١٥٩)، وهو إمام فقيه لقب بشيخ الإسلام، أقدمه المهدي بغداد، وحدث بها. ثم عاد إلى المدينة فمات بالكوفة قبل أن يصل إلى المدينة^(٢).

سمع منه عدد من العلماء في بغداد، قال الحجاج الأعور: «كنت أجيء إلى ابن أبي ذئب ببغداد أعرض عليه ما سمعت منه لأصححه»^(٣).

وقد سمع ابن أبي ذئب من عدد من أهل العراق منهم يحيى بن القطان، وشبابة بن سوار، وأبي علي الحنفى، وأبي نعيم، وآدم بن إياس، وأحمد بن

(١) الذهبي، السير ٦/٢٥٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٢٠، الخطيب، تاريخ بغداد ٢/٢٩٦.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٢/٢٩٧.

يونس، وعاصم بن علي، وأسد بن موسى، وعلي بن الجعد^(١).

* عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون (ت ١٦٤)، إمام مفتي، كان المفتي في موسم الحج هو والإمام مالك. حيث كان الصائح يصيح عام ثمان وأربعين ومائة: لا يفتي إلا مالك وعبدالعزيز ابن أبي سلمة^(٢).

وعندما قدم المنصور المدينة طلب من ولي عهده أن يبحث له عن شخص يكون في صحابته المقربين منه، فوقع اختيار المهدي على عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون^(٣).

وأكثر أهل بغداد تلقى الحديث عنه حتى أخذوا عنه أكثر مما أخذ منه أهل المدينة، وقد يكون سبب قلة الرواية عنه بالمدينة أنه اتهم فيها بالقدر فتركه الإمام مالك، فكان ابن الماجشون يقول عن وضعه في بغداد: «جعلني أهل بغداد محدثاً»^(٤).

وقد روى عنه في بغداد عدد كبير من العلماء منهم إبراهيم بن طهمان، وزهير بن معاوية، ووكيع بن الجراح، وابن مهدي، وشبابة، وأبو داود، وأبو عامر العقدي، ويحيى بن حسان، وعمرو بن الهيثم أبو قطن، وهاشم بن القاسم، وحجين بن المثنى، وأسد بن موسى، وأحمد بن يونس، وحجاج بن منهال، وبشر بن الوليد الكندي، وعبدالله بن صالح الجهني، وعلي بن الجعد،

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات (١٤١-١٦٠هـ) ص ٦٠٠.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢٩/٣.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٤٣٧/١٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٤١٤/٥، ابن سعد، الطبقات ٣٢٣/٧، الخطيب، تاريخ بغداد ٤٣٨/١٠.

السخاوي، التحفة اللطيفة ٢٨/٣.

وغسان بن الربيع، وأبو سلمة التبوكي، وأبو الوليد الطيالسي وغيرهم^(١).

* نجيح بن عبدالرحمن السندي أبو معشر المدني (ت ١٧٠)، من الأئمة المحدثين، ومن أبرز أصحاب المغازي والأخبار، اصطحبه الخليفة المهدي معه إلى بغداد عام ١٦٠، وأمر له بألف دينار، وقال له: «تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا»^(٢).

وقد روى عنه في بغداد عدد من العلماء منهم: يزيد بن هارون، ومحمد بن عمر الواقدي، وإسحاق بن عيسى الطباع، ومحمد بن بكار بن الريان، وأبو نعيم، ومحمد بن جعفر الوركاني وغيرهم^(٣).

* عبدالملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم (ت ١٧٦)، قدم بغداد وتولى قضاء عسكر المهدي لأمر المؤمنين هارون الرشيد، وقد حدث ببغداد، قال سريح بن النعمان: «قدم علينا عبدالملك بن محمد بن أبي بكر بغداد فأقام بها، وكتبنا عنه المغازي»^(٤).

وعندما مات عبدالملك صلى عليه هارون الرشيد ودفن في مقبرة العباسية بنت المهدي^(٥). ومن روى عنه ببغداد، سريح بن النعمان الجوهري، وعبدالله بن صالح العجلي^(٦).

(١) الذهبي، السير ٧/٣١٠.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ١٣/٤٢٨، الذهبي، السير ٧/٤٣٩، الذهبي، العبر ١/١٩٩-٢٠٠.

(٣) الذهبي، السير ٧/٤٣٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/٤٢٠.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤٠٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٣٨٨.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٤١٠.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٣٨٨، السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٨٩.

* إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير (ت ١٨٠)، من أئمة المدينة الحفاظ الثقات، كان قارئ أهل المدينة بعد نافع بن أبي نعيم، وكان محدث المدينة بعد مالك بن أنس، اشتهر بخمسة مائة حديث سمعها منه الناس^(١).

انتقل في آخر عمره إلى بغداد، ونشر بها العلوم التي أتقنها كالقراءات، والحديث. ومن أخذ عنه علم القراءات: الإمام أبي الحسن الكسائي، وأبو عبيد، وسليمان بن داود الهاشمي، وأبو عمرو الدوري وآخرون.

ومن روى عنه الحديث قتيبة بن سعيد، وعلى بن حجر، ومحمد بن سليمان اليبكندي، وإبراهيم بن عبدالله الهروي، وداود بن عمر الضبي، ومحمد بن الصباح الدولابي، وعيسى بن سليمان الشيزري، وأبو همام الوليد بن شجاع السكوني، ومحمد بن زنبور، وسريح بن النعمان الجوهري، ومحمد بن جهضم، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأبو الربيع الزهراني، ويحيى بن أيوب العابد، وأبو معمر الهذلي^(٢).

* محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧)، الإمام العلامة صاحب الكتب والمصنفات العديدة في التاريخ والغازي، انتقل من المدينة إلى بغداد في محاولة لإصلاح وتحسين أوضاعه الاقتصادية، وكون ببغداد مكتبة كبيرة من طول مكثه بها، وقد نقل هذه المكتبة من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ببغداد^(٣).
وقد تولى القضاء لهارون الرشيد ببغداد في عسكر المهدي وبقي في عمله

(١) ابن سعد، الطبقات ٧/٣٢٧، الذهبي، العبر ١/٢١٢.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٦/٢١٩، الذهبي، السير ٨/٢٠٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٢٨٧.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٣/٤-٥.

أربع سنوات^(١).

وقد تتلمذ عليه ببغداد عدد كبير من طلاب العلم منهم كاتبه محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو حسان الحسن بن عثمان الزيادي، ومحمد بن شجاع الثلجي، وسليمان بن داود الشاذكوني، ومحمد بن يحيى الزيادي، وأحمد بن عبيد بن ناصح^(٢).

* وممن قدم بغداد من أهل المدينة وحدث بها عبدالرحمن بن أبي الزناد، (ت ١٧٤)^(٣)، وابنه محمد (ت ١٧٤)^(٤)، وأبو القاسم بن أبي الزناد^(٥)، وعثمان بن عبدالرحمن الوقاصي (توفي خلافة هارون الرشيد)^(٦)، ومحمد بن مطرف بن داود بن مطرف أبو غسان المدني (ت بضعا وستين ومائة)^(٧)، وحamad بن خالد أبو عبدالله الحنات^(٨)، وعبدالرحمن بن عبدالله العمري^(٩).

وقد قدم المدينة من علماء بغداد :

* محمد بن الحسن الشيباني ت ١٨٩، قاضي القضاة، فقيه العراق، صاحب

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/٤٢٥.

(٢) الذهبي، السير ٩/٤٥٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٧/٣٢٤، الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٢٢٨، الذهبي، السير ٨/١٥٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥/٤١٨، الخطيب، تاريخ بغداد ٢/٣٠٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات ٥/٤١٦، الخطيب، تاريخ بغداد ١٤/٣٩٨.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد ١١/٢٧٩.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد ٣/٢٩٦، الذهبي، السير ٧/٢٩٥.

(٨) الخطيب، تاريخ بغداد ٨/١٤٩.

(٩) الخطيب، تاريخ بغداد ١٠/٢٣١.

الإمام أبي حنيفة، تفقه على الإمام مالك وأقام عنده ثلاث سنين وزيادة، وسمع منه أكثر من سبعمائة حديث.

وعندما عاد إلى بغداد صار يحدث الناس عن مالك فيكثر الناس في حلقاته^(١).

واسط

واسط مدينة متوسطة بين الكوفة والبصرة، أنشأها الحجاج عام ٨٦، وسكنها الناس وممن سكنها من العلماء هشيم بن بشير، وشعبة بن الحجاج وغيرهم. وممن قدم واسط من أهل المدينة:

* سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف (ت ١٢٧)، من أئمة أهل المدينة وفقهائها، وقد تولى القضاء في المدينة ثم قدم واسط وحدث بها، وممن سمع منه بها شعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري^(٢).

وممن روى عن المدنيين من أهل واسط سفيان بن حسين بن حسن أبو محمد الواسطي الذي روى الحديث عن عبيدالله بن عمرو بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب^(٣)، وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي قابله في موسم الحج، وأخذ عنه مع العلماء وطلبة العلم الذين وفدوا في موسم الحج^(٤).

(١) الخطيب، تاريخ بغداد ٢/١٧٣-١٧٤، الذهبي، السير ٩/١٣٥.

(٢) بحشل (أسلم بن سهل الرزاز تاريخ واسط، عالم الكتب، بيروت، ط/١، تحقيق كوركيس عواد، ص ١١٠، ٥٠. ابن سعد، الطبقات القسم المتمم ص ٢٠٤، الذهبي، السير ٥/٤١٩.

(٣) بحشل، تاريخ واسط ص ١٣٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/١٠٧، ٧/٣٩.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/١٠٧.

و - بلاد الشام

انتقلت الخلافة الإسلامية في العصر الأموي من الكوفة بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى دمشق. ولم يكن لبلاد الشام قبل تحول الدولة إليها مكانة ثقافية تقارب ما كانت عليه مدن الحجاز ومدن العراق. وبدأت الشام تسلك طريق العلم وتشارك مشاركة واضحة مع أخواتها من أمصار العالم الإسلامي، وقد اتجهت إلى مراكز الثقافة المعاصرة لها ومن هذه المراكز المدينة النبوية.

وكانت بين مدن الشام وبين المدينة منذ الفتح الإسلامي علاقات علمية حيث وصل إلى بلاد الشام عدد من علماء الصحابة الكبار منهم عبدالرحمن بن عوف، وعبادة بن الصامت، والزيبر بن العوام، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب وغيرهم رضي الله عنهم، وكان كل منهم يحرص على نشر الإسلام وتعليم الناس، وإفادتهم وتوصيل أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الإسلام إلى أفهام وأفئدة الناس، وسار التابعون سيرة الصحابة الكرام في بث الوعي، ونشر العلم. وفي القرن الثاني نمت النهضة العلمية وزادت الصلات الثقافية حيث وصل إلى بلاد الشام عدد من علماء المدينة منهم:

* عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان (ت ١٢٠)، الإخباري، علامة المغازي، شيخ محمد بن إسحاق، قدم الشام في خلافة أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن عبدالعزيز في دين لزمه ففضاه عمر عنه، ثم أمره بالجلوس في مسجد دمشق ليحدث الناس بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومناقب أصحابه، فجلس

عاصم وامثثل أمر الخليفة، وقد حمل عمر على تخصيص هذا الموضوع: [أن بني مروان كانوا يكرهون الحديث في السيرة ومناقب الصحابة]^(١) فبعُد بالناس العهد فذكرهم عمر بذلك عندما أمر عاصماً أن يحدثهم في هذا الموضوع.

* محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤)، الإمام الفقيه المحدث المجدد المجتهد، كان يتردد بين الشام والحجاز مدة طويلة من الزمن عبر عنها بقوله: «اختلفت من الحجاز إلى الشام ومن الشام إلى الحجاز خمسا وأربعين سنة ما استطرفت حديثاً واحداً» وقال: «ما وجدت أحداً يفيدني في ترددي إلى الشام حديثاً»^(٢).

وكان الزهري عالم الشام والحجاز في حياته، وقد روى عنه عدد كبير من أهل الشام منهم عقيل بن أبي خالد، ومحمد بن الوليد الزبيدي، وعمرو بن الحارث، وجعفر بن برقان، وشعيب بن أبي حمزة، والأوزاعي، وسعيد بن عبدالعزيز، وصالح بن أبي الأخضر، وإسحاق بن يحيى الكلبي^(٣).

* عبدالله بن ذكوان أبو الزناد (ت ١٣٠)، من أئمة المدينة، وفقهائها، ومحدثيها وفد على هشام بن عبد الملك بحساب ديوان المدينة فجالس هشاماً مع ابن شهاب الزهري، واستقدمه الوليد بن يزيد مع جماعة من فقهاء المدينة ليستفتيه في نكاح زوجته أم سلمة التي طلقها ثم أراد مراجعتها فجمع العلماء واستفتاهم

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٢٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/ ٥٤.

(٢) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/ ٤٠٩.

(٣) الذهبي، السير ٥/ ٣٢٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٧.

في هذا الأمر، وقد روى عنه من أهل الشام شعيب بن أبي حمزة الحمصي^(١).
 * ربيعة بن أبي عبدالرحمن الملقب بريعة الرأي (ت ١٣٦)، إمام فقيه مفتى
 استقدمه الوليد بن يزيد مع فقهاء المدينة وأمره بأن يقيم عنده ليعلم ولده عثمان^(٢).
 * إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة (ت ١٤٤)، كان مع صالح بن علي العباسي
 بالشام فسمع منه الشاميون، ومنهم الوليد بن مسلم، وإسماعيل بن عياش^(٣).
 * صالح بن محمد بن زائدة المدني أبو واقد الليثي (ت ١٤٥)، عالم محدث
 صاحب غزو، قدم دمشق في طريقه إلى الغزو مع الوليد بن هشام وممن كان
 معهم في الجيش سالم بن عبدالله بن عمر، وعمر بن عبدالعزيز، وأخذ عنه من
 أهل الشام أبو إسحاق الفزاري^(٤).

* عبدالله بن زياد بن سليمان بن سمعان أبو عبدالرحمن القرشي المدني
 مولى أم سلمة، قدم دمشق وحدث بها، واستقضاه الوليد بن يزيد في عسكره،
 قال أحمد بن حنبل: «والشاميون أروى الناس عنه» وهذا يدل على طول بقائه

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، تحقيق د. شكري فيصل وسكينة الشهابي
 ومطاع الطرابيشي (تراجم عبدالله بن جابر، عبدالله بن زيد) ص ٢٦٤، ٢٧٤، ابن حجر، تهذيب
 التهذيب ٥/ ٢٠٤.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر، دمشق، ط/ ١، ١٤٠٥هـ، تحقيق مأمون صاغر جي
 ٢٨٣/ ٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٣٥٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/ ٢٤٠.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مخطوط مصور، تصوير وترتيب مكتبة الدار بالمدينة النبوية، ١٤٠٧هـ
 بعناية محمد الطرهوني ٨/ ٢١٤-٢١٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٠١.

عندهم، ومن روى عنه من أهل الشام يحيى بن حمزة، ومحمد بن شعيب، والهيثم بن حميد، والوليد بن مسلم، وكان له كتب يتداولها الدمشقيون، قال الوليد بن مسلم: «كنت في طريق مكة، ومعى كتاب ابن سمعان»^(١).

* إسحاق بن إبراهيم الحنيني أبو يعقوب المدني (ت ٢١٦)، نزل مدينة طرسوس^(٢)، من بلاد الشام، وقد روى عنه عدد من أهل الشام، منهم علي بن ميمون الرقى، وعلي بن زيد الفرائضي، ومحمد بن عوف الطائي، ومحمد بن الهيثم أبو الأحوص، وأحمد بن إسحاق الخشاب^(٣).

ومنهم يزيد بن عبدالله بن قسيط أبو عبدالله اللثي (ت ١٢٢)^(٤)، وصفوان بن سليم (ت ١٣٦)^(٥)، وزيد بن أسلم (ت ١٣٦)^(٦)، وسلمة بن دينار الأعرج (ت ١٤٠)^(٧)، ومن قدم المدينة من علماء الشام:

* مكحول الشامي (ت ١١٢)، الإمام الفقيه عالم أهل الشام، كان عبداً رقيقاً ثم أعتق بمصر، فتوجه إلى تحصيل العلم حيث بدأ بالمدينة ثم الشام،

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (تراجم عبدالله بن جابر، عبدالله بن زيد) ص ٥١٥-٥٣٤.

(٢) طرسوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، انظر القزويني (زكريا محمد بن محمود) اثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ٢١٩.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/ ١٩٤، السخاوي، التحفة اللطيفة ١/ ٢٨٨.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مخطوط مصور مكتبة الدار بالمدينة ١٨/ ٣٢٠.

(٥) ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٤٤٢.

(٦) المصدر السابق ٦/ ٤٣٣.

(٧) المصدر السابق ٦/ ٢١٦.

وعبر عن رحلته بقوله: «لم أَدع بها - المدينة - علما إلا حويت عليه»^(١).

وقد أخذ بالمدينة عن عدد من علمائها منهم محمود بن الربيع، وسعيد بن المسيب، وأخذ عن مكحول من علماء المدينة الزهري، وربيعه الرأي، وابن عجلان، وابن إسحاق^(٢).

* عقيل بن خالد بن عقيل الأيلي (ت ١٤١)، إمام حافظ ثبت، أتى المدينة وبقي بها حيث كان من شرطتها، فحدث عن علمائها ومنهم عكرمة، والقاسم بن محمد، ونافع مولى ابن عمر، وعراك بن مالك، وسالم بن عبدالله، وهشام بن عروة، وابن إسحاق، وكان بينه وبين الزهري علاقات أخوية وثيقة، وكان يجتمع مع الزهري بضیعة الزهري بأيلة فيكتب عنه^(٣).

* يونس بن يزيد بن أبي النجاد مشكان الأيلي (ت ١٥٢)، إمام محدث ثقة، كان من الملازمين لابن شهاب الزهري، كان يجتمع به في أيلة، ويصاحبه إذا سار إلى المدينة. وقد صحب الزهري اثنتي عشرة سنة أو أربع عشرة سنة. وأخذ عنه علما كثيرا، حتى صار أثبت من روى عنه.

وقد روى يونس عن بعض علماء المدينة كنافع مولى ابن عمر، والقاسم بن محمد، وعكرمة، وهشام بن عروة، وأبو ضمرة الليثي، وسليمان بن بلال^(٤).

(١) أبو زرعة الدمشقي، التاريخ ١/٣٢٨.

(٢) الذهبي، السير ٥/١٥٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/٢٩٠.

(٣) الذهبي، السير ٦/٣٠١-٣٠٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/٢٥٥.

(٤) الذهبي، السير ٦/٢٩٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/٤٥٠.

* عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي (ت ١٥٧)، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، له مذهب معروف بالشام والأندلس.

قدم المدينة وأخذ عن علمائها منهم: ابن شهاب الزهري، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، والمطلب بن عبدالله بن حنطب، ومحمد بن المنكدر، وعثمان بن سليمان بن أبي حثمة، وإسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، وعبدالرحمن بن القاسم بن محمد، وربيعة بن أبي عبدالرحمن، وممن روى عنه من أهل المدينة: الزهري، وابن أبي الزناد، وأبو ضمرة الليثي^(١).

وقد اجتمع الأوزاعي أثناء وجوده بالمدينة بإمامها مالك بن أنس زمنا طويلا ودار بينهما حوار علمي حول بعض مسائل العلم^(٢).

* شعيب بن أبي حمزة (ت ١٦٢)، إمام ثقة متقن حافظ، قدم المدينة وسمع بها من عبدالله بن عبدالرحمن أبو طولة، وزيد بن أسلم، وأبي الزناد، وابن المنكدر، ونافع، وهشام بن عروة، وسمع من الزهري، وكان يرافقه من الشام إلى مكة، وكانا يتدارسان القرآن في رحلتها^(٣).

* الوليد بن مسلم (ت ١٩٥)، إمام حافظ، عالم أهل الشام في زمانه، قدم المدينة وكان يحدث بها في مواسم الحج، وفي طريقه إلى مكة، ثم عند قدومه من مكة وهو في طريقه إلى الشام، قابل الإمام مالك واستشاره في قصر الصلاة في موسم

(١) الذهبي، السير ٧/ ١٠٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٨.

(٢) الذهبي، السير ٧/ ١٣٠.

(٣) الذهبي، السير ٧/ ١٨٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٥١.

الحج حيث دار نقاش طويل حول هذا الموضوع في هذه الحجة التي حجها الوليد بن مسلم. وقد روى الوليد الحديث عن ابن عجلان، وابن أبي ذئب وغيرهم^(١).

* يزيد بن أبي سمية أبو صخر الأيلي، كان يحج كل عام حيث يلتقي مع عدد من علماء المدينة فيتذاكرون العلم، ويذكر بعضهم بعضا في مسائل اليوم الآخر حتى ينتهي موسم الحج. ومن كان يلتقي بهم محمد بن المنكدر، ويزيد بن خصيفة، وسليمان بن سحيم، وأبي حازم. وكان عمر بن ذر الكوفي يتولى تذكيرهم بالآخرة ويقص عليهم^(٢).

وقد روى أبو صخر الأيلي عن عمر بن عبدالعزيز، وهشام بن إسماعيل، وأبي بكر بن عبدالرحمن، وروى عنه هشام بن سعد^(٣).

* طلحة بن عبدالملك الأيلي، من سكان أيلة في جنوب بلاد الشام، وقد قدم المدينة فروى عن القاسم بن محمد، والإمام مالك بن أنس^(٤).

* إسحاق بن عيسى بن نجيح أبو يعقوب المعروف بابن الطباع (ت ٢١٥)، قدم المدينة وروى عن مالك بن أنس، وشريك بن عبدالله المدني، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وأنس بن عياض أبو ضمرة الليثي^(٥).

(١) الفسوي، المعرفة والتاريخ ٤٢٢/٢، القاضي عياض، ترتيب المدارك ٤١٦/٢، الذهبي، السير ٢١١/٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/١٥١.

(٢) ابن سعد، الطبقات ٥٢٠/٧، الذهبي، السير ١٣٣/٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/٣٣٤.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١/٣٣٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٥١٩/٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٩/٥.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٤٢٠/٢.

ز- مصر

بدأت العلاقات بين المدينة ومدن مصر منذ الفتح الإسلامي بل منذ أرسل رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاملاً رسالة يدعو فيه إلى الإسلام، ثم فتحت مصر في عهد الفاروق وقدمها عدد من الصحابة منهم: عمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن الزبير وغيرهم من الصحابة وكبار التابعين، وكان قدومهم للجهاد ونشر الإسلام أو للتجارة والسكن يصاحب كل منهم حماس في نشر الإسلام وتعليم الناس.

ومن قدم مصر من أهل المدينة في القرن الثاني الهجري:

* بكير بن عبدالله بن الأشج (ت ١١٧)، إمام ثقة حافظ، كان يعد من أئمة الإسلام، وكان هو وابن شهاب، ويحيى بن سعيد الأنصاري أعلم أهل المدينة بعد كبار التابعين، قدم مصر ونزلها ويفهم من عبارة الواقدي أنه قدم للغزو، ثم أقام بها وأغلب الرواة عنه من علماء مصر، ومنهم يزيد بن أبي حبيب، وأيوب بن موسى، وبكر بن عمرو المعافري، والليث بن سعد، ويحيى بن أيوب، وعبدالله بن لهيعة^(١).

* نافع مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت ١١٧)، إمام مفت ثبت، عالم المدينة تتلمذ عليه عدد كبير من علماء المدينة وغيرها من الأمصار الإسلامية وقد بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى مصر ليعلمهم السنن، وقد أقام نافع بمصر

(١) الذهبي، السير ٦/ ١٧٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/ ٤٣١، السيوطي، حسن المحاضرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط/ ١، ١٣٨٧هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٢٩٨.

مدة من الزمن.

وسمع منه من علماء مصر يزيد بن أبي حبيب، والليث بن سعد^(١).

* سليم بن جبير أبو يونس الدوسي مولى أبي هريرة (ت ١٢٣)، تابعي من أهل المدينة سكن مصر وروى عنه من أهلها عمرو بن حريث، وحرملة بن أبي عمران، وحيوة بن شريح، والليث بن سعد، وعبدالله بن لهيعة^(٢).

* سعيد بن أبي هلال أبو العلاء الليثي (٧٠-١٣٥) إمام حافظ فقيه، نشأ بالمدينة وتعلم بها، ثم انتقل إلى مصر في خلافة هشام بن عبدالمك (١٠٥-١٢٥). وقد روى عنه من علماء مصر خالد بن يزيد المصري، وعمرو بن حريث، والليث بن سعد، ويحيى بن أيوب، ويزيد بن أبي حبيب^(٣).

أما العلماء المصريين الذين قدموا المدينة وحرصوا على الاستزادة من العلم

فيها فمنهم:

* يزيد بن أبي حبيب (٥١-١٢٨) فقيه مصر وشيخها ومفتيها، وهو إمام حجة، كان أحد العلماء العاملين، وله تأثير كبير في نشر العلم وتوسيع دائرته حيث كان الناس في مصر يكتفون بالترغيب والترهيب والملاحم والفتن، فنشر فيهم مسائل الحلال والحرام أي المسائل الفقهية.

(١) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ١٤٤، الذهبي، السير ٩٥/٥-١٠١، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/٤١٣-٤١٤، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٢٩٧.

(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/١٩١-١٩٢.

(٣) الذهبي، السير ٦/٣٠٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/٩٥، السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/١٦١-١٦٢.

وقد روى عن عدد من علماء المدينة منهم: إبراهيم بن عبدالله بن حنين، وعراك بن مالك، وصفوان بن سليم، ومحمد بن عمرو بن حلحلة، ويعقوب بن عبدالله الأشج، والزهري، ونافع، وعيسى بن طلحة بن عبيدالله^(١).

* عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري (٩٠-١٤٨) عالم الديار المصرية ومفتيها، قدم مصر مؤدبا لأبناء صالح بن علي الهاشمي عم المنصور الذي قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بقرية بوصير في صعيد مصر، فبقى عمرو بمصر، وهو مدني.

ومن شيوخه المدنيين: ابن شهاب الزهري، ويزيد بن عبدالله بن قسيط، وزيد بن أسلم، وربيعة بن أبي عبدالرحمن، وسالم بن النضر، وعبدالرحمن بن القاسم بن محمد، وهشام بن عروة^(٢).

* عثمان بن الحكم الجذامي (ت ١٦٣)، من أصحاب مالك المشهورين، أول من أدخل علم مالك إلى مصر، ولم يأت مصر أنبل منه، روى عن مالك، وموسى بن عقبة، ويحيى بن سعيد^(٣).

* عبدالله بن لهيعة (٩٥-١٧٤) الإمام العلامة المحدث القاضي، كان محدث الديار المصرية مع الليث، لقي عددا من كبار علماء مصر والحرمين.

(١) الذهبي، السير ٣١/٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣١٨/١١، السيوطي، حسن المحاضرة ٢٩٩/١.

(٢) الذهبي، السير ٣٤٩/٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٤/٨، السيوطي، حسن المحاضرة ٣٠٠/١.

(٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٣٠٩/٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١١٠/٧، السيوطي، حسن المحاضرة ٣٠٢/١.

وقد سمع في المدينة من عبدالرحمن بن هرمز، وعكرمة مولى ابن عباس، وابن عجلان، ومحمد بن المنكدر، وبكير بن الأشج، وقد سمع من ابن لهيعة مالك بن أنس، وكان يسأل ركب مصر عنه وهل له نية في الحج، وكان قصد مالك السماع منه^(١).

* الليث بن سعد (٧٤-١٧٥) الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، عالم الديار المصرية في زمانه، كان ذا مكانة عالية في مصر تعلوا على القضاة والولاة حيث كانوا جميعاً تحت أوامره ويرجعون إلى رأيه ومشورته، قدم المدينة وحضر المجالس والحلقات العلمية فيها مثل مجلس ربيعة حيث عُرف فيه فضل الليث وعلمه من خلال النقاش العلمي الذي كان يدور مع طلاب العلم.

وقد روى عن عدد من العلماء المدنيين منهم: نافع، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأخيه عبد ربه، وابن عجلان، وهشام بن عروة، وسعيد المقبري، وأبي الزناد، وعبدالرحمن بن القاسم، وعبدالله بن عمر، ويزيد بن الهاد، وإبراهيم بن نشيط، وكثير بن فرقد، وصفوان بن سليم، وعبدالعزیز الماجشون، كما أخذ عنه العلم عدد من علماء المدينة منهم ابن عجلان، وهشام بن سعد، وهما من شيوخه، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد، وعبدالله بن نافع، وكان بينه وبين الإمام مالك مراسلات تحوى نقاشاً حول بعض المسائل العلمية^(٢).

(١) الذهبي، السير ٨/١٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/٣٧٣-٣٧٩.

(٢) الفسوي، المعرفة والتاريخ ١/٦٩٠، الذهبي، السير ٨/٢٢-١٤٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب

٨/٤٥٩-٤٦٢، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٣٠١.

* عبدالرحمن بن القاسم بن خالد العتقي (١٣٢-١٩١) عالم مصر ومفتيها في عصره رحل إلى المدينة اثنتي عشرة مرة، وقابل الإمام مالك في كل مرة وأخذ عنه عدداً من المسائل العلمية وكان يرافقه في رحلاته عبدالله بن وهب بن مسلم وإن كان صحب مالكا أكثر من ابن وهب، وقد فرع على أصول مالك، ويعتبر أكثر تلاميذ مالك إحاطة بعلمه^(١).

* عبدالله بن وهب بن مسلم مولى قريش (١٢٥-١٩٧) الإمام الفقيه، المحدث، الحافظ شيخ الإسلام، قدم المدينة أكثر من مرة، وبلغت حجاته ستاً وثلاثين حجة، وكان يقسم وقته ثلاثة أقسام فقسم في الرباط، وقسم يعلم الناس بمصر، وقسم يحج فيه. وقد لازم الإمام مالك حتى توفي، وأخذ عنه علماً كثيراً. وكان مالك يعظمه ويكتب إليه بصيغة لم يكتبها لغيره، حيث كان يكتب: «إلى عبدالله بن وهب فقيه مصر، وإلى أبي محمد المفتي» ولم يكتب لأحد بالفقيه غيره^(٢).

وقد لقي عدداً كبيراً من العلماء بلغ عددهم حسب قوله: ثلاثمائة وستين عالماً، منهم من أهل المدينة: أسامة بن زيد الليثي، وعبدالله بن زياد بن سمعان، وسلمة بن وردان، والضحاك بن عثمان وغيرهم^(٣).

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء العلماء فقط بل كان هناك غيرهم ساهموا في

(١) الذهبي، السير ٩/١٢٠-١٢٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٢٥٣، السيوطي، حسن المحاضرة ٣٠٣/١.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢/٤٢٢.

(٣) الذهبي، السير ٩/٢٢٣-٢٣٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٧١-٧٤.

العلاقات العلمية واثراء الحياة الثقافية في البلدين ومنهم:

* حميد بن زياد أبو صخر المدني^(١)، وإسماعيل بن مسلمة بن قعنب القعنبي^(٢)، وعبدالرحمن ابن عطاء القرشي (ت ١٤٣)^(٣)، ويعقوب بن مجاهد المدني (ت ١٤٩)^(٤).

* ومن أهل مصر طليب بن كامل اللخمي (ت ١٧٣)^(٥)، وسعيد بن عبدالله بن أسعد المعافري (ت ١٧٣)^(٦)، وأشهب بن عبدالعزيز العامري (١٤٥-٢٠٤)^(٧)، وإسحاق بن الفرات أبو نعيم التجيبي (ت ٢٠٤)^(٨)، وعبدالله بن عبدالحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصري (١٥٥-٢١٥)^(٩)، ومحمد بن عاصم بن حفص المصري (ت ٢١٥)^(١٠)، وأصبغ بن الفرغ بن سعيد بن نافع الأموي (ت ٢٢٥)^(١١).

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤١/٣، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٢٧٣.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٣٣٥، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٢٨٧.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٢٣١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٠٧.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢/٣١٤، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٣٠٢.

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة ١/٤٤٦.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٣٥٩-٣٦٠، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٢٠٥.

(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٢٤٦، السيوطي، حسن المحاضرة ١/٣٠٥.

(٩) السيوطي، حسن المحاضرة ١/٣٠٥.

(١٠) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٢٤٠-٢٤٢، ٩/٢٤٠.

(١١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/٣٦١.

ج - أفريقية

بعث عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى أفريقية وغيرها^(١) من أمصار العالم الإسلامي من يفقه الناس ويعلمهم دينهم تحقيقاً للمهمة الأساسية للولاية حسب القول المأثور عن جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ألا وإني والله لم أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وستتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي»^(٢).

فقد أرسل عمر بن عبدالعزيز إلى أفريقية عشرة من التابعين من أهل العلم والفضل وأمرهم ببذل الجهد في تعليم الناس وترسيخ مبادئ الإسلام في النفوس^(٣)، وهذه البعثة تؤكد أن كل بلد إسلامي محتاج إلى البلد الآخر لمعرفة ما عنده وإكمال نواحي النقص بين البلاد الإسلامية من جميع النواحي، وخاصة نواحي العلم والمعرفة والزيارات العلمية والرحلات الخاصة بطلب العلم تزيد العالم قوة ومتانة، ويختلط بعدد من العلماء في مجالات علمية متعددة. ومن علماء أفريقية الذين وصلوا إلى ذروة التاج العلمي الإسلامي في

(١) انظر ابن الجوزي، مناقب عمر بن عبدالعزيز ص ٩٢.

(٢) انظر ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، تحقيق أسامة الرفاعي، ط ١٣٩٤ هـ ص ١١٤.

(٣) لمزيد من المعلومات حول هذه البعثة انظر: أبو بكر المالكي، رياض النفوس، تحقيق د. عمر البكوش ط/ دار الغرب، بيروت، ١٤٠٣ هـ ١/٩٩-١١٨، وابن عذاري، البيان المغرب ١/٤٥، وابن خلدون، العبر ٤/٤٠٣، ٦/٢٢٠. وللدكتور محمد زيتون عدد من المقالات حول هذه البعثة في مجلة الهدى النبوي الليبية عام ١٩٧٠ م.

القرن الثاني الهجري طيبة الطيبة:

* خالد بن أبي عمران التجيبي (ت ١٢٥)، الإمام القدوة، أبو محمد التونسي، قاضي أفريقية، قدم المدينة وأخذ العلم بها عن عروة بن الزبير، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر.

ويعتبر خالد بن أبي عمران فقيه أهل المغرب في زمانه^(١).

* عبدالله بن فروخ (ت ١٧٦)، كان على صلة بالإمام مالك حيث كاتب مالكا في مسائل علمية، وأجابه الإمام مالك بكتاب^(٢).

* البهلول بن راشد (ت ١٨٣)، إمام أهل المغرب في وقته، روى عن الإمام مالك^(٣).

* عبدالله بن غانم (ت ١٩٠)، قاضي أفريقية، قدم الحجاز فسمع من مالك واعتمد في فتواه وقضائه على مذهب الإمام مالك. وكان يرجئ أمر المتخاصمين في بعض القضايا ويرسل إلى الإمام مالك ويتنظر الجواب منه. وقد روى عن القعنبي، وابن القاسم، وعثمان بن الضحاك^(٤).

وممن قدم المدينة وسمع من الإمام وغيره صقلاب بن زياد الهمداني

(١) الذهبي، السير ٥/٣٧٨.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢/٣٣٩-٣٤٧.

(٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢/٣٣٠.

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢/٣١٦، د. محمد محمد زيتون، العلاقات الثقافية بين القيروان وبين مراكز الفكر في المشرق حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد الأول، ١٣٩٧هـ، ص ٣٦٩.

(ت١٩٣)، وأسد بن الفرات، وزكريا بن يحيى بن سلام، وعلي بن يونس الليثي، وحماد بن عبد الملك قاضي أفريقية، وعنيسة بن خارجة الغافقي، وحاتم بن عثمان المعافري، وعبد الله بن أبي غسان، ويزيد بن محمد الجمحي (ت٢١٢)، وعمر بن الحكم اللخمي، وزكريا بن محمد بن الحكم اللخمي^(١).

(١) د. محمد محمد زيتون، العلاقات الثقافية بين القيروان وبين مراكز الفكر في المشرق، مجلة كلية العلوم الإجتماعية بالرياض، العدد الأول، ص٣٦٩.

ط - الأندلس

وصل التأثير العلمي للمدينة إلى أقصى المغرب الإسلامي حيث وصل الأندلس عن طريق العلماء الذين قدموا المدينة من الأندلس والشمال الأفريقي، ومصر فسمعوا العلم من المدنيين أو من تلاميذهم في مصر والمغرب. وكان منهم من يتوجه إلى المدينة في رحلة الحج أو رحلة علمية إلى مراكز الإشعاع الثقافي في ذلك الوقت. ومن قدم المدينة من أهل الأندلس:

* معاوية بن صالح الحضرمي (ت ١٥٨)، قاضي الأندلس، ومن الأئمة الحفاظ. وقد حج حجة واحدة سنة ١٥٤، فسمع منه أهل المدينة، وأهل العراق، وأهل مصر. ومن سمع منه من المدنيين محمد بن عمر الواقدي، ومعن بن عيسى، وحماد بن خالد الخياط^(١)، وزيايد بن عبدالرحمن بن زيايد بن عبدالرحمن بن زهير اللخمي (شبطون) (ت ١٩٣)، الإمام الفقيه، مفتي الأندلس، سمع بالمدينة من مالك، وسليمان بن بلال، وأبي معشر السندي^(٢).

* ومن قدم المدينة الغازي بن قيس (ت ١٩٩)، القارئ، شيخ الأندلس وإمامها، أخذ الحديث عن ابن أبي ذئب، والإمام مالك بن أنس، ونافع بن أبي

(١) ابن سعد، الطبقات ٧/ ٥٢١، الذهبي، السير ٧/ ١٦١.

(٢) الذهبي، السير ٩/ ٣١١، سعد بن عبدالله البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، رسالة ماجستير من قسم التاريخ بجامعة أم القرى بمكة ١٤٠٢ هـ، ص ٣٣.

نعيم، ويعتبر الغازي بن قيس أول من أدخل قراءة نافع وموطأ مالك إلى الأندلس^(١).

* وممن ارتحل إلى المدينة يحيى بن يحيى بن كثير الليثي (١٥٢-٢٣٤)، فقيه الأندلس أتى المدينة أواخر أيام الإمام مالك، فسمع منه الموطأ سوى بعض الأبواب الفقهية، وقد رجع يحيى بن يحيى إلى الأندلس بعلم جم وصار له مكانة عالية في الأندلس، وكان يفتى بها برأي مالك^(٢).

(١) الذهبي، السير ٩/٣٢٢-٣٢٣، سعد البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ص ٣٣.
(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢/٥٣٤، الذهبي، السير ١٠/٥١٩، سعد البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ص ٣٤-٣٥.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، والصّلاة والسّلام على خاتم أنبيائه
معلم البشرية الخير.

وبعد:

فقد بينت الدراسة جوانب الحياة العلمية بالمدينة النبوية دراسة تاريخية
وضحت ما كانت تتمتع به طيبة الطيبة من ازدهار علمي لم تشهده من قبل
وقد خرجت من هذه الدراسة بنتائج أرجوا أن أنتفع بها وينتفع بها كل مطلع
على هذا البحث حيث بين البحث العوامل المؤثرة في الحياة العلمية سياسياً
واقتصادياً واجتماعياً.

وقد أثبت البحث أنّ الحركات السياسية التي قام بها أهل الحجاز لم يكن
القصد منها إعادة السلطة السياسية إلى الحجاز فقط. وإنّما كان هدفها الأساسي
إعادة الأمة إلى الشورى وإزالة المظالم التي ظهرت في العصرين الأموي
والعباسي.

في الجانب الاقتصادي بينت أنّ الترف والغني وتدفق الأموال لم يكن هو
السائد؛ وإنما كان هناك فقر وشح وحاجة أدت إلى نزوح بعض السكان إلى
الشام والعراق.

وفي الجانب الاجتماعي تبين أن المدينة كانت المدينة المثالية الواقعية
فالتكافل الاجتماعي والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ على يد

المنحرفين الذين يريدون إغراق المجتمع في الشهوات.

أثبت البحث عدم صحة ما شاع من انتشار الغناء والموسيقى التي بالغ البعض فيها حتى جعل الحجاز والمدينة أماكن للغناء والرقص والاختلاط.

صححت الرسالة المفهوم القائل إن انصراف أهل المدينة إلى العلم والعبادة كان أساساً منهم في الحياة السياسية والزعامة وأثبت مشاركة عدد كبير من المدنيين في السلطة السياسية سواء في العصر الأموي أو العصر العباسي حيث كان أغلب المقربين من الخلفاء من أهل الحجاز ومن المدينة كآل الزبير. أثبت البحث أن المدينة كانت مركزاً للسنّة، وكان أهل المدينة أقرب الناس إلى تمثيل الإسلام في صورته الصحيحة، ولا زالت أقوال الإمام مالك والزهري وربيعة تتردد في كتب الاعتقاد إلى اليوم.

لم يكن للبدع والانحرافات العقائدية ظهور في المدينة كما كانت في غيرها من المراكز العلمية في ذلك الوقت. وكان لعلماء المدينة دور كبير في محاربة هذه الانحرافات والرد عليها وتعزيز أهلها، فقد كان الإمام مالك يطرد أهل البدع من مجلسه ومن المدينة، وينهى عن مجالستهم. وبمقارنة نسبة الشيعة والقدرية والمرجئة في كتاب تهذيب التهذيب أثبت البحث قلة عدد المدنيين المتسبين إلى هذه الفرق وكثرة أتباعها من أهل العراق.

أشار البحث إلى ظهور التدوين بشكل واسع وبين أثره في إثراء الحياة العلمية، وزيادة عدد العلماء الذين استخدموا التدوين أكثر مما كان عليه في

نهاية القرن الأوّل. ووضح كيف كان طلبة العلم يتجولون بين الحلقات العلمية ويبحث كل منهم عن التخصص أو الفن الذي يميل إليه، ويحاول تحصيل العلم من هذه الحلقات من علوم الشريعة وغيرها.

بين البحث أن العلوم الشرعية كانت لها الأولوية على غيرها، وكان أغلب

طلبة العلم يقبلون عليها، ولذلك كثر عددهم؛ وصعب حصرهم.

أشار البحث إلى صعوبة وضع عالم من العلماء في هذه الفترة في تخصص

شرعي معين؛ حيث كان العالم يجيد الخوض في القراءات والحديث والتفسير

والفقه وغيره من العلوم بحيث شكل بعض العلماء موسوعة علمية متحركة

ومن هؤلاء العلماء الزهري ومالك وابن إسحاق وغيرهم.

بين البحث أن علم نقد الحديث بجناحيه نقد السند ونقد المتن بدأ مبكراً

وتطور خطوات كبيرة على يد علماء المدينة أمثال الزهري ومالك.

كانت المدينة ولا زالت من المدن العربية التي اشتهرت بشعرائها وخطبائها

وكتابها. وكان هناك كوكبة من الشعراء ذكرت نماذج من شعرهم كالأحوص،

وكثير عزة، وإبراهيم بن هرمة، والحسين بن مطير، وتميز شعرهم بالقوة

والجودة فاستشهد به أهل المعاجم والقواميس. كما ظهر بها عدد من الخطباء

الذين ردد الناس خطبهم واستمعوا لها وجعلها كتاب الأدب من الخطب التي

يضرب بها المثل كخطب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن عبدالعزيز، وزيد بن

علي بن الحسين الذي كانت خطبه أبلغ من السحر، وأبي حمزة الشاري الذي

يذكر دائماً في طليعة الخطباء المجيدين.

وكذلك القصاص الذين كانوا يذكرون الناس بالآخرة. ومنهم محمد بن كعب القرظي، وأبي حازم سلمة بن دينار.

كما أشار البحث إلى أبرز الكتابات الأدبية في المدينة. ومنها كتاب فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب إلى عمر بن عبدالعزيز تشكره على ما فعل من صلة آل البيت. وذكر الرسائل المتبادلة بين أبي جعفر المنصور والنفس الزكية محمد بن عبدالله بن حسن التي حوت أروع الحجج، ثم نقضها من قبل الخصم، ثم نقض النقض.

كان بالمدينة عدد من العلماء الرواة للغة والأنساب والأخبار والأمثال منهم عبدالله بن محمد بن عمارة القداح، وعيسى بن يزيد بن دأب الليثي، والضحَّاك بن عثمان. كما اهتم طلبة العلم بدراسة النحو؛ وإن كانت المدينة لم تبلغ شأؤ الكوفة والبصرة وبغداد في ذلك.

بين البحث دور المدينة في التاريخ والسير والمغازي حيث ظهر بها مبكراً مدرسة تاريخية متميزة منذ نهاية القرن الأول على يد الرواد أمثال عروة بن الزبير، وفي القرن الثاني كان أبان بن عثمان أول من دون السيرة ومن المؤرخين الكبار الإمام محمد بن شهاب الزهري، ومحمد بن إسحاق، وابن زبالة، والواقدي. وفي الأنساب استمر الاهتمام ونما وتطور حيث وضع علماء المدينة بعض المدونات في الأنساب ومنهم ابن شهاب الزهري، وعبدالعزيز بن عمران، وابن زبالة.

كما بين البحث مساهمة المدنيين في علم الجغرافيا بحث يمكن القول أن

أول من كتب عن خطط المدينة ووصفها محمد بن الحسن بن زباله حيث وضع كتابه سنة ١٩٩هـ. وكان للواقدي دور كبير واضح في كتاباته عن المغازي، وحروب الردة، ومعارك الشام والعراق. حيث تتبع مواقع المعارك، ووصفها وصفاً دقيقاً.

كما بين البحث الصلة الوثيقة بين العلم والتربية حيث كان المعلم مربياً؛ ولم يكن قصد العالم حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات فقط. إنما كان يتتبع أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ويلاحظ سلوكهم. وهو ما توصلت إليه الدراسات التربوية الحديثة، ولا يطبق إلا في نطاق ضيق.

أشار البحث إلى العلوم العلمية (البحثة) حيث تتبع الومضات الخافتة في المصادر حول هذه العلوم وإن كانت لم تصل إلى ما كانت عليه في المراكز العلمية الأخرى في العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

بين البحث العلاقات العلمية بين المدينة وغيرها من المراكز العلمية حيث قصد المدينة عدد من كبار العلماء لتبادل المعلومات. ونهلوا من نبعها الطيب؛ وخاصة العلوم الشرعية وممن قصدها الإمام الشافعي، وسفيان بن عيينة المكي، وسفيان الثوري الكوفي، وعبدالرحمن بن مهدي البصري، وأبي حنيفة الإمام الكوفي، والأوزاعي، والليث بن سعد، ويحيى بن يحيى الليثي الأندلسي. وغيرهم. وكانت المدينة تمثل مركز إشعاع ثقافي فكري. وكان خلفاء بني أمية وبني العباس يرجحون علماء أهل الحجاز على علماء الشام، وعلماء العراق. ولذلك حرص الشاميون والعراقيون على القدوم إلى المدينة.

وذهب عدد من علماء المدينة إلى الشام ومصر لتعليم الناس وبث الوعي الثقافي ونشر المعرفة.

وبذلك كانت المدينة منارة مشعة انطلقت منها المعارف الإسلامية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والله أعلم.

الملاحق

سبب اختيار الملاحق

جعلت الملاحق نماذج فيها قوائم لعلماء الحديث في المدينة النبوية، والشعراء. ثم خطبة بليغة لأبي بكر بن عبدالله الزبيري، ثم رسائل متبادلة بين الإمامين مالك بن أنس، والليث بن سعد رحمهما الله تعالى. وهناك قائمة للعلماء الذين رويت لهم آثار تدل على تحريمهم الغناء أو كراهته التحريمية.

وقد رأيت أهمية هذه القوائم فوضعتها ولعل في قوائم العلماء في علوم أخرى أهمية، ولكن هذا مبلغ علمي والله أعلم.

ملحق رقم (١)

علماء الحديث في المدينة خلال القرن الثاني الهجري

- أبو صالح السمان ت ١٠١هـ.
موسى بن طلحة بن عبيدالله ت ١٠٣هـ.
أبان بن عثمان بن عفان ت ١٠٥هـ.
أنس بن سيرين المدني ت ١١٨هـ.
سالم بن عبدالله العمري ت ١٠٦هـ.
سعيد بن أبي سعيد المقبري ت ١٢٠هـ.
سعيد بن يسار أبو الحباب المدني ت ١١٧هـ.
سليمان بن يسار المدني الفقيه ت ١٠٧هـ.
شرحبيل بن سعد ت ١٢٠هـ.
عامر بن سعد بن أبي وقاص ت ١٠٤هـ.
عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة أبو بكر المدني ت ١١٧هـ.
عبدالرحمن بن هرمز الأعرج ت ١١٧هـ.
عبيد بن حنين ت ١٠٥هـ.
عكرمة مولى بن عباس ت ١٠٧هـ.
علي بن عبدالله بن عباس ت ١١٨هـ.

- القاسم بن محمد التيمي ت ١٠٦هـ.
- محمد بن إبراهيم التيمي ت ١٢٠هـ.
- مصعب بن سعد بن أبي وقاص ت ١٠٣هـ.
- نافع مولى ابن عمر ت ١١٧هـ.
- أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ت ١٢٠هـ.
- إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة المدني ت ١٣٢هـ.
- بكير بن عبدالله بن الأشج ت ١٢٠هـ.
- زيد بن أسلم العمري ت ١٣٦هـ.
- سالم أبو النضر المدني ت ١٢٩هـ.
- سعد بن إبراهيم الزهري ت ١٢٥هـ.
- صفوان بن سليم المدني ت ١٣٢هـ.
- عاصم بن عمر بن قتادة المدني ت ١٢٠هـ.
- عامر بن عبدالله بن الزبير ت ١٢١هـ.
- عبدالله بن أبي بكر بن حزم ت ١٣٥هـ.
- عبدالله بن دينار مولى ابن عمر ت ١٢٧هـ.
- عبدالله بن ذكوان أبو الزناد ت ١٣٠هـ.
- عبدالرحمن بن القاسم بن محمد ت ١٢٦هـ.
- عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي ت ١٠١هـ.
- محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر العلوي ت ١١٤هـ.

- محمد بن مسلم بن عبيدالله الزهري ابن شهاب ت ١٢٤هـ.
محمد بن يحيى بن حبان ت ١٢١هـ.
يزيد بن عبدالله بن قسيط ت ١٢٢هـ.
أبو الأسود يتيتم عروة محمد بن عبدالرحمن ت بضع وثلاثين ومائة للهجرة.
ثور بن زيد المدني ت ١٣٥هـ.
جعفر بن محمد الصادق ت ١٤٨هـ.
داود بن الحصين المدني ت ١٣٥هـ.
ربيعة الرأي ت ١٣٦هـ.
أبو حازم سلمة بن دينار المدني ت في خلافة المنصور.
سهيل بن أبي صالح ت ١٤٠هـ.
صالح بن كيسان المؤدب ت ١٣٠هـ.
عبدالله بن عبدالرحمن أبو طوالة المدني ت ١٣٤هـ.
عبدالحميد بن جعفر المدني ت ١٥٣هـ.
عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ت ١٤٧هـ.
العلاء بن عبدالرحمن الحرقى ت ١٣٨هـ.
محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١هـ.
محمد بن عمرو بن علقمة المدني ت ١٤٥هـ.
محمد بن عجلان ت ١٤٨هـ.
موسى بن عقبة صاحب المغازي ت ١٤٥هـ.

- هشام بن عروة ت ١٤٥هـ.
- يحيى بن سعيد الأنصاري ت ١٤٣هـ.
- يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد ت ١٣٩هـ.
- يزيد بن أبي عبيد المدني ت ١٤٧هـ.
- أسامة بن زيد الليثي ت ١٥٣هـ.
- سليمان بن بلال ت ١٧٢هـ.
- عبدالرحمن بن أبي الزناد ت ١٧٤هـ.
- عبدالعزیز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون ت ١٦٤هـ.
- فليح بن سليمان أبو يحيى ت ١٦٨هـ.
- محمد بن جعفر بن أبي كثير ت بضع عشرة ومائة للهجرة.
- محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب الفقيه ت ١٥٨هـ.
- مالك بن أنس الإمام ت ١٧٩هـ.
- نجيح أبو معشر السندي ت ١٧٠هـ.
- هشام بن سعد المدني ت ١٦٠هـ.
- إبراهيم بن سعد الزهري ت ١٨٣هـ.
- إبراهيم بن محمد أبو يحيى المدني ت ١٨٤هـ.
- إسماعيل بن جعفر المدني ت ١٨٠هـ.
- أنس بن عياض أبو ضمرة الليثي ت ٢٠٠هـ.
- حاتم بن إسماعيل المدني ت ١٨٦هـ.

عبدالله بن عبدالعزيز الزاهد العمري ت ١٨٤ هـ.

عبدالعزیز بن أبي حازم الفقيه ت ١٧٤ هـ.

عبدالعزیز بن محمد الدراوردي ت ١٨٧ هـ.

محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ت ١٨٠ هـ.

محمد بن فليح بن سليمان ت ١٩٧ هـ.

المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي المدني الفقيه ت ١٨٨ هـ.

المغيرة بن عبدالرحمن الحزامي المدني.

هذه القائمة مستخلصة من كتاب المعين في طبقات المحدثين للإمام الذهبي من

ص ٦٩-٣٥.

ملحق رقم (٢) شعراء المدينة خلال القرن الثاني الهجري

- ١- إبراهيم بن عبدالله بن حسن ت ١٤٥هـ^(١).
- ٢- إبراهيم بن هرمة ت ١٧٦هـ^(٢).
- ٣- إسماعيل بن يسار ت في آخر العهد الأموي^(٣).
- ٤- داود بن سلم ت ١٣٢هـ^(٤).
- ٥- الحسين بن مطير^(٥).
- ٦- عبدالرحمن بن حسان بن ثابت^(٦).
- ٧- سعيد بن عبدالرحمن بن حسان^(٧).
- ٨- عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب^(٨).

(١) النديم، الفهرست ص ١٨٥.

(٢) مترجم له ص ١٨٥.

(٣) د. داود سلوم ود. نوري هودي القيسي، شخصيات كتاب الأغاني، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٢هـ ص ١٠٢.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢٢/٣.

(٥) مترجم له ص ١٨١.

(٦) مترجم له ص ١٧٤.

(٧) وفد على هشام بن عبدالملك (السخاوي، التحفة ١٥١/٢).

(٨) المرزباني، معجم الشعراء ص ١٢٠ حاشية (١).

- ٩ - محمد بن إسماعيل، أبو المعافي المزني^(١).
- ١٠ - عبدالله بن حمزة الأسلمي^(٢).
- ١١ - عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان^(٣).
- ١٢ - الضحاك بن عثمان ت ١٨٠هـ^(٤).
- ١٣ - نافع بن ثابت بن عبدالله بن الزبير^(٥).
- ١٤ - عبدالملك بن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير^(٦).
- ١٥ - مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير^(٧).
- ١٦ - عبدالله بن عروة بن عبدالله بن الزبير ت ١٢٥هـ^(٨).
- ١٧ - عبيد الله بن عروة بن الزبير^(٩).
- ١٨ - خالد بن مصعب بن مصعب بن الزبير^(١٠).
- ١٩ - سعيد بن عمرو بن الزبير بن عمرو بن عمرو بن الزبير^(١١).

(١) المرزباني، معجم الشعراء ص ٤٩٦.

(٢) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قریش ص ١٣٨، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ١ / ٣٦٢، ط دار الثقافة، بيروت.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢ / ٢٥١.

(٥) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قریش ص ٩٣، وعادل حجازي، الزبيريون ١ / ٧٦.

(٦) عادل حجازي، الزبيريون ١ / ٧٢.

(٧) عادل حجازي، الزبيريون ١ / ٧٦.

(٨) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢ / ٣٦١.

(٩) عادل حجازي، الزبيريون ١ / ١٣٥.

(١٠) عادل حجازي، الزبيريون ١ / ١٥١.

(١١) عادل حجازي، الزبيريون ١ / ١٥٦.

- ٢٠ - عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير^(١).
- ٢١ - يحيى بن عروة بن الزبير^(٢).
- ٢٢ - عامر بن صالح بن عبدالله بن عروة بن الزبير ت ١٨٢ هـ^(٣).
- ٢٣ - عبدالله بن معاوية بن جعفر الطالبي ت ١٢٩ هـ^(٤).
- ٢٤ - عبدالله بن حسن بن حسن العلوي^(٥).
- ٢٥ - سيف (إسماعيل بن ميمون) ت ١٤٧ هـ^(٦).
- ٢٦ - محمد بن إسماعيل بن يسار^(٧).
- ٢٧ - ابن شهاب الزهري ت ١٢٤ هـ^(٨).
- ٢٨ - عاصم بن محمد المدني^(٩).
- ٢٩ - القاسم بن عبد السلام بن عبد الله بن المجبر بن عبد الرحمن بن عمر
بن الخطاب^(١٠).

(١) الذهبي، السير ٥١٧/٨.

(٢) عادل حجازي، الزبيريون ١/١٢٨.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/٢٧٦.

(٤) د. داود سلوم، شخصيات الاغاني ص ١٥٧، ونُشر ديوانه نشرتين كلها ببغداد.

(٥) عادل حجازي، الزبيريون ٢/٧٤٥.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/١٢٠.

(٧) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤٦.

(٨) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤٥.

(٩) المرزباني، معجم الشعراء ص ١١٨.

(١٠) المرزباني، معجم الشعراء ص ٢١٥.

- ٣٠ - محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ت ١٤٥ هـ^(١).
- ٣١ - محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان^(٢).
- ٣٢ - المنذر بن عبدالله بن المنذر بن المغيرة^(٣).
- ٣٣ - موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن^(٤).
- ٣٤ - يحيى بن الزبير بن عمرو بن الزبير بن العوام^(٥).
- ٣٥ - عاصم بن عمر اللخمي المدني^(٦).
- ٣٦ - يحيى بن مسكين بن أيوب بن مخارق المدني^(٧).
- ٣٧ - فائد بن الأقرم البلوي^(٨).
- ٣٨ - العباس بن الحسن بن عبدالله بن عباس بن علي بن أبي طالب^(٩).
- ٣٩ - عبدالعزيز بن عمران الزبيري^(١٠).
- ٤٠ - محمد بن عبدالله بن مسلم بن الموالي^(١١).

(١) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٥٢.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤٨.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء ص ٢٧١.

(٤) النديم، الفهرست ص ١٨٥، المرزباني، معجم الشعراء ص ٢٨٨.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء ص ٤٨٩.

(٦) المرزباني، معجم الشعراء ص ١١٩.

(٧) المرزباني، معجم الشعراء ص ٤٨٩.

(٨) المرزباني، معجم الشعراء ص ١٨٨.

(٩) السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٤.

(١٠) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٣٤.

(١١) السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٦١٣.

- ٤١ - نصيب بن رباح ت ١٠٨هـ^(١).
 ٤٢ - أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة^(٢).
 ٤٣ - عروة بن أذينة ت ١٣٠هـ^(٣).
 ٤٤ - ابن ميادة الرماح بن أبري^(٤).
 ٤٥ - فروخ الطلحي (فرخ الزنا، يعقوب بن إسماعيل)^(٥).
 ٤٦ - الحزبن الكناني^(٦).
 ٤٧ - ابن رهيمة المدني أدرك الدولة العباسية^(٧).
 ٤٨ - أبو المسبح المدني^(٨).
 ٤٩ - أبو وجزة السعدي^(٩).
 ٥٠ - أبو معدان مهاجر مولى آل أبي الحكم (راوية الأحوص)^(١٠).

-
- (١) جمع شعره د. داود سلوم وطبع في ديوان صغير.
 (٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٢/٦٥٤.
 (٣) أبو الفرج الاصفهاني، الاغاني ٢١/١٠٥.
 (٤) د. داود سلوم، شخصيات الاغاني ص ٢٤٢، والشاعر مترجم له ص ١٧٩.
 (٥) المرزباني، معجم الشعراء ص ٤٩٥.
 (٦) المرزباني، معجم الشعراء ص؟.
 (٧) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٥١.
 (٨) النديم، الفهرست ص ٢٣٢.
 (٩) ابن سعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٢٧٢.
 (١٠) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ص ٣٢٤، عادل حجازي، الزبيريون ١/٧٤١.

- ٥١ - ابن ذي الزوائد السعدي (سليمان بن يحيى) ^(١).
- ٥٢ - عبدالله بن السائب المخزومي المدني ^(٢).
- ٥٣ - سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق بن عبدالله بن مخزومة ^(٣).
- ٥٤ - عبدالعزيز بن المطلب ^(٤).
- ٥٥ - محرز بن جعفر مولى أبي هريرة ^(٥).
- ٥٦ - الأسود بن عمار بن الوليد بن عدى بن نوفل بن عبدمناف ^(٦).
- ٥٧ - عبدالله بن محمد بن عمران ^(٧).
- ٥٨ - عبدالعزيز بن الماجشون ^(٨).
- ٥٩ - ابن الخياط عبدالله بن محمد بن مسلم ^(٩).
- ٦٠ - ابن أخت الأحوص ^(١٠).
- ٦١ - المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ^(١١).

(١) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني ١٤ / ١٢١.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ٩ / ٤٦٠.

(٣) المصعب الزبيري، نسب قریش ص ٤٢٨.

(٤) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١ / ٢٠٧.

(٥) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١ / ٢٠٧.

(٦) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١ / ٢٢٨.

(٧) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١ / ٢٢٩.

(٨) القاضي وكيع، أخبار القضاة ١ / ٢٤٣.

(٩) الخطيب، تاريخ بغداد ٥ / ٣٩٦.

(١٠) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوي ١ / ١٨٠.

(١١) ابن سعد الطبقات ٤ / ١٠٠.

- ٦٢ - كثير عزة ت ١٠٥ هـ^(١).
- ٦٣ - عثمان بن حيان المري^(٢).
- ٦٤ - عثمان بن واقد بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب^(٣).
- ٦٥ - عباءة بن عمر الراجحي المدني لحق الدولة العباسية ومدح معن^(٤).
- ٦٦ - كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة عاصر هشام بن عبد الملك^(٥).
- ٦٧ - محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله التيمي رثى أبو بكر بن عبدالله بن مصعب والي المدينة^(٦).
- ٦٨ - محمد بن معاذ بن عبيدالله بن معمر التيمي المدني رثى قتلى قديد^(٧).
- ٦٩ - محمد بن خالد بن الزبير بن العوام رثى قتلى قديد^(٨).
- ٧٠ - يعقوب بن أبي عاصية السلمى الأجدع المدني^(٩).

(١) له ديوان شعر جمعه د. إحسان عباس. مترجم له ص ١٧٦.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء ص ٩٢.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء ص ٩٣.

(٤) المرزباني، معجم الشعراء ص ١٦٩.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤٠.

(٦) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤٧.

(٧) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤٨.

(٨) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤٩.

(٩) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٢٤.

- ٧١- أبو الجليل الفزاري المنظوري المدني (مسعدة)^(١).
- ٧٢- فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير^(٢).
- ٧٣- إبراهيم بن محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف^(٣).
- ٧٤- عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب^(٤).
- ٧٥- يحيى بن محمد بن مروان بن عبدالله بن أبي سليط^(٥).
- ٧٦- المؤمل بن طالوت^(٦).
- ٧٧- ابن حراث^(٧).
- ٧٨- يحيى بن الزبير بن عمرو بن عمرو بن الزبير^(٨).
- ٧٩- عبدالله بن عروة بن الزبير^(٩).
- ٨٠- هشام بن عروة بن الزبير^(١٠).

(١) المرزباني، معجم الشعراء ص ٣٤١.

(٢) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ١٠٨، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤١.

(٣) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ١٤٩، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٢.

(٤) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ١٦٨، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٢.

(٥) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ١٧٤، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٢.

(٦) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ١٨٠، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٢.

(٧) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ١٧٩، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٢.

(٨) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ٣٤٥، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٢.

(٩) عادل حجازي، الزبيريون ١ / ١٣٥.

(١٠) الزبير بن بكار، جهرة نسب قريش ص ٢٩٦، عادل حجازي، الزبيريون ٢ / ٧٤٣.

ملحق رقم (٣) خطبة أبي بكر بن عبدالله الزبيري

أيها الناس: إني قائلٌ قولاً، فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه، ومن لم يعه فلا يُعدُّ من ذمامها إن قصرتم عن تفصيله، فلن تعجزوا عن تحصيله، فارعوا أبصاركم، وأوعوه أسماعكم، وأشعروه قلوبكم، فالموعظة حياة، والمؤمنون أخوة ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] فأتوا الهدى تهتدوا، واجتنبوا الغي ترشدوا، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، والله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، أمركم بالجماعة، ورضيها لكم، ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم، ف﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣] جعلنا الله وإياكم ممن تبع رضوانه، وتجنب سخطه، فإنما نحن به وله.

وإنَّ الله بعث محمداً ﷺ بالدين، واختاره على العالمين، واختار له أصحاباً على الحق، ووزراء دون الخلق اختصهم به، وانتخبهم له، فصدقوه ونصروه، وعزروه ووقروه، فلم يقدموا إلا بأمره، ولم يحجموا إلا عن رأيه، وكانوا أعاونه بعهدته، وخلفاءه من بعده، فوصفهم فأحسن صفتهم، وذكرهم فأثنى

عليهم، فقال - وقوله الحق - محمد رسول الله ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ
الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾
[الفتح: ٢٩] فمن غاظه كفر وخاب وفجر وخسر، وقال الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا
أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠-٨].

فمن خالف شريعة الله عليه لهم، وأمره إياهم فيهم فلا حق له في الفيء
ولا سهم له في الإسلام، في أي كثيرة من القرآن.

فمرقت مارقة من الدين، وفارقوا المسلمين، وجعلوهم عَضِينَ وتشعبوا
أحزاباً، أشابات وأوشاباً^(١)، فخالفوا كتاب الله فيهم، وثناءه عليهم، وآذوا

(١) أشابات جمع أشابة: وهي الأخلاط، والأوشاب جمع وشب كحمل، والأوباش الأخلاط والسفلة.

رسول الله ﷺ فيهم، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤] مالى أرى عيوناً خزرأ^(١) ورقابا صعراً^(٢)، وبطونا بجرأ^(٣) شجأ لا يسيغه الماء، وداء لا يشرب فيه الدواء ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]؟ كلا والله بل هو الهناء^(٤) والطلاء، حتى يظهر العذر، ويبوح السر، ويضح الغيب، ويسوس الجنب فإنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، ويحكم إني لست أتأويأ^(٥) أعلم، ولا بدوياً أفهم قد حلبتكم أشطرا، وقلبتكم أبطنا وأظهرنا فعرفت أنحاءكم وأهواءكم، وعلمت أن قوما أظهروا الإسلام بألستهم، وأسروا الكفر في قلوبهم، فضربوا بعض أصحاب رسول الله ﷺ ببعض، وولدوا الروايات فيهم، وضربوا الأمثال، ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبنائهم أعوانا يأذنون لهم، ويصغون إليهم، مهلاً مهلاً قبل وقوع القوارع، وطول الروائع هذا لهذا ومع هذا، فلست أعتنش آثباً ولا تائباً، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، فأسروا خيراً وأظهروه، واجهروا به

(١) الخزر: النظر في أحد الشقين.

(٢) الصعر: الميل في الوجه أو في أحد الشقين.

(٣) البجر: العظم وهو كبر البطن.

(٤) الهناء: القطران يريد أن يعالجهم كما تطفى الإبل الجربى بالقطران لمداواتها.

(٥) الأتاوى: الغريب عن القوم.

وأخلصوه، فطالما مشيتم القهقري ناكصين، وليعلم من أدبر وأصر أنها موعظة بين يدي نقمة، ولست أدعوكم إلى أهواء تتبع، ولا إلى رأى يتدع، إنما أدعوكم إلى الطريقة المثلى التي فيها خير الآخرة والأولى، فمن أجاب فإلى رشده، ومن عمى فعن قصده فهلم إلى الشرائع الجذائع، ولا تولوا عن سبيل المؤمنين، ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير بئس للظالمين بدلاً.

إياكم وبنيات الطريق فعندها الترنيق والرهبق وعليكم بالجادة فهي أسد وأورد، ودعوا الأمانى فقد أزدت من كان من قبلكم، وليس للإنسان إلا ماسعى، والله الآخرة والأولى، ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]^(١).

(١) النويري، نهاية الأرب ٧/٢٥٦، القلقشندي، صبح الأعشى ١/١٢٢٠، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٣/٢٢٦.

ملحق رقم (٤)

الرسائل المتبادلة بين الليث بن سعد والإمام مالك بن أنس

رسالة الليث بن سعد إلى مالك بن أنس رحمهما الله
حدثنا أبو يوسف حدثني يحيى بن عبدالله بن بكير المخزومي قال: هذه
رسالة الليث بن سعد إلى مالك بن أنس.

(سلام عليك، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: عافانا الله
وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة - فقد بلغني كتابك تذكر فيه من
صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره
والزيادة من إحسانه، وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك وإقامتك
إياها وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا فجزاك الله عما قدمت منها خيراً، فإنها
كتب انتهت إلينا عنك فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها، وذكرت أنه قد
أنشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة،
ورجوت أن يكون لها موضع، وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون
رأيك فينا جميلاً، إلا لأني لم أذكرك مثل هذا، وأنه بلغك أني أفتى بأشياء مخالفة
لما عليه جماعة الناس عندكم، وأني يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي
على ما أفتيتم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل
القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله، ووقع مني بالموقع
الذي تحب، وما أعد أحداً قد ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد

تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا أخذاً لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني والحمد لله رب العالمين ولا شريك له. وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه وما علمهم الله منه وأن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه فكما ذكرت. وأما ما ذكرت من قول الله عز وجل ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله فوجدوا الأجناد واجتمع إليهم الناس فاظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه، ولم يكتموا شيئاً علموه، وكان في كل جند منهم طائفة يُعلمون الله كتاب الله وسنة نبيه ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة، ويقومونهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين والحذر من الاختلاف لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فلم يتركوا أمراً فسر القرآن أو عمل به النبي ﷺ أو ائتمروا فيه بعده إلا أعلموهموه، فإذا جاء أمر عمل به أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان ولم يزلوا عليه حتى قبضوا لم يأمرهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم حين ذهب أكثر العلماء وبقي منهم من لا يشبه من مضى، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ

اختلفوا بعده في الفتيا في أشياء كثيرة، ولولا أني قد عرفت أنك قد علمتها لكتبت بها إليك، ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله ﷺ سعيد بن المسيب ونظراءوه أشد الاختلاف ثم اختلف الذين كانوا بعدهم فحضرتهم بالمدينة وغيرها ورأيتهم يومئذ في الفتيا ابن شهاب وربيعة بن أبي عبد الرحمن، فكان من خلاف ربيعة لبعض ما مضى ما عرفت وحضرت، وسمعت قولك فيه وقول ذوى الرأي من أهل المدينة يحيى بن سعيد، وعبيد الله بن عمر وكثير بن فرقد وغير كثير ممن هو أسن منه حتى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراق مجلسه، وذاكرتك أنت وعبد العزيز بن عبد الله بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك فكتبتا لي موافقين فيما أنكرت، تکرهان منه ما أكره، ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير، وعقل أصيل، ولسان بليغ، وفضل مستبين، وطريقة حسنة في الإسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة ولنا خاصة، رحمة الله عليه وغفر له وجزاه بأحسن من عمله. وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كاتبه بعضنا فربما كتب إليه في الشيء الواحد على فضل رأيه وعلمه بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك، فهذا الذي يدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي إياه وقد عرفت مما عبت إنكارى إياه أن يجمع أحد من أجناد المسلمين بين الصَّلَاتين ليلة المطر، ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله لم يجمع منهم إمام قط في ليلة مطر، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «أعلمهم

بالحلال والحرام معاذ بن جبل»^(١) وقال: «يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة»^(٢) وشرحبيل بن حسنة، وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وكان أبو ذر بمصر والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وبحمص سبعون من أهل بدر وبأجناد المسلمين كلها، والعراق ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعمران بن الحصين، ونزلها علي بن أبي طالب سنين بمن كان معه من أصحاب رسول ﷺ فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط.

ومن ذلك القضاء بشهادة الشاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت أنه لم يزل يقضى بالمدينة به ولم يقض به أصحاب رسول الله ﷺ بالشام ولا بحمص ولا مصر ولا العراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم ولي عمر بن عبدالعزيز فكان كما علمت في إحياء السنن، وقطع البدع والجد في إقامة الدين، والإصابة في الرأي، والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه زريق بن الحكم: إنك كنت تقضى بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق، وكتب إليه عمر بن عبدالعزيز: إنا كنا نقضي بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك، فلا نقض إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط ليلة لمطر، والسماء تسكب عليه في منزله الذي كان فيه بخناصره ساكناً.

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٥٢/٢٠ تحقيق شعيب الأرنؤوط، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الرتوة: الخطوة. ورد بلفظ «معاذ بن جبل أمام العلماء يوم القيامة برتوة» قال الألباني في صحيح الجامع الصغير ح ١٠٨٢٠: صحيح.

ومن ذلك أن أهل المدينة يقضون في صدقات النساء أنها متى شاءت أن تتكلم في مؤخر صداقها تكلمت فدفع إليها، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك وأهل الشام وأهل مصر، ولم يقض أحد من أصحاب رسول ﷺ ولا من بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما موت، أو طلاق فتقوم على حقها.

ومن ذلك قولهم في الإيلاء أنه لا يكون عليه طلاق حتى يوقف وإن مرت الأربعة أشهر، وقد حدثني نافع عن عبدالله بن عمر - وعبدالله بن عمر الذي كان يروي عنه ذلك التوقيف بعد الأشهر - أنه كان يقول في الإيلاء الذي ذكر الله في كتابه لا يحل للمولى إذا بلغ الأجل إلا أن يفي كما أمره الله أو يعزم الطلاق. وأنتم تقولون: إن لبث بعد الأربعة أشهر التي سمى الله في كتابه ولم يوقف لم يكن عليه طلاق، وقد بلغنا عن عثمان وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب، وأبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أنهم قالوا في الإيلاء: إذا مضت الأربعة أشهر فهي تطلقة ثانية، وقال سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن هشام، وابن شهاب إذا مضت الأربعة أشهر فهي تطلقة واحدة وله الرجعة في العدة.

ومن ذلك أن زيد بن ثابت كان يقول: إذا ملك الرجل امرأته أمرها فاختارت زوجها فهي تطلقة، وإن طلقت نفسها ثلاثاً فهي تطلقة، وقضى بذلك عبدالملك بن مروان، وكان ربيعة بن أبي عبدالرحمن يقوله، وقد كاد الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق، وإن اختارت نفسها

واحدة أو اثنتين كانت له عليها رجعة، وإن طلقت نفسها ثلاثاً بانت منه، ولم تحل له حتى تنكح زوجا غيره فيدخل بها ثم يموت أو يطلقها، إلا أن يرد عليها في مجلسه فيقول: إنها ملكتك واحدة، فيستحلف ويخلى بينه وبين امرأته.

ومن ذلك أن عبدالله بن مسعود كان يقول: أيها رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها فاشترأه إياها ثلاث تطليقات، وكان ربيعة يقول ذلك وإن تزوجت المرأة الحرة عبدا فاشترته فمثل ذلك.

وقد بلغنا عنكم أشياء من الفتيا فاستنكرتها، وقد كنت كتبت إليك في بعضها فلم تجبني في كتابي، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك، فتركت الكتاب إليك في شيء مما أنكرت وفيما أوردت فيه على رأيك، وذلك أنه بلغني أنك أمرت زفر بن عاصم الهلالي حين أراد أن يستسقى - أن يقدم الصلاة قبل الخطبة، فأعظمت ذلك، لأن الخطبة في الاستسقاء قبل الصلاة كهيئة يوم الجمعة إلا أن الإمام إذا دنا فراغه من الخطبة حول وجهه إلى القبلة ودعا، وحول رداءه ثم نزل فصلى، وقد استسقى عمر بن عبدالعزيز، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما، فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة، فأشهر الناس فعل زفر بن عاصم من ذلك واستنكروه.

ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول في الخليطين في المال: أنه لا تجب عليهما الصدقة حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة، وفي كتاب عمر بن الخطاب أنه يجب عليهما الصدقة ويتردان بالسوية، وقد كان ذلك يعمل به في ولاية عمر بن عبدالعزيز قبلكم وغيره، والذي حدثنا به يحيى بن سعيد ولم

يكن بدون أفاضل العلماء في زمانه فرحمه الله وغفر له وجعل الجنة مصيره.
ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول: إذا أفلس الرجل وقد باع رجل سلعة
فتقاضى طائفة من ثمنها أو أنفق المشتري طائفة منها أنه يأخذ ما وجد من
متاعه، وكان الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئاً أو أنفق المشتري
منها شيئاً فليست بعينها.

ومن ذلك أنك تذكر أن النبي ﷺ لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد،
والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم بفرسين ومنعه الفرس الثالث،
والأمة كلهم على هذا الحديث أهل الشام وأهل مصر وأهل العراق وأهل
افريقية، لا يختلف فيه اثنان، فلم يكن ينبغي لك - وإن كنت سمعته من رجل
مرضى - أن تخالف الأمة أجمعين وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا، وأنا
أحب توفيق الله إياك وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة وما
أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك مع استئناس بمكانك، وإن نأت الدار فهذه
منزلتك عندي ورأيت فيه فاستيقنه، ولا تترك الكتاب إلي بخبرك وحالك
وحال ولدك وأهلك وحاجة إن كانت له أو لأحد يوصل بك، فإني أسر
بذلك، كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا
وإياكم شكر ما أولانا وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليك ورحمة الله.

ملحق رقم (٥)

أسماء الذين أثار عنهم تحريم أو كراهة الغناء

- ١ - سعيد المسيب ت ٩٤هـ - كف الرعاع ٢ / ٢٨٠، أحمد عبدالعزیز الحمدان، أحكام الموسيقى والغناء ص ٤٢، ٧٠.
- ٢ - علي بن الحسين ت ٩٤هـ - ابن أبي الدنيا، ذم الملاحه ص ٤٢، الحمدان ص ٦٨.
- ٣ - محمد بن الحنفية السيوطي، الدر المنثور ٦ / ٢٨٣، الحمدان ص ٧٣.
- ٤ - عكرمة مولى ابن عباس ت ١٠٧هـ - السيوطي ٦ / ٥٠٥، الحمدان ص ٣٧.
- ٥ - القاسم بن محمد ت ١٠٦هـ - الحمدان ص ٦٩.
- ٦ - نافع مولى ابن عمر ت ١١٧هـ - ابن أبي الدنيا ص ٤٣، السيوطي ٦ / ٥٠٧.
- ٧ - محمد بن المنكدر ت ١٣٥هـ - ابن أبي الدنيا ص ٤٤.
- ٨ - إبراهيم بن عبدالله بن حسن ت ١٤٥هـ - الذهبي، السير ٦ / ٢٢١.
- ٩ - عثمان بن عروة بن الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش ١ / ٣٠٨.
- ١٠ - الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩هـ - الخلال ص ٣٢، ابن الجوزي، تليس إيليس ص ٢٢٩.
- ١١ - يحيى بن سعيد الأنصاري ت ١٧٤هـ - ابن أبي الدنيا ص ٦٠.
- ١٢ - إبراهيم بن المنذر الحزامي ت ٢٢٦هـ - الخلال ص ٣٢، الحمدان ص ٧٢.
- ١٣ - رافع بن حفص المدني ت ٢٣٦هـ - ابن أبي الدنيا ص ٤٢، السيوطي ٦ / ٥٠٧، الحمدان ص ٦٨.

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ت ٧٥١هـ).

١- تاريخ دمشق:

مكتبة حمد آل ثاني الملحقة بالمسجد القطري بالعزيرية بمكة.

٢- تاريخ دمشق:

تصوير مخطوطة الظاهرية من قبل مكتبة الدار بالمدينة بعناية محمد

الطرهوني، ١٤٠٧هـ.

المزي (جمال الدين أبي الحجاج يوسف ٧٤٢هـ).

٣- تهذيب الكمال:

تصوير دار المأمون، دمشق.

ثانياً: المصادر والمراجع

- الآجري (أبو بكر محمد بن الحسين ت ٣٧٠هـ):
- ١ - أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / ١، ١٣٩٩هـ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الله العسيلان.
 - ٢ - أخلاق العلماء، الدار السلفية، الكويت، تحقيق بدر البدر.
 - ٣ - الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، تحقيق محمد حامد الفقي.
 - الأمدي (سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد ت ١٣١هـ):
 - ٤ - الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.
 - إبراهيم بيضون:
 - ٥ - ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.
 - د. إحسان النص:
 - ٦ - الخطابة في عصرها الذهبي، دار المعارف، مصر، ط / ٢، ١٩٦٩م.
 - أحمد أمين:
 - ٧ - فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط / ١، ١٩٧٩م.
 - الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ:
 - ٨ - العلل ومعرفة الرجال، نشر وتعليق د. طلعت قوج بيكت، ود. إسماعيل جراح أوغلي، انقره، ١٩٦٣م.

أحمد زكي صفوت:

٩ - جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت.

١٠ - جمهرة رسائل العرب، نشر مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط/١، ١٣٥٦هـ.

أحمد صالح محايري:

١١ - تفسير سفيان بن عيينة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٤٠٣هـ.

أحمد محمد شاكر:

١٢ - عمدة التفسير، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٦هـ.

١٣ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، دار التراث،

القاهرة، ط/٣، ١٣٩٩هـ.

الأحوص الأنصاري (عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت ت ١٠٥هـ):

١٤ - شعر الأحوص جمع عادل سليمان جمال، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،

١٣٩٠هـ.

الأزدي (يزيد بن محمد بن إياس ت ٣٣٤هـ):

١٥ - تاريخ الموصل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٧هـ،

تحقيق د. علي حبيبة.

ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١هـ):

١٦ - السيرة النبوية، نشر الوقف للخدمات الخيرية، قونية، تركيا، ١٤٠١هـ،

تحقيق محمد حميد الله.

الأشبلي (أبو بكر محمد بن خير الأشبلي ت ٥٧٥هـ):

١٧ - فهرسة ما رواه عن شيوخه، ١٣٨٢هـ، نشر فرانسه قداره ريدبن.

- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ):
- ١٨ - الأغاني، دار الكتب المصرية، ١٩٣٠ م.
- ١٩ - مقاتل الطالبين، دار المعرفة، بيروت، تحقيق السيد أحمد صقر.
د. أكرم ضياء العمري:
- ٢٠ - المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيياته، نشر الجامعة الإسلامية، ط / ١، ١٤٠٣هـ
- بحشل (أسلم بن سهل الرزاز ت ٢٩٢هـ):
- ٢١ - تاريخ واسط، عالم الكتب، بيروت، ط / ١، ١٤٠٦هـ تحقيق كوركيس عواد.
ابن بدران (عبد القادر بن أحمد ت ١٣٤٦هـ):
- ٢٢ - تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، دار المسيرة، بيروت، ط / ٢، ١٣٩٩هـ.
بسطامي محمد سعيد:
- ٢٣ - مفهوم تجديد الدين، دار الدعوة، الكويت، ط / ١، ١٤٠٥هـ.
- ابن بطة العكبري (عبيدالله بن محمد ت ٣٨٧هـ):
- ٢٤ - الشرح والإبانة، مكتبة الفيصلية، مكة، ط / ١، ١٤٠٤هـ.
- البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء ت ٥١٦هـ):
- ٢٥ - التفسير، دار المعرفة، بيروت، ط / ١، ١٤٠٦هـ، تحقيق خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار.
- ٢٦ - شرح السنة المكتب الإسلامي، بيروت، ط / ١، ١٣٩٠هـ، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرنؤوط.

أبو بكر إسماعيل محمد ميقا:

٢٧ - الرأي وأثره في مدرسة المدينة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١،
١٤٠٥ هـ، والكتاب رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود.

أبو بكر الخلال:

٢٨ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مطابع القصيم، الرياض، ١٣٨٩ هـ،
تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

د. بكر بن عبد الله أبو زيد:

٢٩ - طبقات النساين، مكتبة الرشد، الرياض، ط/١، ١٤٠٧.

البكري (عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ت ٤٨٧ هـ):

٣٠ - معجم ما استعجم، عالم الكتب، بيروت، تحقيق مصطفى السقا.

البيهقي (أحمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ):

٣١ - السنن الكبرى، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط/١، ١٣٥٤ هـ.

الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ هـ):

٣٢ - السنن، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/٢، ١٣٩٨ هـ، تحقيق

أحمد محمد شاكر.

ابن تيمية (شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ت ٧٢٨ هـ):

٣٣ - صحة أصول مذهب أهل المدينة، دار الندوة، بيروت.

٣٤ - مجموع الفتاوى، دار العربية، بيروت، ط/١، ١٣٩٨ هـ، جمع وترتيب

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد.

- ٣٥- مقدمة في أصول التفسير، دار القرآن الكريم، الكويت، ط/ ١، ١٣٩١هـ.
 ٣٦- منهاج السنة النبوية، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط/ ١، ١٤٠٦هـ.

الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ):

- ٣٧- البيان والتبيين، مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط/ ٢، ١٣٨٥هـ. تحقيق عبد السلام هارون.

ابن الجزري (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري ت ٨٣٣هـ):

- ٣٨- غاية النهاية في طبقات القراء، دار الباز، مكة.

جلال الدين عبد الرحمن:

- ٣٩- القاضي ناصر الدين البيضاوي وأثره في أصول الفقه، دار الكتاب الجامعي، مصر، ط/ ١، ١٤٠١هـ، والكتاب رسالة دكتوراه.

ابن جماعة (بدر الدين ت ٧٣٣هـ):

- ٤٠- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٤هـ.

د. جميل عبد الله المصري:

- ٤١- الموالي وموقف الدولة الأموية منهم، دار أم القرى، عمان، ط/ ١، ١٤٠٨هـ.

الجهشياري (محمد بن عبد القدوس ت ٣٣١هـ):

- ٤٢- الوزراء والكتاب، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، القاهرة، ط/ ١، ١٣٥٧هـ، تحقيق إبراهيم الأبياري وزملاؤه.

- الجوزجاني (أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب ت ٢٥٩هـ):
 ٤٣ - معرفة الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٥هـ، تحقيق
 صبحي البدري السامرائي.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ):
 ٤٤ - القصاص والمذكرين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٤٠٣هـ،
 تحقيق محمد بن لطف الصباغ.
- ٤٥ - تلبس إبليس، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- ٤٦ - سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١،
 ١٤٠٤هـ، تصحيح وضبط نعيم زرزور.
- ٤٧ - صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط/٣، ١٤٠٥هـ، تحقيق محمود
 فاخوري، ود. محمد رواس قلعه جي.
- ابن أبي حاتم (أبو محمد بن عبد الرحمن الرازي ت ٣٢٧هـ):
 ٤٨ - الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الحنفي ت ١١٠٥هـ):
 ٤٩ - كشف الظنون، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
- د. حارث سليمان الضاري:
- ٥٠ - الإمام الزهري وأثره في السنة، مكتبة بسام، الموصل، العراق، ط/١،
 ١٤٠٥هـ.
- الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت ٤٠٥هـ):
 ٥١ - المدخل في أصول الحديث، مكتبة المعارف، الطائف، ضمن مجموعة

- الرسائل الكمالية، الجزء الثاني، الحديث.
- ٥٢ - المستدرك، مكتبة النصر، الرياض.
- ٥٣ - معرفة علوم الحديث، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، ط/ ٢، ١٣٩٧هـ، تحقيق السيد معظم حسين.
- ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤هـ):
- ٥٤ - الثقات، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط/ ١، ١٣٩٨هـ.
- ٥٥ - مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، تصحيح فلا يشهمر.
- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ):
- ٥٦ - تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٥٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٥٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان، القاهرة، ط/ ١، ١٤٠٧هـ، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي.
- ٥٩ - لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط/ ٢، ١٣٩٠هـ.
- ابن حجر الهيتمي (أحمد بن محمد بن علي المكي ت ٩٧٤هـ):
- ٦٠ - الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٧هـ، ضبطه وكتبه هوامشه أحمد عبد الشافي.
- ٦١ - كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

د. حسن أحمد مرعى:

٦٢ - بحث الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، نشر جامعة الإمام بالرياض،
١٤٠١هـ.

حماد بن محمد الأنصاري:

٦٣ - يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر، دار العدوى، عمان، ط/١، ١٤٠٥هـ.
د. حسين عطوان:

٦٤ - شعر الحسين بن مطير الأسدي، مجلة معهد المخطوطات، القاهرة، المجلد
الخامس عشر، الجزء الأول، ١٩٧٤م.

الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ):

٦٥ - تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٦ - تقييد العلم، دار إحياء السنة، القاهرة، ١٩٧٤م، تحقيق د. يوسف العش.

٦٧ - جامع أخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ
تحقيق د. محمود الطحان.

٦٨ - الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٣٩٥هـ،
تحقيق نور الدين عتر.

٦٩ - الكفاية في علم الرواية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط/١، ١٩٧٢م،
مراجعة عبد الحليم محمد عبد الحليم، وعبد الرحمن حسن محمود.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ):

٧٠ - وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، ط/١، ١٣٩٨هـ، تحقيق د. إحسان
عباس.

خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ.

٧١ - التاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / ٢، ١٣٩٧هـ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري.

ابن أبي خيثمة (زهير بن حرب النسائي ت ٢٣٤هـ):

٧٢ - كتاب العلم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط / ٢، ١٤٠٣هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

خير الدين الزركلي:

٧٣ - الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط / ٦، ١٩٨٤م.

الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ت ٢٢٥هـ):

٧٤ - السنن، الدر السلفية، المدينة، بعناية عبد الله هاشم المدني.

أبو داود (سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥هـ):

٧٥ - كتاب السنن، مطبوع على بذل المجهود في حل سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت.

الداودي (شمس الدين محمد بن علي ت ٩٤٥هـ):

٧٦ - طبقات المفسرين، مكتبة وهبه، القاهرة، ط / ١، ١٣٩٢هـ، تحقيق على محمد عمر.

ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن سفيان ت ٢٨١هـ):

٧٧ - ذم الملاحية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط / ١، ١٤١٦هـ، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ):
- ٧٨ - تاريخ الإسلام (وفيات ١٢١-١٤٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠٨هـ، تحقيق د. عمر عبد السلام التدمري.
- ٧٩ - تاريخ الإسلام (وفيات ١٤١-١٦٠هـ).
- ٨٠ - تاريخ الإسلام ستة أجزاء فقط، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- ٨١ - تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، تحقيق العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي.
- ٨٢ - سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزملاؤه.
- ٨٣ - العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٠٥هـ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول.
- ٨٤ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط/١، ١٣٩٢هـ، تحقيق عزت على عطية، وموسى على الموشى.
- ٨٥ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٠٤هـ، تحقيق د.بشار عواد معروف وزملاؤه.
- ٨٦ - المعين في طبقات المحدثين، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط/١، ١٤٠٤هـ، تحقيق د. همام عبد الرحيم سعيد.
- ابن زبالة (محمد بن الحسن ت ٢٠٠هـ):
- ٨٧ - المنتخب من أزواج النبي، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط/١،

١٤٠١هـ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري.

الزبيدي (محمد بن الحسن ت ٣٧٩هـ):

٨٨ - طبقات النحويين واللغويين، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

الزبير بن بكار ت ٢٥٦هـ:

٨٩ - جمهرة نسب قريش وأخبارها، دار العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ، تحقيق محمود محمد شاكر.

٩٠ - الأخبار الموفقيات، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ط / ١، ١٩٧٢م، تحقيق د. سامي مكي العاني.

الزبيري (المصعب بن عبد الله بن مصعب ت ٢٣٦هـ):

٩١ - نسب قريش، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣م، تحقيق ليثي بروفنسال.
أبو زرعة الدمشقي (عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري ت ٢٨١هـ):

٩٢ - التاريخ، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق، ط / ١، ١٩٨٠م، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني.

زينب بن يوسف العاملي:

٩٣ - الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت.

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ):

٩٤ - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، نشر أسعد طرابزونى الحسيني،

ط / ١، ١٣٩٩هـ، تحقيق محمد حامد الفقي.

٩٥ - التويخ لمن ذم التاريخ، مطبوع ضمن علم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنتال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / ١، ١٤٠٣هـ. ترجمة د. صالح أحمد العلي.

ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري ت ٢٣٠هـ):

٩٦ - الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ تحقيق د. إحسان عباس.
٩٧ - الطبقات الكبرى، القسم المتم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط / ١، ١٤٠٣هـ تحقيق زياد محمد منصور.

سعيد الأفغاني:

٩٨ - من تاريخ النحو، دار الفكر، دمشق، ط / ٢، ١٣٩٨هـ.

سفيان الثوري (سفيان بن سعيد بن مسروق ت ١٦١هـ):

٩٩ - التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٠٣هـ تحقيق امتياز عرشي.

ابن سلام (محمد بن سلام الجمحي ت ٢٣١هـ):

١٠٠ - طبقات فحول الشعراء، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر.

السمهودي (نور الدين علي بن أحمد ت ٩١١هـ):

١٠١ - وفا الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط / ٣، ١٤٠١هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

السهيلي (عبدالرحمن بن عبدالله ت ٥٨١هـ):

١٠٢ - الروض الأنف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط / ١، ١٣٨٧هـ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل.

السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ):

١٠٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، نشر عيسى البابي الحلبي، ط / ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٠٤ - تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، المطبعة الخيرية، ط / ١، ١٣٢٥هـ.

١٠٥ - حسن المحاضرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط / ١، ١٣٨٧هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٠٦ - الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٥هـ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد.

١٠٨ - طبقات الحفاظ، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٣٩٣هـ، تحقيق علي محمد عمر. د. شاکر مصطفى:

١٠٨ - التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط / ٢، ١٩٨٠م.

١٠٩ - دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، ط / ١، ١٩٧٣م.

د. شعبان محمد إسماعيل:

١١٠ - أصول الفقه تاريخه ورجاله، دار المريخ، الرياض، ط / ١، ١٤٠١هـ.

د. شكري فيصل:

١١١ - تطور الغزل، دار العلم للملايين، بيروت، ط / ٦، ١٩٨٣م.

١١٢ - المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، ١٩٨٥ م.

الشهرستاني (محمد بن عبدالكريم ت٥٤٨هـ):

١١٣ - الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط/٢، ١٣٩٥ هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني.

د. شوقي ضيف:

١١٤ - الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بنى أمية، دار الثقافة، بيروت، ط/٢، ١٩٦٧ م.

الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت١٢٥٥هـ):

١١٥ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار المعرفة، بيروت.

الشيرازي (إبراهيم بن علي بن يوسف ٣٩٣-٤٧٦هـ):

١١٦ - طبقات الفقهاء، دار القلم، بيروت، تصحيح خليل الميس.

د. صالح بن عبد العزيز المنصور:

١١٧ - أصول الفقه وابن تيمية، دار النصر للطباعة، مصر، ط/١، ١٤٠٠ هـ.

الطبري (محمد بن جرير ت٣١٠هـ):

١١٨ - تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم.

١١٩ - تفسير الطبري، دار المعارف بمصر، ط/٢، تحقيق أحمد محمد شاكر،

ومحمود محمد شاكر.

د. طه حسين:

١٢٠ - حديث الاربعاء، دار المعارف بمصر، ١٩٥٢ م.

١٢١ - من تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٣، ١٩٧٩ م.

١٢٢ - أبو الطيب اللغوى (عبدالواحد بن علي الحلبي ت ٣٥١ هـ).

١٢٣ - مراتب النحويين، دار نهضة مصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. عبدالله بن أحمد بن حنبل ت ٢٩٠ هـ:

١٢٤ - كتاب السنة، دار ابن القيم، الدمام، ط/١، ١٤٠٦ هـ، تحقيق د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني.

د. عبدالله بن محمد السيف:

١٢٥ - الحياة الاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٤٠٣ هـ.

عبدالله مصطفى المراغي:

١٢٦ - الفتح المبين في طبقات الأوصليين، نشر محمد أمين دمج، بيروت، ط/٢، ١٣٩٤ هـ.

ابن عبدالبر (يوسف بن عمر النمري ت ٤٦٣ هـ):

١٢٧ - الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف المغربية، ط/٢، ١٤٠٢ هـ، تحقيق محمد التائب السعيد.

١٢٨ - جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥ م، تحقيق عبدالرحمن العثمان.

١٢٩ - الدرر في اختصار المغازي والسير، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦ هـ، تحقيق د. شوقي ضيف.
د. عبدالحسيب طه حميده:

١٣٠ - أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، مطبعة السعادة بمصر، ط/٢، ١٣٨٨ هـ.

ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله المصري ت ٢١٤ هـ):

١٣١ - سيرة عمر بن عبد العزيز، عالم الكتب، بيروت، ط/٦، ١٤٠٤ هـ، تصحيح أحمد عبيد.

د. عبد الحميد الشلقاني:

١٣٢ - الأعراب الرواة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧ م.

١٣٣ - رواية اللغة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠ م.

ابن عبد ربه الأندلسي:

١٣٤ - العقد الفريد، لجنة التأليف والنشر، بيروت، ١٤٠٢ هـ، تحقيق أحمد أمين وزملاءه.

عبدالرحمن بن حسان بن ثابت ت ١٠٤ هـ:

١٣٥ - شعر عبدالرحمن بن حسان، جمع د. سامي مكّي العاني، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٧١ م.

- عبدالرحمن بن يحيى المعلمى ت ١٣٨٦ هـ:
- ١٣٦ - التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٢، ١٤٠٦، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
- ١٣٧ - علم الرجال واهميته. دار البصائر، دمشق، ط/٢، ١٤٠١ هـ.
- د. عبد العزيز الدوري:
- ١٨ - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، (١٩٨٣ م).
- ١٣٩ - دراسة في سيرة النبي ﷺ ومؤلفها ابن إسحاق، مطبعة المعاني، بغداد.
- د. عبد العزيز عتيق:
- ١٤٠ - ابن ابي عتيق ناقد الحجاز، نشر جامعة بيروت العربية، ١٩٧٢ م.
- عبد الغني الدقر:
- ١٤١ - مالك بن أنس، دار القلم، دمشق، بيروت، ط/١، ١٤٠٢ هـ.
- عبد الفتاح القاضي:
- ١٤٢ - بشير اليسر بشرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للإمام الشاطبي، المكتبة المحمودية، القاهرة.
- عبد المجيد محمد صالح الكبسي:
- ١٤٣ - عصر هشام بن عبد الملك، مطبعة سليمان الأعظمي، بغداد، ١٩٧٥ م.

العجلي (أحمد بن عبدالله بن صالح ت ٢٦١هـ):

١٤٤ - تاريخ الثقات، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١، ١٤٠٥هـ.

ابن عدي (عبدالله الجرجاني ت ٣٦٥هـ):

١٤٥ - الكامل في ضعفاء الرجال، دار الفكر، بيروت، ط/١، ١٤٠٤هـ، تحقيق

لجنة من المختصين بإشراف الناشر.

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن هبة الله الشافعي ت ٥٧١هـ):

١٤٦ - تاريخ دمشق، نشر المجمع العلمي بدمشق، ط/١، ١٣٧١هـ، الجزء

الأول، تحقيق د. صلاح الدين المنجد.

١٤٧ - تاريخ دمشق، تراجم عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد، نشر مجمع

اللغة العربية بدمشق، ط/١، ١٩٨١م، تحقيق د. شكري فيصل، وسكينة

الشهابي، ومطاع الطرايشي.

١٤٨ - تاريخ دمشق، ترجمة ابن شهاب، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط/١، ١٤٠٢هـ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني.

١٤٩ - تاريخ دمشق، تراجم النساء، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق،

ط/١، ١٩٨٢م، تحقيق سكينة الشهابي.

العظيم آبادي (محمد شمس الحق):

١٥٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، المكتبة السلفية، المدينة النبوية، ط/٣،

١٣٩٩هـ.

- العقيلي (محمد بن عمرو بن موسى المكي ت ٣٢٢هـ):
 ١٥١ - كتاب الضعفاء الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٠٤هـ،
 تحقيق د. عبد المعطي قلعجي.
 د. علي سامي النشار:
 ١٥٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف بمصر، ط / ٧، ١٩٧٧هـ.
 علي بن عبد الله بن المديني ت ٢٣٤هـ:
 ١٥٣ - كتاب العلل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط / ١، ١٣٩٢هـ، تحقيق
 د. محمد مصطفى الأعظمي، وتحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار
 الوعي، حلب، ط / ١، ١٤٠٠هـ.
 د. عمر حسن فلاته:
 ١٥٤ - الوضع في الحديث، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٤٠١هـ.
 د. عمر سليمان الأشقر:
 ١٥٥ - تاريخ الفقه الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط / ١، ١٤٠٢هـ.
 ابن أبي عمر المدني (محمد بن يحيى ت ٥٤٣هـ):
 ١٥٦ - كتاب الإيوان، الدار السلفية، الكويت، ط / ١، ١٤٠٧هـ، تحقيق حميد
 بن حمدي الحربي.
 د. فاروق عمر:
 ١٥٧ - الخلافة العباسية، نشر جامعة بغداد، ١٩٨٦م.
 الفاسي (تقي محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ):
 ١٥٨ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،

١٣٨٥هـ، تحقيق فؤاد السيد.

الفاكهي (أبو عبد الله محمد بن إسحاق ت في القرن الثالث الهجري):

١٥٩ - أخبار مكة، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط/ ١، ١٤٠٧هـ تحقيق عبد الملك

ابن عبد الله بن دهيش.

ابن فرحون (إبراهيم بن علي ت ٧٩٩هـ):

١٦٠ - الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب، دار التراث، القاهرة، ط/ ١،

١٩٧٢م، تحقيق د. محمد الأحمد أبو النور.

الفسوي (يعقوب بن سفيان ت ٣٧٧هـ):

١٦١ - المعرفة والتاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٢، ١٤٠١هـ، تحقيق

د. أكرم ضياء العمري.

ابن فهد (النجم عمر بن فهد ت ٨٨٥هـ):

١٦٢ - إتحاف الوري، نشر جامعة أم القرى، مكة، ط/ ١، ١٤٠٤هـ، تحقيق

فهيم محمد شلتوت.

فؤاد سزكين:

١٦٣ - تاريخ التراث العربي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض،

ط/ ١، ١٤٠١هـ.

١٦٤ - الجزء الرابع في العلوم، نشر جامعة الملك سعود، الرياض، ط/ ١،

١٤٠١هـ.

الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ):

١٦٥ - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، نشر مركز المخطوطات والتراث

بجمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط/١، ١٤٠٧هـ.

قاسم علي سعد:

١٦٦ - مباحث في علم الجرح والتعديل، دار البشائر الإسلامية، بيروت،

ط/١، ١٤٠٨هـ.

قاسم القيسي:

١٦٧ - تاريخ التفسير، نشر المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٨٥هـ.

القاضي عياض (بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤هـ):

١٦٨ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الحياة،

بيروت، ١٣٨٧هـ، تحقيق د. أحمد بكير محمود.

القاضي (عبد الجبار الهمذاني المعتزلي ت ٤١٥هـ):

١٦٩ - المنية في شرح الملل والنحل أو فرق وطبقات المعتزلة، دار المطبوعات

الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٢م، تحقيق د. على سامي النشار.

القاضي وكيع (محمد بن خلف حيان ت ٣٠٦هـ):

١٧٠ - أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت.

ابن قتيبة (محمد بن مسلم ت ٢٧٩هـ):

١٧١ - المعارف، دار المعارف بمصر، ط/١، ١٩٦٩م، تحقيق د. ثروت

عكاشة.

١٧٢ - الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط/٢، ١٣٨٨هـ.

ابن قدامة (عبد الله بن محمد المقدسي ت ٦٢٠هـ):

١٧٣ - التبيين في أنساب القرشيين، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط/١، ١٤٠٢هـ، تحقيق محمد نايف الدليمي.

١٧٤ - فتيا في السماع ضمن المصنفات الصغيرة، مطابع الفرزدق، الرياض، ط/١، ١٤٠٤هـ، تحقيق أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري.

القزويني (زكريا محمد بن محمود):

١٧٥ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت ٦٤٦هـ):

١٧٦ - أنباه الرواة على أنباه النحاة، دار الكتب، القاهرة، ١٣٧١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

القلقشندی (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ):

١٧٧ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة المصرية.

القلانسي (أبو العز محمد بن الحسين ت ٥٢١هـ):

١٧٨ - إرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى في القراءات العشر، مكتبة الفيصلية، مكة، ط/١، ١٤٠٤هـ، تحقيق عمر حمدان الكبيسي.

القيرواني (إبراهيم بن علي الحصري):

١٧٩ - زهر الآداب وثمر الألباب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،

- ١٩٦٩ م، تحقيق على محمد البجاوي.
- ابن القيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هـ):
- ١٨٠ - أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣ م، بعناية طه عبدالرؤوف سعد.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل القرشي ت ٧٧٤هـ):
- ١٨١ - البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط / ٥، ١٤٠٣هـ.
- ١٨٢ - تفسير القرآن العظيم، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٦هـ، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا وزملاؤه.
- كثير عزة ت ١٠٤هـ:
- ١٨٣ - ديوان كثير عزة، جمع د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- الكلاعي (أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي ت ٦٣٤هـ):
- ١٨٤ - الاكتفاء في مغازي رسول الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٧هـ، تحقيق مصطفى عبدالواحد.
- اللاكائي (هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري ت ٤١٨هـ):
- ١٨٥ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار طيبة، الرياض، ط / ١، ١٤٠١هـ، تحقيق د. أحمد بن سعد حمدان.
- د. ماجد عرسان الكيلاني:
- ١٨٦ - تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دار ابن كثير، دمشق، ط / ٢، ١٤٠٥هـ.

ابن ماجة (محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ):

١٨٧ - السنن، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩هـ:

١٨٨ - المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت.

د. محمد ماهر حمادة:

١٨٩ - الوثائق السياسية والإدارية العائدة للجزيرة العربية (٤٠-٩٢٢هـ)،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ.

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ):

١٩٠ - الكامل في اللغة والأدب، مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ط/١،

١٣٥٦هـ، تحقيق زكي مبارك.

المتقي الهندي (علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي ت ٩٧٥هـ):

١٩١ - كنز العمال، مؤسسة الرسالة، تحقيق بكرى حيانى، وصفوت السقا.

ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التميمي ت ٣٢٤هـ):

١٩٢ - كتاب السبعة في القراءات، دار المعارف، بمصر، ط/٢، ١٤٠٠هـ،

تحقيق د. شوقي ضيف.

المرزباني (محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ):

١٩٣ - معجم الشعراء، نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٩هـ، تحقيق

عبد الستار أحمد فراج.

المزي (جمال الدين أبي الحجاج يوسف ت ٧٤٢هـ):

١٩٤ - تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٢هـ، تحقيق
بشار عواد معروف.

د. محسن غياض عجيل:

١٩٥ - شعر الحسين بن مطير، بغداد، ١٩٧١م.

١٩٦ - التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، مطبعة النعمان، النجف،
١٩٧٣م.

المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ):

١٩٧ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة التجارية بمصر، ط/٤،
١٣٨٤هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

الإمام مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ):

١٩٨ - صحيح مسلم (بهامشه شرح النووي)، دار الفكر، بيروت.
د. مصطفى السباعي:

١٩٩ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت،
ط/٣، ١٤٠٣هـ.

مصطفى السقا:

٢٠٠ - مقدمة المغازي الأولى، ليوسف هورفتس، ترجمة د. حسين نصار، نشر
مصطفى البابي الحلبي بمصر.

د. مصطفى الشكعة:

٢٠١ - الشعر والشعراء في العصر العباسي الأوّل، دار العلم للملايين،

بيروت، ١٩٧٥م.

د. محمد جاسم حمادي:

٢٠٢ - موارد البلاذري في أنساب الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة،

ط/١، ١٤٠٧هـ.

محمد جبار معبيد:

٢٠٣ - ديوان إبراهيم بن هرمة، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٩هـ.

محمد زكريا الكاندهلوي:

٢٠٤ - أوجز المالك إلى موطأ مالك، دار الفكر، بيروت، ط/٣، ١٣٩٣هـ.

محمد أبو زهرة:

٢٠٥ - مالك، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٢، ١٩٦٤م.

محمد سليمان العبيد:

٢٠٦ - حركة النفس الزكية، دار الأرقم، الكويت، ط/١، ١٤٠٤هـ..

محمد بن سحنون:

٢٠٧ - آداب المعلمين، طبع في تونس، ط/٣، ١٣٩٢هـ، تحقيق حسن حسني

عبدالوهاب.

د. محمد طاهر درويش:

٢٠٨ - الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.

محمد الطنطاوي:

٢٠٩- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مطبعة السعادة، مصر، ط/٢، ١٣٨٩هـ.

د. محمد عجاج الخطيب:

٢١٠- أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، دار الفكر، بيروت، ط/٢، ١٣٩١هـ.

٢١١- أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٥هـ.

٢١٢- السنة قبل التدوين، دار الفكر، بيروت، ط/٥، ١٤٠١هـ.

د. محمد مصطفى الأعظمي:

٢١٣- دراسات في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٤٠٠هـ.

٢١٤- منهج النقد عند المحدثين، الرياض، ط/٢، ١٤٠٢هـ.

محمد علي سعد:

٢١٥- الأحوص بن محمد الأنصاري حياته وشعره، دار الآفاق الجديدة،

بيروت، ط/١، ١٤٠٢هـ.

د. محمد علي مختار:

٢١٦- دراسات في تاريخ العرب، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

د. محمد لقمان السلفي:

٢١٧- اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً وامتناً، ط/١، ١٤٠٨هـ.

د. محمد لطفي الصباغ:

٢١٨- الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٣، ١٣٩٧هـ.

ابن المعتز (عبدالله ت٢٩٦هـ):

٢١٩ - طبقات الشعراء، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م، تحقيق عبدالستار أحمد فراج.

المقدسي (ضياء الدين ت٦٣٦هـ):

٢٢٠ - المنتقى في أخبار الأصمعي للربيعي ت٣٢٩هـ، دار طلاس، دمشق،

ط / ١، ١٩٨٧هـ، تحقيق محمد مطيع الحافظ.

د. ملكة أبيض:

٢٢١ - التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون

الثلاثة الأولى للهجرة بالاستناد إلى مخطوط تاريخ مدينة دمشق لابن

عساكر، دار العلم للملايين، بيروت، ط / ١، ١٩٨٠م.

ابن منده (محمد بن إسحاق بن يحيى ت٣٩٥هـ):

٢٢٢ - كتاب الإبان، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة، ط / ١، ١٤٠١هـ،

تحقيق د. علي ناصر فقيهي.

المنذري (زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ت٦٥٦هـ):

٢٢٣ - مختصر صحيح مسلم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط / ٥، ١٤٠٥هـ،

تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني.

ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ت٧١١هـ):

٢٢٤ - مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر، دمشق، ط / ١، ١٤٠٥هـ. تحقيق

مأمون الصاغرجي.

٢٢٥ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر، دمشق، ط / ١، ١٤٠٥هـ

تحقيق نسيب نشاوي.

ابن ميادة:

٢٢٦ - شعر ابن ميادة جمع وتحقيق د. حنا جميل حداد، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٢هـ.

مؤلف مجهول:

٢٢٧ - العيون والحدائق، مكتبة المثنى، بغداد.

النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق ت ٤٣٨هـ):

٢٢٨ - الفهرست، مكتبة الأسد، طهران، إيران، ١٣٩٠هـ تحقيق رضا تجدد. د. نجيب البهيتي:

٢٢٩ - تاريخ الشعر العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م.

النسائي (أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ):

٢٣٠ - تسمية فقهاء الأمصار، المكتبة السلفية، المدينة، ط/١، ١٣٨٩هـ، تحقيق صبحي السامرائي.

أبو نعيم (أحمد بن عبدالله الأصبهاني ت ٤٣٠هـ):

٢٣١ - حلية الأولياء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١-١٣٥٧هـ.

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ):

٢٣٢ - نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، ١٣٤٧هـ.

النووي (شرف الدين يحيى بن شرف الدين ت ٦٧٦هـ):

٢٣٣ - تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

الوزير المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت ٤١٨هـ):

٢٣٤ - الإيناس في علم الأنساب، نشر النادي الأدبي بالرياض، ط/١٤٠٠هـ.

تحقيق حمد الجاسر.

د. وهبه الزحيلي:

٢٣٥ - سعيد بن المسيب، دار القلم، دمشق، ط/ ١، ١٣٩٤هـ.

د. هاشم جميل عبدالله:

٢٣٦ - فقه الإمام سعيد بن المسيب، نشر وزارة الأوقاف العراقية، بغداد،

ط/ ١، ١٣٩٤هـ.

د. هاشم عبد ياسين المشهداني:

٢٣٧ - سفيان الثوري وأثره في التفسير، دار الكتاب الجديد، بغداد، ط/ ١،

١٤٠١هـ.

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١١هـ):

٢٣٨ - السيرة النبوية، دار التراث العربي، القاهرة.

اليغموري (يوسف بن أحمد بن محمود ت ٦٧٣هـ):

٢٣٩ - نور القبس المختصر من المقتبس، للمرزباني، دار فرانتس شتاين

بفسبادن، ألمانيا، ١٣٨٤هـ، تحقيق رودلف زهايم.

يوسف حسين بكار:

٢٤٠ - اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.

د. يوسف العشي:

٢٤١ - تاريخ الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق، ط/ ١، ١٤٠٢هـ.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

ابن بطة العكبرى:

١ - كتاب القدر من الإبانة، رسالة دكتوراه، من قسم العقيدة، بجامعة أم القرى، بمكة، ١٤٠٧هـ، تحقيق عثمان بن عبدالله الإثيوبي.

ابن أبي حاتم الرازي:

٢ - التفسير، تفسير سورتي الأنفال والتوبة، دكتوراه من قسم الكتاب والسنة، بجامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٦هـ، تحقيق د. عيادة أيوب الكبيسي.

٣ - تفسير سورة النمل، ماجستير من قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٥هـ، تحقيق نشأت محمود كوجك.

حمد عبده بن هادي أزيبي:

٤ - الإمام عبد الرزاق الصنعاني مفسراً، ماجستير من قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٤هـ.

سعد عبد الله البشري:

٥ - الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، ماجستير من قسم التاريخ بجامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٢هـ.

سفر بن عبدالرحمن الحوالي:

٦ - ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، دكتوراه من قسم العقيدة بجامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٦هـ.

سليمان بن حمد العوده:

٧ - السيرة النبوية في الصحيحين وعن ابن إسحاق، دكتوراه من قسم التاريخ

بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ١٤٠٧هـ.

شاکر محمود عبدالمنعم:

٨ - ابن حجر العسقلاني مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتاب الإصابة، دكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد، ١٩٧٦م.

الشیخ قطب الدین:

٩ - تاریخ المدينة، رسالة دكتوراه من جامعة ادنبره، ١٩٨٥م، تحقيق عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس.

عادل عبدالله حجازي:

١٠ - الزبيريون وآثارهم الفكرية، ماجستير من قسم الأدب بجامعة أم القرى، مكة، ١٣٩٨هـ.

عبدالله سالم الخلف:

١١ - مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، دكتوراه من قسم الأدب، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ١٤٠٧هـ.

عبدالله بن صالح الرسيني:

١٢ - الفقهاء السبعة بالمدينة ماجستير من كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة ١٣٩٢هـ.

لطيفة محمد البسام:

١٣ - الحركة العلمية في الحجاز من ظهور الإسلام إلى قيام الدولة العباسية، ماجستير من قسم التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض، ١٤٠٠هـ.

رابعاً: المعاجم والموسوعات

إبراهيم مصطفى وزملاءه:

١ - المعجم الوسيط، مطبعة مصر، ١٣٨١ هـ.

البكري (عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي ت ٤٨٧ هـ):

٢ - معجم ما استعجم، عالم الكتب، بيروت.

الإمام الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر):

٣ - مختار الصحاح، نشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٣٩ هـ.

الزبيدي (محمد مرتضى):

٤ - تاج العروس، دار مكتبة الحياة، بيروت.

عاتق بن غيث البلادي:

٥ - معجم معالم الحجاز، ط / ١، دار مكة، مكة، ١٤٠٠ هـ.

د. عبدالعال سالم مكرم، ود. أحمد مختار عمر:

٦ - معجم القراءات القرآنية، جامعة الكويت، ط / ١، ١٤٠٢ هـ.

د. عمر رضا كحالة:

٧ - معجم المؤلفين، مكتبة المنشي، بيروت.

٨ - الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط / ٣،

١٤٠٥ هـ.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله بن عبدالله ت ٦٢٦ هـ):

معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٨ م.

خامسا: الدوريات

مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي بلندن:

١ - العدد الثالث، ربيع الأوّل، ١٤٠٧هـ. مقال بعنوان "التجديد" بقلم التحرير.

مجلة دراسات تاريخية، دمشق:

٢ - عدد ٢٥-٢٦، حزيران، ١٩٨٧م، مقال بعنوان "حركة تدوين الأنساب

في العصر العباسي الأول" لمريم محمد خير الدرع.

مجلة العرب، الرياض:

٣ - السنة السادسة، مقال بعنوان "أبان بن عثمان بن عفان" لحمد الجاسر.

٤ - السنة الخامسة، الجزء الأول، مقال بعنوان "الرسائل المتبادلة بين المنصور

والنفس الزكية" لد. فاروق عمر.

مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض:

٥ - العدد الأول ١٣٩٧هـ مقال بعنوان "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين

مراكز الفكر في المشرق من منتصف القرن الرابع الهجري" لد. محمد محمد

زيتون.

مجلة المجمع العمي العراقي، بغداد:

٦ - العدد ١٩٦٤، ١١م، مقال بعنوان "المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز"

لد. صالح أحمد العلي.

مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق:

- ٧ - المجلد ٣٤، الجزء ٢، ٢٣/٩/١٩٧٨م، مقال بعنوان "الإمام الصادق ملهم الكيمياء" لحسن السقا.
مجلة المنهل، جدة:
- ٨ - العدد السادس، مقال بعنوان "الزبير بن بكار" لحمد الجاسر.
جريدة الشرق الأوسط، لندن:
- ٩ - عدد ٣٧٥٤، الخميس ٢/٨/١٤٠٩هـ، مقال بعنوان "صور وخواطر قصة فروخ وسهيلة" الأديب علي الطنطاوي.
جريدة المدينة، جدة:
- ١٠ - عدد ١١، ٧٨١٠/٢/١٤٠٩هـ ملحق التراث، فهرس الرسائل الجامعية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع
٥	أصل هذا الكتاب
٦	من إجابيات الرسالة
٩	مقدمة
١٨	تنبهات
٢٣	تمهيد

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في الحياة العلمية خلال القرن الثاني الهجري

٥٣	أ- الحياة السياسية
٦٧	ب- الحياة الاجتماعية
٦٧	تكوين المجتمع المدني وفئاته:
٧٠	الاستقرار الاجتماعي
٧١	التكافل الاجتماعي
٧٤	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودوره في درء مخاطر الانحراف... ..
٧٨	العبادة والعباد
٨٠	الغناء بالمدينة
٨٩	ج- الحياة الاقتصادية

- د- الاعتقاد..... ١٠٢
 هـ- التدوين في القرن الثاني الهجري بمدينة طيبة..... ١١٣
 و- الحلقات العلمية..... ١١٨

الفصل الثاني: علوم الشريعة

- أ- علم القراءات..... ١٢٣
 ب- التفسير..... ١٣٠
 ج- الحديث..... ١٣٨
 د- نقد الحديث..... ١٥٨
 هـ - الفقه..... ١٦٨
 و- أصول الفقه..... ٢٠٠

الفصل الثالث: علوم اللغة العربية

- أ- الأدب..... ٢٠٥
 الشعر:..... ٢٠٥
 الخطابة:..... ٢٢٢
 القصص:..... ٢٣٨
 الكتابة:..... ٢٤٣
 ب- اللغة..... ٢٥٣
 النحو والصرف:..... ٢٥٣
 رواية اللغة:..... ٢٥٦

الفصل الرابع

- أ- التاريخ والسير والمغازي ٢٦٣
- ب- النسب ٢٨٠
- ج- الجغرافيا ٢٨٥
- د- التربية والتعليم ٢٨٩
- العلوم العملية ٢٩٨
- هـ- الرياضيات والفلك ٣٠٠
- و- الكيمياء ٣٠٢

الفصل الخامس

العلاقات العلمية بين المدينة وبين غيرها من المراكز العلمية المختلفة

- تمهيد ٣٠٧
- أ- مكة المكرمة ٣٠٩
- ب- العراق ٣١٦
- (الكوفة - البصرة - بغداد - واسط) ٣١٦
- البصرة ٣٢٤
- بغداد ٣٣٠
- واسط ٣٣٦
- و- بلاد الشام ٣٣٧
- ز- مصر ٣٤٤

- ٣٥٠ ح- أقريقية
 ٣٥٣ ط- الأندلس
 ٣٥٧ الخاتمة

الملاحق

- ٣٦٥ سبب اختيار الملاحق
 ٣٦٦ (١) علماء الحديث في المدينة خلال القرن الثاني الهجري
 ٣٧١ (٢) شعراء المدينة خلال القرن الثاني الهجري
 ٣٧٩ (٣) خطبة أبي بكر بن عبد الله الزيري
 ٣٨٣ (٤) الرسائل المتبادلة بين الليث بن سعد والإمام مالك بن أنس
 ٣٩٠ (٥) أسماء الذين أثار عنهم تحريم أو كراهة الغناء

المصادر والمراجع

- ٣٩٣ أولاً: المخطوطات
 ٣٩٤ ثانياً: المصادر والمراجع
 ٤٢٤ ثالثاً: الرسائل الجامعية
 ٤٢٦ رابعاً: المعاجم والموسوعات
 ٤٢٧ خامساً: الدوريات
 ٤٢٩ فهرس الموضوعات